السنة ١٢ - الجزء ١ آذار ١٩٥٩

الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

رئيس التحرير : سعيد حمادة



الناشرون

دار الكتاب

بيروت - لبنان

« الابحاث » مجلة تصدرها جامعة بيروت الاميركية في اربعة اجزاء في السنة . وهي منبر حر للمفكرين بصرف النظر عن النزعة الفكرية التي يمثلونها . ولهذا فان لجنة التحرير لا تتقيد في اختيارهـــا للمقالات الا بالاعتبارات العلمية الصرفة ؛ فهي تنظر الى الابحاث من حيث مستواها العلمي ولاتتبنى آراء مؤلفيها الذين يتحملون وحدهم مسؤولية مايكتبون. وهي تدعو رجال الفكر والاختصاص للتعاون معها في جعل هذه الابحاث خير ما ينتجهُ الفكر في الشرق العربي .

عنوان المخابرات

المخابرات التحريرية : **الدكتور انيس فريحة**

الجامعة الاميركية ، بيروت – لبنان

المخابرات الادارية والمالية : **دار الكتاب**

ص. ب. ١٢٨٤ – بيروت – لبنان

شارع الحمراء – تلفون : ٢٥١٠٢

بدل الاشتراك السنوي

في لبنان وسوريا : ٩ ليرات

في الخارج : جنيه استرليني او ما يعادله



مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

السنة ١٢ الجزء ١ رئيس التحرير : سعيد حماده آذار ١٩٥٩

الحرب الاقتصادية الباردة في آسيا وافريقيا

نورمن بيرنز *

١ المشكلة .

يمكن اعتبار الحرب الاقتصادية الباردة صراعاً بين فئتين – البلدان الديمقراطية التي تمتاز باقتصاد عالي النمو ويعتمد على النشاط الشخصي ، والبلدان الصينية – السوفياتية ، التي تتميز باقتصاد كلي السلطة يعتمد على ملكية الحكومة ونشاطها . ومدار هذه الحرب هو اقامة علاقات وثيقة مع البلدان المتخلفة اقتصادياً في آسيا وافريقيا . ان ما تنطوي عليه هذه البلدان من اهمية فائقة ، خاصة بالنسبة لمواردها الطبيعية وعدد سكانها ، يجعلها قادرة ان تميل بميزان القوى الدولية لصالح الفئة التي تريد .

* محاضرة القاها السيد نورمن بيرنز في مؤتمر القضايا العامة في كلية برنسيبيا ، ألسا ، ولاية ايلينوي ، من ١٧ نيسان الى ١٩ ، عام ١٩٥٨ . والسيد نورمن بيرنز هو نائب المدير الاقليمي لادارة التعاون الدولي الاميركية (النقطة الرابعة) لقطاع الشرق الادنى وجنوب افريقيا . واشنطن .

ان البلدان الديمقراطية التي تمتاز باقتصاد نام ومتطور هي اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية وكندا والمستعمرات البريطانية الجنوبية واليابان . وهي تضم حوالي خمس عدد سكان العالم – اي حوالي ٦٠٠ مليون نسمة . تمتاز هذه البلدان بدرجة عالية من التصنيع ومن الدخل القومي للفرد الواحد ، كما تمتاز باعتمادها على النشاط الشخصي الحر في المجال الاقتصادي ، مع درجات متفاوتة من ملكية الحكومة ومراقبتها .

وتختلف الكتلة الصينية – السوفياتية عن الاولى بانها تتبع نظاماً كلي السلطة في التركيب السياسي والاقتصادي. وهي تضم حوالي ثلث سكان العالم – اي ٩٦٠ مليون نسمة .

اما الفئة الثالثة فهي تضم البلدان الآسيوية–الافريقية (خارج الستار الحديدي) التي لم تبلغ بعد درجة عالية من النمو الاقتصادي ، وهذه البلدان تضم حوالي ثلث سكان العالم . اما المدخول القومي للفرد الواحد والانتاج العام فيها فلا يزالان على درجة متدنية جداً ، ويعتمد اقتصادها ، في الدرجة الاولى ، على الزراعة التي لا تزال شبه اقطاعية فيما خلا بعض الاتجاهات الاقتصادية الحديثة ، حيث تدخل الحكومة كعنصر جديد فيها . وشعوب هذه البلدان تنظر الى الصناعة على انها وسيلتها الوحيدة للخلاص من وضعها الاقتصادي المتدني ، بسبب افتقارها الى النشاطات الصناعية .

ان دول هاتين القارتين ، هي دول حديثة العهد بالاستقلال ، وهي تتميز بشعور قومي حاد . لقد حصل حوالي ٧٠٠ مليون نسمة من سكان هذه المنطقة، البالغ عددهم حوالي ١٠٠٠ مليون نسمة ، على استقلالهم من الاستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الثانية ، ولا يزال حوالي ١٥٠ مليوناً منهم يعيشون في مستعمرات غربية . لقد خبرت هذه الشعوب طبيعة الاستعمار الغربي وهي ترفضه بشدة . انها لا تخشى كثيراً سيطرة الاتحاد السوفياتي ، ليس لان القلة فيها خبرت طبيعة الاستعمار السوفياتي شخصياً فقط ، بل لان الاتحاد السوفياتي ذاته قد بذل المجهود

الكبير لاقناعها بانه الى جانبها في حربها مع الاستعمار الغربي ، وانه صديق للقومية الناشئة في آسيا وافريقيا .

ان شعوب الكتلة الاسيوية الافريقية هي شعوب حيادية . انها تريد ان تبقى بعيدة عن « الاحلاف العسكرية » الى جانب اي من الفريقين في هـــذه الحرب الباردة ، وهي تعلن ان همها الاول هو الانصراف الى حل المشاكل الخاصة التي تجابهها والواقع ان هذه المشكلات هي خطيرة فعلا . ان الجماهير التي استفاقت على حالها مؤخراً ، لم تعد تتقبل الفقر كأمر لا مفر منه ، ولهذا اخذت تطالب باصلاحات اقتصادية واجتماعية سريعة . وهذه الاصلاحات لا يمكن اتمامها الا عن طريق زيادة الانتاج العام زيادة كبيرة تتناسب مع الزيادة السريعة في عدد السكان . ولهـذا فانها تحاول اتباع طرائق مختلفة لبلوغ هذا الهدف. من هذه الطرائق ما يعتمد على الاساليب الديمقراطية والنشاط الشخصي ، ومنها ما يعتمد على الضبط الجماعي والقيادة الحكومية . انها لا تهتم كثيراً بالتناقض المبدأي القائم بـين النشاط الشخصي الحر والضبط الحكومي ، اذ ان اهتمامها الاول ، في هذه المرحلة ، متركز على النتائج الاخيرة لاي نظام . فالنظام الذي يحقق لهـا ما ترغب : اي المساواة السياسية ، والتطور الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي ، هو النظام المطلوب . ان اختيارها اياً من النظامين يتوقف ، في السياق الاخير على هذه القاعدة الاساسية - قاعـدة الاصلاح العملي . واختيارها هذا في اي من الجانبين اتى سيكون له انعكاسات عميقة على علاقتها مع الدول الديمقراطية والسوفياتية .

٢ ـ الستراتيجية السوفياتية .

ترتكز الستراتيجية السوفياتية على اقتناع البلدان المتخلفة ، بأن النظام السياسي - الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي هو افضل من النظام الديمقراطي واكثر انسجاماً مع حاجاتها. ولبلوغ هذا الهدف يسعى الاتحاد السوفياتي الى اعطاء هذه البلدان المساعدات التي تحتاجها بأقل شروط ممكنة وبدون ربطها بالاشرطة السوفياتيـة الحمراء التي قد تدفعهم الى التردد في قبولها .

لقد عبر السيد أ. أ. أرزومنيان ، مندوب الاتحاد السوفياتي الى مؤتمر الكتلة الافريقية الاسيوية المنعقد في القاهرة في ٢٧ كانون اول ١٩٥٧ ، عن هذه السياسة بقوله :

انا مستعدون لمساعدتكم كما يساعد الاخ اخاه ، وبدون اي مصالح خاصة لنا ، لاننا نعرف من اختباراتنا الشخصية كم هو عسير ان يتخلص الشعب من الحاجة . اعلمونا بماذا تحتاجون ونحن سنساعدكم ونرسل اليكم ، بقدر ما تخولنا امكانياتنا الاقتصادية ، الاموال اللازمة ، بشكل قروض او هبات... لمساعدتكم على بناء صناعتكم ومؤسساتكم ومستشفياتكم ومدارسكم ... اننا لا نطلب منكم الانضمام الى اي حلف ... ان شرطنا الوحيد هو ان لا تكون هذه المساعدات مشروطة ابداً . »

لقد تغير التكتيك السوفياتي منذ عام ١٩٥٤ . قبل هذا التاريخ كان السوفيات يعتمدون على فقر الشعب واثارة الاضطرابات والقلاقل لتغذية العناصر الشيوعية الداخلية بحيث تتحول هذه الدول الفقيرة تدريجياً الى دول تدور في الفلك الشيوعي . لم يكونوا يعطو هذه البلدان اية مساعدات اقتصادية ترفع من مستوى انتاجها ، وكانوا يعارضون بشدة سياسة اعطاء القروض من قبل الامم المتحدة والولايات الاميركية . وعندما ظهرت نتائج المساعدات الخارجية (الاميركية والبريطانية ومساعدات الامم المتحدة) وضع السوفيات مخططات هجومية لاسداء المساعدات الاقتصادية والقروض . وقد تركزت هذه المخططات على بضعة بلدان مختارة للشيوعيين فيها مصالح سياسية جوهرية ، وهدفت الى انشاء المشاريع الانتاجية النموذجية في هذه البلدان لاقناع سكانها ، عيانياً ، برغبة الاتحاد السوفياتي ومقدرته على رفع مستوى الشعوب المتخلفة اقتصاديا . ومع ان المساعدات التي بذلتها الكتلة السوفياتية لجميع بلدان الكتلة الافريقية الآسيوية لم تكن من الضخامة بحيث تؤثر في رفع مستوى الانتاج العام ، الا انها تمكنت من اكتساب اعجاب سكان هذه المنطقة وتقديرهم للنوايا السوفياتية . وهكذا توصل السوفيات بهذا التكتيك ، الى استثمار الفقر المنتشر في آسيا وافريقيا (الذي يعزونه الى الاستعمار الغربي) لمصالحهم ،

والى تغذية الحركات الشيوعية الداخلية،وبنفس الوقت نجحوا في ان يلفتوا الانظار الى اهمية مشاريعهم الانتاجية والى ما يمكن ان يحققه النظام السوفياتي للبلدان المتخلفة اقتصاديا .

ينطوي المخطط الاقتصادي السوفياتي على ثلاث انواع من البرامج المتصلة بعضها ببعض :

١ - برنامج اعطاء القروض الطويلة الامد الى البلدان المتخلفة اقتصاديا لتزويدها بالمواد والآلات والاجهزة والخبراء من الكتلة السوفياتية لتحقيق الاغراض الانمائية.

٢ - معاهدات تجارية ثنائية بين هذه البلدان وبين الكتلة السوفياتية بحيث تستطيع هذه البلدان ان تفي ما عليها من ديون الى الاتحاد السوفياتي عن طريق ارسال منتجاتها وبضائعها له .

٣ - تبادل الخبراء والفنيين بين هذه البلدان وبين الكتلة السوفياتية يؤدي الى ارسال الخبراء السوفيات المقتدرين الى هذه البلدان من جهة ، والى تدريب ابناء هذه البلدان في الاتحاد السوفياتي .

المساعدات السوفياتية : بلغت المساعدات المالية من قبل الكتلة الصينية - السوفياتية الى البلدان المتخلفة اقتصادياً بين الاول من كانون الثاني عام ١٩٥٤ ، والاول من شباط عام ١٩٥٨ حوالي بليوني دولار موزعة على الشكل التالي[١] :

	بملايين الدولارات
مصر	٤٨٥ (منها ٢٥٠ مساعدة عسكرية)
سوريا	٢٩٤ (منها ١٠٠ مساعدة عسكرية)
اليمن	١٩ (منها ٣ مساعدة عسكرية)
الهند	٢٩٥
افغانستان	١٦١ (منها ٢٥ مساعدة عسكرية)

(١) Department of State. *Bulletin*, March 24. 1958.

كل المساعدات هي مساعدات اقتصادية الا في الامكنة المشار اليها .

اندونيسيا	١٠٩
نيبال	١٣
سيلان	٢٠
بورما	٤٢
كمبوديا	٢٢
يوغوسلافيا	٤٦٤
تركيا	١٠
الحبشة	٥
بلدان اخرى	١٣
المجموع	١٩٥٢ « منها ٣٧٨ مساعدات

عسكرية تم تسليم القسم الاكبر منها ، وما تبقى اي ١٥٧٤ هي مساعدات اقتصادية لم يزد ما تم تسليمه منها عن ١٠ - ١٥ ٪ حتى هذا التاريخ (نيسان ١٩٥٨) » .

وهذه المساعدة البالغة حوالي بليوني دولار توازي واحد بالمئة من مجموع الدخل القومي غير الصافي في الاتحاد السوفياتي وبلدان شرق اوروبا الشيوعية .

ان هذه المساعدات تعطى للبلدان الاسيوية الافريقية بطريقة سياسية لبقة بحيث لا تحمل معها اية اشارة الى النوايا الحقيقية للكتلة السوفياتية ، الامر الذي يؤدي في السياق الطويل الى خدمة هذه النوايا ذاتها . ويتم اعلان اعطاء هـذه المساعدات عادة خلال زيارة احد المسؤولين الرسميين الكبار الى البلدان الافريقية - الاسيوية بحيث يأتي رد الفعل الدعائي لها واسع المدى ، كما حدث اثناء زيارة خروشوف وبولغانين الى افغانستان عام ١٩٥٦ حين اعلن امر القرض السوفياتي على الحساب الجاري الى الافغانستان والبالغ مقداره مئة مليون دولار . ويظهر من كمية هـذا القرض انه قرض ضخم ولكن الواقع ان انفاقه لا يتم قبل خمس او عشر سنوات . وللمقابلة نشير الى ان المساعدات التي تسديها ادارة التعاون الدولي

الاميركية تدفع عادة في السنة التي تعين لها .

ان شروط هذه القروض تبدو مغرية كذلك ، اذ ان ايفاءها يمتد الى ما يتراوح بين ١٢ و ٢٢ سنة بفائدة ٢،٥٠ بالمئة سنوياً . بينما تتراوح فائـدة القروض التي تمنحها الولايات المتحدة الاميركية للانماء ، بين ٣،٥٠ و ٥،٥٠ بالمئـة ، وقروض مصرف التصدير والاستيراد بين ٥،٥٠ و ٥،٧٥ بالمئة ، والمصرف الدولي ٥،٥٠ . وبالاضافة الى هذا فان القروض السوفياتية تختلف عن القروض الغربية بان السوفيات لا يعلقون اهتماماً كبيراً على مقدرة الوفاء في البلد الذي يتسلم القرض ، كما انهم لا يطلبون تقارير مفصلة وطويلة عن كيفية التصرف بهذه الاموال وماذا حققت . وهذه الامور قد تحمل الى ذهنية الشعوب في آسيا وافريقيـا طابع الاستعباد القديم الذي خبروه مدة طويلة .

بعد ان يعلن عن اسداء القرض يرسل السوفيات فوراً مجموعة من الخبراء الى البلد المعني لتخطيط المشاريع العامة ، الامر الذي يؤدي الى مزيـد من الدعاية لصالح السوفيات . لقد وعدوا بارسال مثل هؤلاء الخبراء بعـد عشرة ايام من اعلان القرض (بينما ادارة التعاون الدولي الاميركية لا ترسل خبراءها الا بعد ستة الى اثني عشر شهراً) .

والسوفيات يختارون مشاريعهم بدقة ، بحيث تجتذب دعـاوة سياسية واسعة لهم ولكنهم (في معظم الاحيان) يهتمون بان تأتي هذه المشاريع بفائـدة اقتصادية كذلك . فهم ، مثلاً ، يشجعون حركة بناء المصانع ، الامر الذي ترغب به معظم الدول التي لم تبلغ مرحلة اقتصادية رفيعة . ويدعون (خلافاً لمقاصد الاعانات المالية الاميركية) ان الغرب يرفض تشجيع الحركة الصناعية في آسيا وافريقيا ، لان المحتكرين الرأسماليين يعتبرون البلدان المتخلفة اقتصاديا اسواقاً هامة للبضائع الغربية ، كما يعتبرونها مصدراً للمواد الخام الزهيدة الثمن ... ان الاتحاد السوفياتي يرغب في ان تصبح البلدان المتخلفة اقتصاديا على درجة عالية من التقـدم الصناعي ، خاصة فيما يتعلق بالصناعة الثقيلة لكي تتمكن من ان تصبح قادرة على الاستقلال

الاقتصادي[1] . وفيما يلي بعض المشاريع السوفياتية التي وضعت على ضوء هـذه السياسية :

الهند : ١٣٢ مليون دولار لبناء مصنع لصب الفولاذ في بهيلاي؛ ٢٠ آلة للحفر في مناجم الفحم الحجري واربعة للتنقيب عن البترول، مصنع لانتاج ادوات المناجم ومصنع للاسمنت ، مصاف متعددة للسكر ، مصنع لانتاج الزجاج البصري ومعمل لانتاج قوة كهربائية مقدارها ٢٥٠ الف كيلو واط .

سوريا : قرض ب ١٦٨ مليون دولار لاقامة مشاريع ري على ضفاف الانهر، معمل لانتاج القوة الكهربائية ، مصنع لانتاج الاسمدة الكيماوية ، مختبر للبحوث الزراعية ، مد ٤٠٠ ميل من الطرقات الحديثة ومصفاة بترولية بتكاليف عشرة ملايين دولار .

مصر : قرض ب ١٧٥ مليون دولار لانشاء مصنع للحديد والفولاذ ومصانع اخرى للادوات الكيميائية والكهربائية ، مصانع للاقمشة النسيجية ، ادوات بناء، ومواد تغذية ، مختبر للفيزياء النووية ، عشرة جسور متحركة على نهر النيل .

الافغانستان : قرض بمئة مليون دولار لانشاء مصنع للآلات ولاصـــلاح المكائن بحيث يكون هذا المصنع نواة لحركة تصنيعية واسعة في البلاد ، مصنعين للاسفلت ، مصانع لانتاج القوى الكهربائية ، مصنع للاسمدة ، مخزن للحبوب ، مطحنة ، مخبز ، تعبيد طريق في قابول طولها ٤٠ ميلاً، انشاء معمل لتعليب الفواكه بناء مستشفى سعته مئة سرير .

سيلان : مصنع للاسمنت ، مصاف للسكر .

اندونيسيا : مصنع للاطر ، مصاف للسكر ، اعمال ري .

تلاحظ ادارة التعاون الدولي (النقطة الرابعة) انه بالرغم من ان نتائج هـذه المشاريع ما تزال غير مؤكدة ولا يمكن الحكم عليها الا انه بالامكان التنبؤ بما يلي:

---

1 V. Alkhimov «Cooperation between the U.S.S.R and Economically underdeveloped Countries», Soviet Academy of Sciences, June 1957.

« ان المساعدات الجماعية ... باستثناء ما قدم ليوغوسلافيا ، لاقت قبولاً من البلدان المعنية ، كما ان تقديم المواد والمساعدات الفنية للمشاريع المتفق عليها تحت القروض على الحساب الجاري كان يتم في الاوقات المعينة » . (نشرة النقطة الرابعة في ٩ كانون الثاني ١٩٥٨) .

يبقى ان نرى فيما اذا كان السوفيات يتمكنون من انشاء المصانع وادارتها بالبراعة ذاتها التي اظهروها في الحقل السياسي . واذا تمكنوا من ذلك فان ذلك ليعتبر نصراً كبيراً لهم في آسيا وافريقيا .

التجارة السوفياتية : تحاول الكتلة السوفياتية ان تنشر علاقاتها التجارية بواسطة اتفاقات تجارية ثنائية مع البلدان الافريقية والاسيوية . وقد بلغ عدد مثل هذه الاتفاقات في اواخر عام ١٩٥٧ ، ١٠٤ اتفاقات بينما كان في عام ١٩٥٣ ٢٧ اتفاقاً . ان مثل هذه الاتفاقات تساعد الدول المتخلفة على وفاء ديونها للسوفيات بواسطة منتجاتها المحلية خاصة منها المنتوجات الزراعية الفائضة . وهذه العلاقة التجارية تمكن الدول المتخلفة اقتصادياً من المحافظة على كبريائها بان تجعلها تشعر ان القروض السوفياتية ليست حسنات ينعم بها عليهم . كما تمكنهم في الوقت نفسه من الحصول على المكائن والادوات التي يحتاجونها في المشاريع الانمائية . واخيراً انها تمكنهم من تصريف منتوجاتهم الزراعية الفائضة التي ما كان ليسهل عليهم تصريفها لولا هذه العلاقة .

لقد قدم الاتحاد السوفياتي عروضاً كثيرة للبلدان الاسيوية والافريقية لشراء منتوجاتها الزراعية الفائضة ويصعب على مثل هذه البلدان حين يكون لديها كميات ضخمة من هذه المنتوجات ان ترفض مثل هذه العروض كما حدث للقطن في مصر والسودان . ويحاول الاتحاد السوفياتي ان يقنع هذه البلدان ان الولايات المتحدة نفسها مثقلة بمنتوجاتها الزراعية التي تغرق بها الاسواق الطبيعية للبلدان المتخلفة اقتصاديا . ان منهاج الولايات المتحدة لتصريف المنتجات الزراعية الفائضة الذي بموجبه يباع هذا الفائض الى البلدان المحتاجة مقابل العملات المحلية هو نعمة كبرى

الى البلدان التي تشكو نقصاً في المواد الغذائية كالهند والباكستان ، اما البلدان الاخرى التي تتمتع بوفر في هذه المواد فانها تنظر الى هذا العمل من قبل الولايات المتحدة بشك وريب .

لقد ارتفعت المعاملات التجارية بين الكتلة السوفياتية والبلدان المتخلفة اقتصاديا في آسيا وافريقيا بنسبة ٧٠ ٪ بين ١٩٥٤ و ١٩٥٦ حين بلغت في عام ١٩٥٦ حوالي بليون دولار (وهي قيمة الصادر والوارد) . وباستطاعة دول الكتلة السوفياتية ان تتوسع في تجارتها هذه باستمرار ، باعتبار ان لحكوماتها السلطات المطلقة على اقتصادياتها ، حين يكون في هذه الزيادة خدمة للمقاصد السوفياتية السياسية . غير ان عدم استطاعة دول الاتحاد السوفياتي تزويد البلدان التي ترتبط معها بالآلات والمكائن لتنفيذ المشاريع التي تخطط على اساس القروض السوفياتية يقف عائقاً اساسياً في وجه هذه المشاريع . ان الكتلة السوفياتية تجد صعوبة في الحصول على حاجتها من المكائن والآلات ومن المحتمل ان يكون هذا هو سبب تجنب الصحافة السوفياتية القيام بالدعاوة داخل الاتحاد السوفياتي حين تسليم هذه الآلات الى البلدان المتخلفة اقتصاديا[١] . والواقع ان الاتحاد السوفياتي يستورد من العالم الحر عشرة امثال ما يصدره اليه من الآلات والمكائن[١] .

الخبراء والتدريب السوفياتي: خلال عام ١٩٥٧ كان هنالك حوالي ٢٠٠٠ خبير سوفياتي يعملون في عشرين بلداً آسيوياً وافريقياً لمدد تزيد عن شهر واحد ، وكان حوالي ثلث هذا العدد من الخبراء عسكريين . والباقي اي حوالي ١٣٧٥ كانوا خبراء صناعيين وزراعيين وفنيين يعملون في مشاريع انمائية خاصة او كمستشارين حكوميين او خبراء يقومون بدراسة امكانات التقدم الفني في البلاد[٢] . وقد جاء

(١) Hans Heymen, « Future Prospects for Soviet Economic Aid » *Conference on Middle East Economic Development,* Jan. 30-31,1958 (Transcript, page 30). Middle East. Institute, washington.

(٢) جاء في احدى النشرات الرسمية الاميركية في ٢١ شباط سنة ١٩٥٧ انه كان هناك ١٣٧٥ خبيراً اقتصاديا صيني–سوفياتي (ما عدا الخبراء الملتحقين بالسفارات والوكالات الصينية–السوفياتية الرسمية) في البلدان المتخلفة اقتصاديا موزعين على الشكل التالي :

في احدى النشرات الخارجية للولايات المتحدة : ان الخبراء السوفيات المرسلين الى الخارج حتى الان قد لاقوا قبولاً واستحساناً من الاهالي كما ان وجودهم في تلك البلدان لم يثر من التذمر ما يستحق الذكر . (النشرة الخارجية في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٥٨) .

باستطاعة الكتلة السوفياتية ان ترسل الى آسيا وافريقيا عدداً اكثر من الخبراء في المستقبل وسيكون قسم كبير من هؤلاء الخبراء قادرين على تكلم لغة البلدان الاصلية التي يوفدون اليها . والاتحاد السوفياتي اليوم يخرج مهندسين وعلماء اكثر مما تفعل الولايات المتحدة الاميركية . لقد اعلن الاتحاد السوفياتي انه كان لديه عام ١٩٥٦ ، ٧٢٠٩٠٠ مهندساً و ١٧٩٥٠٠ زراعياً وبيطرياً وحراجاً و ١٣٠٢٠٠ اقتصادياً واحصائياً وخبراء بالسلع يعملون خارج الحقول التعليمية . وقد اعلنت مؤسسة ماساتشوستس الفنية الاميركية انه : « منذ التوجيهات الحزبية عام ١٩٥٤ اصبحت اللغات الاجنبية تحتل مكاناً هاماً في تعليم العلماء والمهندسين السوفيات ، كما اصبح اتقان احدى اللغات الاجنبية شرطاً رئيسياً لمن يعمل في هذه الحقول».[١] ويطلب من الطلاب في المؤسسات الفنية العالية ان يتقنوا احدى اللغات الاجنبية على الاقل ، كالانكليزية او الالمانية او الفرنسية او الاسبانية [١] .

يقدم الاتحاد السوفياتي منهاجاً تدريبياً لمدة خمس سنوات في لغة البلدان الآسيوية وتاريخها وحضارتها في مؤسسة اللغات الشرقية في موسكو ، ومؤسسة الدراسات الشرقية في لننغراد والمؤسسة الشرقية التابعة لجامعة طشقند في ازبكستان وفي مؤسسات اخرى وقد اعلن السيد ب.ح.جافوروف رئيس مؤسسة الدراسات الشرقية في موسكو ، الذي يشغل اعلى منصب في الاتحاد السوفياتي في الدراسات الشرقية ، اعلن عن الاهداف السياسية لهذه الدراسات بالكلمات التالية :

افغانستان – ٤٥٥	مصر – ٣٦٠	سوريا – ١١٠	الهند – ٢٦٠
اندنوسيا – ١٠٥	بورما – ٦٠	تركيا – ١٥	سيلان – ٥
ايران – ٥	المجموع ١٣٧٥		

(١) *Soviet Education in Science and Technology*, 1957 (VIII, p. 27).

«لقد كانت المصاعب التي اعترضت اقامة علاقات مع البلدان الاستعمارية والمعرفة الناقصة التي يملكها علماؤنا باللغات الشرقية من اهم العقبات التي عرقلت امكانيات فهمنا لشعوب آسيا . لقد كانت المعلومات المتجمعة للاتحاد السوفيـاتي عن حقول الاقتصاد والتاريخ والحضارة في الشرق معلومات ناقصة ... وهذه المعلومات من شأنها ان تقوي روابط الصداقة بين الشعوب كما ان انتاج علمـــاء الشرقيات من السوفيات سيتسرب الى الشعوب المستعمرة ليزيد من كفاحها من اجل الاستقلال»[1]

ويقول جافورروف في المقالة نفسها ان المؤسسات اللغوية في الجمهوريات الوسطى من آسيا يجب ان تهتم بتدريس لغات الصين، ومنغوليا، وافغانستان، وباكستان، وايران، وان طشقند وباقو يجب ان تصبحا مركزين للدراسات التركية ، وان الجمهوريات التي تقع عبر القوقاس يجب ان تهتم بتدريس لغات ايران وتركيا والبلدان العربية ، كما يجب ان تصبح تبليسي وارقان مركزين للدراسات العربيـة . وقد اعلن جافورروف فور تعيينه رئيساً لمؤسسة الدراسات الشرقية في موسكو بان هدف المؤسسة هو « خلق مجالات افضل لدراسة بلدان الشرق دراسة اعمق (تاريخياً واقتصاديا ولغويا) . وقد انشئت دوائر خاصة لافريقيا والبلدان العربية وجنوب شرقي آسيا في هذه المؤسسة . كما انشيء فرع خاص يدعى فرع الشؤون الدوليـة للاهتمام بدراسة السياسة الخارجية لبلدان الشرق ، والتيارات الحديثـة في سياسة الدول الاستعمارية ، وعوامل التجاذب بين سياسة الدول الاستعمارية ذاتها » .

لقد برزت اهمية ازبكستان كقاعدة لتعليم اللغات والحضارة الشرقيـــة ، في مؤتمر المستشرقين الذي عقد بين ٤-١٢ حزيران من عام ١٩٥٧ في طشقند[2] . فالطلاب هناك هم من اهالي ازبكستان ، من التركمان المسلمين ، الذين سيوفدون الى بلدان آسيا لا كغربيين بل كآسيويين . لقد شدد هـذا المؤتمر على الروابط التاريخية والاقتصادية والحضارية التي تربط بين شعوب روسيا الآسيوية وبين البلدان

---

(١) «Immediate Tasks of Soviet Oriental Studies» *Bulletin of Academy of Sciences of the U.S.S.R*, Sept. 1957.

(٢) «The First All-Union Conference of Orientalists», *Institute for the Study of the U.S.S.R Bulletin*, July 1957 (Munich).

الآسيوية الاخرى ، كما شدد على ضرورة تدريب الشبان في الاتحـــاد السوفياتي للعمل في البلدان الآسيوية خارج الستار الحديدي . منذ اوائل عام ١٩٥٦ خرجت جامعة طشقند عدداً من المعلمين الى ثماني مدارس ثانوية جديدة ليدرّسوا مختلف اللغات الآسيوية للتلاميذ من الصف الثاني الى العاشر واعدادهم للدراسة العليـا في الجامعة [١] . كانت خمس مدارس من هـــذه المدارس الثانوية في طشقند تدرس اللغة الهندية والصينية والعربية ، وثلاث مدارس اخرى في بخارا وسمرقند تدرس لغات ايران وباكستان .

ان اهتمام السوفيات بتعليم اللغات الآسيوية يتماشى مع توصيات المؤتمر الآسيوي الافريقي في القاهرة في كانون اول سنة ١٩٥٧ وتتلخص هذه التوصيات « بان الحكومات الآسيوية الافريقية يجب ان تولي تعليم اللغات الرئيسية في آسيا وافريقيا اهتماماً خاصاً بحيث تصبح هذه اللغات وسائل للاتصال بين شعوب آسيا وافريقيا» .

والى جانب هذا تستورد الكتلة السوفياتية اعداداً كبيرة من شبان البلدان الحرة في آسيا الذين تؤمن لهم الدراسة في مدارسها والتدريب المهني كما توفر لهم دورات استطلاعية على مختلف بلدان الكتلة السوفياتية وقد بلغ عـــدد الفنيين والحرفيين والطلبة عام ١٩٥٧ حوالي الفي شخص من مختلف البلدان المتخلفة اقتصاديا يتلقون مثل هذه الدراسة في بلدان الكتلة السوفياتيـــة ويتعرفون الى مناحي التخطيط والانتاج فيها [٢] . وكان حوالي ٥٠٠ شخص من هؤلاء يتلقون العـلم في الجامعات او المؤسسات العلمية العالية في بلدان الكتلة السوفياتية .

من المرجح ان هذه المناهج ستوسع في المستقبل . فقد درّب الاتحاد السوفياتي حوالي ٦٨٦ فنياً هندياً (ذهب الى الاتحاد السوفياتي منهم حتى نهاية عام ١٩٥٧ ، ١٨٠) لادارة مصب الصلب في بهيلاي ، وسيقدم الاتحاد السوفياتي اساتذة روسيين يتكلمون الهندية ، وادوات مخابر لمؤسسة بومباي الفنية التي ستفتتح في تموز ١٩٥٨

(١) N. Y. *Times*, Dec. 26, 1957

(٢) State Department, Release, Jan. 3, 1958

وسيكون باستطاعتها استيعاب الفاً من الطلاب الهنود في فروع الفنون والعلوم العليا .

ويدرب الاتحاد السوفياتي عدداً من الطلاب المصريين في الفيزياء النووية في موسكو [1] كما وافق على « تدريب الطلبة السوريين صناعياً وفنياً في الاتحاد السوفياتي » بموجب الاتفاقية السورية - السوفياتية التي وقعت في ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٧ [2] . وقد اعلن الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ بانه سيقبل الف طالب ومتخصص من الامم المتخلفة اقتصادياً لتلقي العلم والتدريب في المؤسسات التربوية والتدريبية العليا خلال السنتين القادمتين . وقد جاء هذا الاعلان بعد عرض تقدم به الاتحاد السوفياتي بواسطة منهاج المساعدة الفنية التابع للامم المتحدة عام ١٩٥٦ لاعطاء منحة دراسية لمئتي طالب من الامم المتخلفة اقتصاديا ؛ غير ان هذا العدد من المنح لم يستعمل بكامله . واعلن اليونسكو في كانون اول سنة ١٩٥٧ بان الاتحاد السوفياتي يقدم من ٤٠ الى ٥٠ منحة لدراسة وسائل استخدام الذرة للأغراض السلمية في الاتحاد السوفياتي . [3] وقد جاء في مجلة **الشؤون الدولية** السوفياتية في العدد الصادر في ٢٧ حزيران ١٩٥٧ بان الاتحاد السوفياتي قد قدم ١١ منحة دراسية عام ١٩٥٧ - ٥٨ الى طلاب هنود لمتابعة دراساتهم العليا في فروع العلوم النظرية والتطبيقية والعلوم الزراعية والطب . وعندما عاد ملك الافغانستان من زيارته الاخيرة للاتحاد السوفياتي اعلنت الحكومة الافغانية بان الاتحاد السوفياتي سيدرب عدداً كبيراً من الشبان الافغانيين في الفروع الفنية في الاتحاد السوفياتي على حسابه الخاص . [4]

٣ - منهاج الولايات المتحدة الاميركية .

لقد بدأت الولايات المتحدة الاميركية منهاج مساعدات اقتصادية في اوروبا على نطاق واسع بموجب مشروع مارشال لعام ١٩٤٧ ، وفي بلدان اخرى بموجب

---

(١) State Department, Release, Jan. 3, 1958

(٢) Syrian Government Broadcast, Damascus, Oct. 28, 1957 .

(٣) *N. Y, Times*, Dec. 11, 1957.

(٤) *Christian Science Monitor*, Sept. 9, 1957 .

مشروع الانماء الدولي لعام ١٩٥٠ (النقطة الرابعة) . ويشتمل منهاج المساعدات هذا ، كالمنهاج السوفياتي ، على الاعانات المالية ، والتجارة ، والخبراء ؛ ولكنه يختلف عن المنهاج السوفياتي في الاهداف والوسائل اختلافاً بيناً .

الاهداف الاميركية : ان هدف المنهاج الاميركي يتلخص بتحسين الاقتصاد العام للبلدان المتخلفة اقتصاديا بقصد تقوية استقلالها الاقتصادي والسياسي . ان كمية المساعدات الاميركية ونوعيتها متركزة على هذا الهدف .

لقد عارض الاتحاد السوفياتي هذا المنهاج . فعندما دعا السكرتير مارشال البلدان الاوروبية ، بما فيها الاتحاد السوفياتي ، الى ايجاد مخطط متناسق لانعاش اقتصادياتها بمساعدة الولايات المتحدة الاقتصادية، اعلن وزير الخارجية السوفياتي السيد مولوتوف مقاطعته للمشروع زاعماً في الثاني من تموز ١٩٤٧ ، ان المساعدة الاميركية من شأنها ان تضع البلدان الاوروبية تحت سيطرة الولايات المتحدة، وقال «ان الاتحاد السوفياتي يرى من الضروري ان يحذر حكومتي بريطانيا العظمى وفرنسا من عواقب اجراء كهذا يوجه لا لتوحيد جهود بلدان اوروبا بقصد انعاش اقتصادياتها بعد الحرب ، بل ليقود الى نتائج معاكسة ليس هناك من علاقة بينها وبين مصالح الشعوب الاوروبية».[١]

والاتحاد السوفياتي اليوم يهاجم المشروع الاميركي في آسيا وافريقيا على اساس « ان الدول الرأسمالية تعرقل النمو الصناعي، خاصة الصناعة الثقيلة منها، في البلدان المتخلفة اقتصادياً . انهم يقدمون مساعدات «مشروطة» ذات منفعة اقتصادية وسياسية وحيدة الطرف»[٢] .

اذا صحت محاذير الاتحاد السوفياتي منذ عام ١٩٤٧ فان اوروبا واسيا وافريقيا يجب ان تكون تحت سيطرة اميركا . ولكن بعد مرور اكثر من عشر سنوات على المشروع ما تزال هذه البلدان تمارس سياستها المستقلة التي وان كانت تظهر

(١) Text of Molotov Communique, N. Y. *Times* July 3, 1957.

(٢) V. Alkhemov, Cooperation between the U.S.S.R. and Economically Underdeveloped Countries » Soviet Academy of Sciences, June . 1957.

صداقة لاميركا ، الا انها تختلف معها حول امور سياسية كثيرة (كالحملة البريطانية – الفرنسية على السويس عام ١٩٥٦ ، او موقف الهند من الحياد). ان مدة عشر سنوات عامرة بالادلة تظهر ان منهاج المساعدات لم يكن يهدف الى وضع «البلدان الاخرى تحت سيطرة الولايات المتحدة » . ان هدف الولايات المتحدة كان وما يزال تقوية استقلال البلدان المتخلفة اقتصادياً . واما نوايا الاتحاد السوفياتي بخصوص استقلال البلدان التي يتعامل معها ، فانها تظهر ليس فقط في ممانعته المبدأية لاي « انحراف » ، ولكن في معاملته خلال السنوات العشر الاخيرة للاتفيا واستونيا وليتوانيا والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، والمانيا الشرقية ، وبلغاريا ، ورومانيا والبانيا ويوغوسلافيا .

المساعدات الاميركية : لقد بلغت المساعدات الخارجية الاميركية للبلدان المتخلفة اقتصاديا في آسيا وافريقيا خارج الستار الحديدي منذ بدء المنهاج (عام ١٩٥١) الى عام ١٩٥٧ حوالي ٧،٦ بليون دولار . والمساعدات الاميركية هي على انواع ثلاث مفصلة فيما يلي :

١ – مساعدات ادارة التعاون الدولي التي تتكون من هبات او قروض تدفعها بالدولار الى بلدان اسيا وافريقيا ، وقد بلغت هذه المدفوعات منذ بدأ المشروع حتى ٣١ كانون اول سنة ما قيمة ٥،٦ بليون دولار **كمصروفات فعلية**: منها ١،١ بليون دفع في السنة المالية ١٩٥٦ و ١،٢ بليون في السنة المالية ١٩٥٧ ، يقابل هذا مبلغ ١،١ بليون دولار هي مجموع المساعدات الاقتصادية الصينية – السوفياتية الى بلدان افريقيا وآسيا خلال الفترة ١٩٥٤–٥٧ . وكانت هذه المساعدات بشكل قروض مالية لتصرف في فترة من السنين . وهكذا فان ما انفق من مجموع هذه المساعدات حتى الآن لم يبلغ سوى جزء قليل منها . واذا تم الاتفاق على صرف المساعدات السوفياتية على مرحلة خمس سنوات (وقد تبلغ هذه المراحل فترات اطول) ، فيعني هذا ان ما **يصرف فعلياً** من هذه المساعدات في اسيا وافريقيا سيكون اكثر بقليل من ٢٠٠ مليون دولار سنويا في حين تبلغ مساعدات ادارة التعاون الدولي في اسيا وافريقيا اكثر من بليون دولار في العام الواحد .

المساعدات الاميركية لبلدان اسيا وافريقيا المتخلفة اقتصاديا والواقعة خارج الستار الحديدي (بملايين الدولارات)

	المجموع منذ بدء المشروع حتى ٣١ ك ١ ٥٧	السنة المالية ١٩٥٧
(١) هبات ادارة الاعمال الدولية وقروضها	٥٦٠٤ (أ)	١٢٢٤
فياتنام ، وكامبوديا ولاغوس	١٧٣٠	٣٥٣
كوريا	٨٩٨	٣٢٨
الصين	٧٧٨	٩٦
تركيا	٥٥٩	١٠٩
الهند	٣٠٧	٦٥
اسرائيل	٢٧٨	٢٤
ايران	٢٦٧	٤٣
باكستان	٢٣٩	٧٠
جزر الفلبين	١٥٢	٣٦
الهواي	١٠٥	٤٣
مصر	٤٦	١٢
اربعة عشر بلدان اخرى	٢٤٥	٤٥
(٢) قروض مصرف الاستيراد والتصدير	٤٦٣ (ب)	—
(٣) المنتوجات الزراعية الفائضة (ج)		

(١) تشمل المساعدات الفنية ، ومساعدات الانماء ، ومساعدات الدفاع غير العسكري . بلغت المساعدات العسكرية لبلدان اسيا وافريقيا منذ بدء المشروع حتى ٣٠ حزيران ١٩٥٧ حوالي خمس بلايين دولار اخرى منها بليون في السنة المالية ١٩٥٦ وما يزيد بقليل عن البليون في السنة المالية الثانية ١٩٥٧ .

(ب) المبلغ هنا يرجع الى الاول من تموز ١٩٤٧ . وهو مبلغ مقرر صرفه .

(ج) المبلغ يرجع الى الاول من تموز عام ١٩٥٤ الى ٣١ كانون اول سنة ١٩٥٧ ما عدا النفقة الثالثة التي امتدت حتى ٣٠ حزيران سنة ١٩٥٧ (مصدر هذه الاحصاءات من الاحصاءات الرسمية لادارة التعاون الدولي الاميركية ومصرف الاستيراد والتصدير . ولا تشمل هذه الارقام المبالغ المدفوعة الى اليابان وجنوب افريقيا .)

النفدة الاولى هي مبيعات بالعملة المحلية	**١٠١٢**	**٥٨٥**
الهند	٣٦٦	٣٦٢
الباكستان	١٨٦	٧٤
تركيا	١١٢	٦٩
اندونسيا	٩٩	—
اسرائيل	٨٧	١١
كوريا	٨٣	١٩
مصر	٢٠	—
خمس بلدان اخرى	٥٩	٥٠
النفدتين الثانية والثالثة هبات	**٤٧٢**	**١٦٥**

١ ـ تختلف الاعانات الاميركية ، التي تقوم بواسطة ادارة التعاون الدولي عن مساعدات الكتلة السوفياتية بان الاولى تشمل حوالي ٢٧ بلداً في آسيا وافريقيا بينما الثانية مقتصرة على بلدان معدودة . ان معظم بلدان آسيا وافريقيا ان لم يكن كلها على ما بينها من تباين في الاتجاهات السياسية تتسلم مساعدات ادارة التعاون الدولى او انها قد تسلمت في السابق . وهذه المساعدات لم تقتصر فقط على البلدان المتحالفة عسكريا مع الولايات المتحدة (كتركيا في حلف NATO والباكستان في حلف SEATO الخ) بل انها تشمل بلدانا لا ترتبط باي رباط عسكري مع الولايات المتحدة مثل الهند . وقد بلغت الاعانات الاميركية للهند منذ بدء المشروع حتى اليوم حوالي ١،٢ بليون دولار ، اي ما يقارب اربعة امثال الاعانات السوفياتية اليها .[١]

(١) الجدول التالي يبين المساعدات الاميركية الى الهند حتى الآن (المبلغ بملايين الدولارات)

	المبلغ المقرر	ما سلم منه
هبات وقروض من ادارة التعاون الدولي	٣٩٩،٧ حتى ٣٠/٦/٥٧	٣١٥،٤ حتى ٣١/١/٥٨
المنتوجات الزراعية الفائضة		
النفدة الاولى مبيعات بالعملة المحلية	٣٦٢،٤	٢٢٥،٥ حتى ٣١/١٢/٥٧
النفدة الثانية والثالثة هبات	٥٣،٢	٥٣،٢

تشتمل اعانات ادارة التعاون الدولي الاميركية على الاجهزة والمواد والخبراء لاتمام المشاريع الخاصة في البلدان المعانة ، كما تشتمل على البضائع التي يحتاجها البلد لانماء راس ماله او الذي يحتاجها للاستهلاك المحلي ، ويدفع البلد ثمن هـذه البضائع بنقده المحلي حين يتعذر عليه ايجاد النقد النادر ، كما تشتمل هـــذه الاعانات على ارسال المستشارين والخبراء الامريكيين لمساعدة الوزارات في برامج معينة . وقد بلغ عدد مثل هؤلاء الخبراء والمستشارين في بلدان آسيا وافريقيا حتى ٣٠ حزيران ١٩٥٧ ، ٣٣٤٦ شخصاً وقد تناولت المساعدات حقولاً متشعبة من الحياة العامة — كاعمال الري وشق الطرقات ، والمشاريع الصناعية ، والمخابر والخدمات التربوية والصحية والاجتماعية ، والمزارع النموذجية وغيرها من المشاريع الضرورية لتقوية الاقتصاد القومي العام في البلد المعني . وتهتم ادارة التعاون الدولي اهتماماً خاصاً باسداء العون الفني والتدريب العملي ، وهذه الامور قد تكون اقل مبعثاً للدعاوة من المصانع التي يبنيها السوفيات . ولكنها في السياق الطويل تضع اساس النمو الاقتصادي . ان مساعدة من هذا النوع تساعد البلدان المتخلفة اقتصاديا على تنظيم انفسها ، وتدريب شبابها على المهارات الفنيــة بقصد السيطرة الكلية على الامكانات البشرية التي يملكونها . ان مشاكل الانتاج في آسيا وافريقيا هي من الضخامـــة لدرجة انه لا يمكن حلها بواسطة الاعانات الخارجية وحدها (حتى ولو زادت هذه الاعانات ما تقدمه ادارة التعاون الدولي الاميركية) . لهذا السبب تهتم هـذه بالدرجة الاولى بشؤون التدريب التي يمكن ان تؤدي الى زيادة الامكانات الانتاجية لشعوب آسيا وافريقيا بحيث تستطيع ان تحل مشاكلها الانتاجية باستقلال عن اية قوة خارجية .

ولما كانت طريقة الاتحاد السوفياتي تنجح في اكتساب انتصارات سياسية

قروض حتى لعام ١٩٥١	١٨٩٫٧	١٨٩٫٧
قروض مصرف التصدير	١٥١٫٨	لا شيء
قرض صندوق الانماء	٧٥	لا شيء
	١٢٣١٫٨	٧٨٣٫٨

باثمان اقل مما تتكلفه ادارة التعاون الدولي الاميركية بكثير فان بعض الاميركيين قد اقترح اقتفاء الطريقة الروسية. أن هذا الاقتراح يتجاهل جوهر المشكلة، وهو ان اصرار الجماهير الآسيوية الافريقية على بلوغ مستويات اعلى من العيش يستدعي تحسين اقتصاديات هذه، اذا كان لا بد لها من البلدان ان تتقي الانهيار امام الضغط الشيوعي الداخلي. وادارة التعاون الدولي تهدف من وراء تقديم الاعانات المالية الى تحسين الاوضاع الاقتصادية العامة للبلدان التي تتسلم المعونة وهي تعرف انها امام مشكلة معقدة، وان التقدم يستدعي الوقت الطويل. ولكنها تثق بصحة الطريقة التي تتبعها.

٢ – تعطى قروض مصرف الاستيراد والتصدير لآماد طويلة ومتوسطة بفوائد مختلفة والفائدة المألوفة حالياً تتراوح بين ٥،٥٠ و ٥،٧٥ بالمئة. وتحتوي القروض التي اعطي اكثرها لمشاريع صناعية على القروض التالية: ٣٩،٥ مليون دولار الى الافغانستان. لارواء وادي هلماند ولتوليد طاقة كهربائية، ١،٨ مليون دولار لشركة هندية لبناء مصنع لدواليب المطاط، ٢٩ مليون للحكومة الايرانية لمحركات ديزل وغياراتها ١٤،٧ مليون للحكومة الاندونوسية لتحسين المواصلات، ٢٠ مليون دولار لشركة فيليبينية لتوليد القوى، ٢٤ مليون دولار للحكومة الحبشية لتحسين وسائل الطيران، ٧ ملايين لشركة مصرية لانتاج الاسمدة الخ.

٣ – يمكن بيع المنتوجات الزراعية الفائضة، بموجب الفقرة الاولى من القانون العام رقم ٤٨٠ من البلدان التي تفتقر الى النقد النادر مقابل نقدها المحلي. واغلب النقد المحلي المقبوض يقرض او يوهب من قبل الولايات المتحدة الى البلد الذي اشترى المنتوج الزراعي منها. لقد ساعد هذا البلدان الفقيرة في المواد الغذائية كالهند والباكستان وتركيا واندونوسيا في الحصول على هذه المواد دون الاضطرار الى الدفع بالنقد النادر الذي يستطيعون توفيره في هذه الحالة للحصول على الآلات والاجهزة الضرورية لتنفيذ المشاريع الانمائية والاقتصادية. وبموجب الفقرتين الثانية والثالثة من القانون العام رقم ٤٨٠ يمكن للولايات المتحدة وهب الفائض من المنتوج الزراعي الى البلدان الاجنبية التي تفتقر اليها افتقاراً ماساً.

منهاج الولايات المتحدة التجاري : يهدف المنهاج التجاري للولايات المتحدة الاميركية الى توسيع التجارة بين اقطار العالم الحر عن طريق اتفاقات جماعية .

لقد اشرفت الولايات المتحدة على مؤتمر جنوا التجاري الذي عقد عام ١٩٤٧ والذي نتجت عنه الاتفاقية العامة للرسوم الجمركية والتجارة (Gatt) وقد وقعت هذه الاتفاقية ٢٣ دولة وافقت على تخفيض كبير في الرسوم الجمركية وتسهيل التعامل التجاري فيما بينها . وهذه الاتفاقية جماعية ، اذ تنص على انه عندما تخفض احدى الدول الاعضاء رسومها الجمركية على منتوج يردها من بلد عضو آخر ، يطبق الرسم الجمركي المخفض آلياً على المستورد من هذا المنتوج من أي بلد عضو آخر من البلدان الثلاثة والعشرين . ان تخفيضات الولايات المتحدة لرسومها الجمركية بموجب هذه الاتفاقية الجماعية جرى التفاوض بشأنها حسب السلطة التي اعطاها قانون اتفاقات التجارة المتبادلة (الذي ينتهي في ٣٠ حزيران سنة ١٩٥٨ ، ان لم يجدد) . ويعتبر هذا القانون وسيلة رئيسية لتحقيق المنهاج التجاري للولايات المتحدة .

لقد اتهم الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة انها تسعى للسيطرة على البلدان الاجنبية من وراء جهودها لنشر تجارتها في مختلف الاقطار . فقد قال السيد ڤارجا، احد علماء الاقتصاد الشهيرين في الاتحاد السوفياتي ما يلي: (١)

« ماذا تكون النتيجة لو قدر لسياسة الولايات المتحدة ان تسود ؟ ستتمكن البضائع الاميركية من التسرب الى جميع البلدان الرأسمالية ، للاسباب التالية . اولاً ، لأن تكاليف الانتاج في الولايات المتحدة هي اقل من تكاليف الانتاج في البلدان الرأسمالية الاخرى ، ذلك لان الولايات المتحدة تملك احدث وسائل الانتاج. ثانياً ، ان الصناعة الاميركية تدار بواسطة محتكرين اقوياء . وعندما يلوح خطر تكدس البضائع في الاسواق الداخلية وبالتالي هبوط الاسعار ، يسارع هؤلاء المحتكرين الى تسفير بضائعهم الى الخارج وبيعها احياناً بخسارة. ولهذا فانه اذا تم للسياسة الاميركية السيطرة فان العواقب على البلدان المتخلفة صناعياً ستكون وخيمة» .

(١) E. Varga, «Geneva Trade Talks,» *Trud*, moscow, may 16, 1947

ان تحذير السيد ڤارجا هذا لم يلاق آذاناً صاغية لدى البلدان المتحالفـــة ضمن الاتفاقية العامة للرسوم والتجارة ، بل على العكس من ذلك ، فقد ارتفع عـــدد الاعضاء المنضمين اليها الى ٣٧ دولة تشمل جميع الدول التجارية خارج الكتلة السوفياتية تقريباً . واما البلدان الاخرى فباستطاعتها مواجهة المزاحمة الاميركية خارج اسواق هذه الدول . ولم تحاول السياسة الاميركية فرض الاتفاقات الجماعية حساب مصالح البلدان الاخرى . لقد اعترفت الاتفاقية العامـة للرسوم والتجارة بالتفاضل في الرسوم كما هي الحال بين دول الكومنولث البريطاني او بين البلدان العربية . كما ان الولايات المتحدة دعت الاتحادات الجمركية التي بموجبهـــا تلغي الدول الاعضاء الرسوم الجمركية كليـاً فيما بينها مع بقاء رسوم الـ Gatt سارية على المستوردات الى الاتحادات الجمركية مع جميع اعضاء الـ Gatt الذين هم غير اعضـاء في الاتحادات الجمركية . ان السوق الاوروبية المشتركة التي تبدأ اليوم في اوروبا بين ست بلدان هي مثال على هذا . وكذلك فان اتفاقية الـ Gatt تحوي نصوصاً من شأنها ان تضمن للبلدان المتخلفة اقتصاديا حماية صناعاتها الناشئة .

للبلدان الآسيوية الافريقية مصالح جمة في اتجاه العالم الحر نحو اتفاقات تجارية جماعية وذلك لسببين : اولاً لان التجارة الدولية الواسعة النطاق هي الطريق التي تؤدي بهذه البلدان الى زيادة انتاجها ورفع مستواها المعاشي. ان العالم الحر مقسم الى عدة دول كبيرة وصغيرة (١٧ دولة مستقلة في غرب اوروبا ، ٣٣ دولة مستقلة و ٦٤ اخرى غير مستقلة في آسيا وافريقيا ، وعدة دول في العالم الجديـد) . فاذا ما حاولت كل من هذه الدول اقامة الحواجز المانعة للتعامل التجاري بين بعضها البعض فانه من الثابت انها لا تستطيع استغلال مواردها استغلالاً تاماً والوصول الى ارفـــع مستوى انتاجي ممكن لكل منها . ان نظاماً جماعياً ، يرافقه تخفيض جمـــاعي واسع النطاق للحواجز التجارية بين هذه البلدان ، من شأنه ان يفتح الطريق امام التجارة الدولية كيما تأخذ مجراها باقصى فائدة ممكنة بين بلدان العالم الحر .

ثانياً ، ان التجارة الدولية تمكن البلدان المتخلفة اقتصاديا من الحصول على

المواد والادوات اللازمة لها لتنفيذ برامجها الانمائية الضخمة . وهي تحصل على هذه الآلات من العالم الحر وتدفع اثمانها من محاصيلها الزراعية . وهذه العمليات التجارية تدر اموالاً تفوق المساعدات الاميركية او السوفياتية الى البلدان الافريقية الآسيوية . في عام ١٩٥٦ بلغت قيمة ما صدرته البلدان الافريقية الآسيوية المتخلفة اقتصاديا الى العالم الحر حوالي ١١،٣ بليون دولار (خارج آسيا وافريقيا) واستوردت ما قيمته ١٢،١ بليون دولار من العالم الحر[١] . لقد صدرت البلدان الافريقية الآسيوية المتخلفة الى العالم الحر حوالي ٢٨ مثالاً لما صدرته الى الكتلة السوفياتية . كما هو مبين في الجدول الآتي :

(١) التجارة العالمية الخارجية ١٩٥٦ (بلايين الدولارات)

مصدر الصادرات	المكان المصدر اليـه: بلدان آسيا وافريقيا المتخلفة	اوروبا الغربيـة	الولايات المتحدة	بلدان اخرى (أ)	الكتلة الصينية السوفياتية	المجموع
بلدان آسيا وافريقيا المتخلفة اقتصادياً	٣،٩	٧،٧	١،٧	١،٩	٠،٤	١٥،٦
اوروبا الغربية	٧،٩	٢٠،٧	٢،٩	٥،١	١،٦	٣٨،١
الولايات المتحدة	٢،٤	٥،١	–	١١،٥	(ب)	١٩،٠
بلدان اخرى	١،٨	٦،٢	٧،٩	٣،٥	٠،٣	١٩،٨
الكتلة الصينية السوفياتية	٠،٦	١،٦	،١	٠،٢	–	٢،٥
المجموع	١٦،٥	٤١،٣	١٢،٥	٢٢،٣	٢،٤	٩٥،٠

المصدر : النقطة الرابعة – مكتب الاحصاء والتقارير ، نيسان ١٩٥٨ ؛ من منشورات الامم المتحدة . المجموع هو تقريبي .

(أ) تشمل اليابان ، وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلندا ، واميركا اللاتينية ، وجزر مختلفة . واما اتحاد جنوب افريقيا فانه يأتي تحت آسيا وافريقيا .

(ب) صغير جداً .

وبالرغم من الاتفاقات الثنائية التي تعقدها الكتلة السوفياتية مع البلدان الآسيوية الافريقية قد تبدو مغرية للوهلة الاولى، الا انه يشك في ان فوائدها في السياق الطويل يمكن مقابلتها بالفوائد التي تجنيها هذه البلدان من بلدان نظام التجارة الجماعية للعالم الحر. ان تجارة الكتلة السوفياتية مع العالم الحر بأكمله لا تزيد عن ٢،٥ بليون دولار كقيمة صادرات و٢،٤ بليون قيمة واردات . ان مساحة هذه الكتلة هي من الضخامة بحيث انها تستطيع الاقتصار على العلاقات التجارية الداخليـة وتصل في الوقت نفسه الى اعلى نسبة انتاجية ممكنة . ان السوفيات يحجمون عن توجيه تجارتهم وجهة اسواق العالم الحر خوفاً من ان يصلوا الى يوم يكونون فيه مضطرين ان يعتمدوا كثيراً عليها كسوق لمصدراتهم وكمصدر لمستورداتهم الضرورية ، وعلاوة عن هذا فان عملية التخطيط الاقتصادي تصبح اكثر صعوبة في تجارة دولية كبيرة ما لم تكن هذه التجارة منسجمة مع المخطط القومي العام ، كما تفعل الكتلة عن طريق اتفاقاتها التجارية الثنائية.

على ان الاتفاقات الثنائية تضع البلدان الصغيرة ، تحت رحمـة اقتصاد البلدان الكبيرة كما كانت الحال في ظل النظام النازي . ان دولة كبرى ذات النظام الموجه ، يمكنها في ظل الاتفاقات التجارية الثنائية ، ان تقدم اسعاراً لمنتوجات البلد الصغير المتفق معها ، اكثر مما يعرض في الاسواق العالمية الحرة واذا ما حاول البلد الصغير ان ينسحب من هذا الحصار الاقتصادي ، فلن يتمكن من ان يتجنب هبوطاً فادحاً في اسعار صادراته الامر الذي سيؤدي الى نكسة اقتصادية عامـة . واذا ما استمر في تصدير بضائعه سيجتمع لديه نقداً مالياً تابعاً لتلك الدول الكبرى المتفق معها ، ولا يمكنه في حالة كهذه التصرف بهـذه الاموال الا حسب مشيئة الدولة الكبرى تلك . ويصبح بامكان الدولة الكبرى ان تفرض اسعاراً عالية على مبيعاتها الى الدولة الصغرى ، ويمكنها بيعها بضاعة رديئة ، كما يمكنها ان تهددهـا بالتوقف عن شراء منتوجاتها منها .

لهذا يكون من غير المحتمل ان تتمكن الكتلة السوفياتية من استيراد القسم الاكبر من مجموع صادرات البلدان المتخلفة اقتصاديا في آسيا وافريقيا ؛ او توريد القسم الاكبر من مجموع واردات هذه البلدان، ما لم تمتصها ضمن النظام الاقتصادي للكتلة السوفياتية باكملها . واذا ما خطر لاحدى البلدان الآسيوية الافريقية ان تنشي

علاقات تجارية واسعة مع الكتلة السوفياتية – مع كل ما تحمل هـذه العلاقات من انعكاسات سياسية وتكنيك تجاري ثنائي وان مثل هذا البلد يخاطر في فقدان حريته الاقتصادية .

٤ ـ الخلاصة

ما هي الخلاصة التي يمكن استنتاجها مما سبق حتى الآن ؟

اولاً : يظهر ان المخطط الهجوعي السوفياتي لمساعدة تجارة البلدان المتخلفة كان له انعكاسات سياسية هامة في المنطقة الآسيوية – الافريقية ، كما يظهر ان هـذا المخطط سيتسع في المستقبل .

ان الكتلة السوفياتية تملك **المقدرة والرغبة** لزيادة المساعدات الاقتصادية الى البلدان الافريقية الآسيوية ، ولتوسيع تجارتها معها وارسال خبراء مدربين على لغة تلك البلدان ومطلعين على حضارتها ، اليها .

سيستمر المخطط الاقتصادي للكتلة السوفياتية كما هو الآن ، في التشديد على المغانم السياسية التي تجنيها ، بدل ان يهتم في تنسيق التطور الاقتصادي لان الهدف الرئيسي من وراء هذا المخطط هو جرّ ، البلدان الحرة في آسيا وافريقيا الى الفلك السوفياتي .

ثانياً : لا يمكن الولايات المتحدة ان تباري الكتلة السوفياتية في الميدان الاسيوي الافريقي بمجرد اتباعها منهاجاً اضخم للمساعدات او بارسالها عدداً اكبر من الخبراء الى هذه البلدان. ان الجاذب الرئيسي الذي تعتمد عليه الكتلة السوفياتية هو جاذب سياسي ، اذ انها تدعي لنفسها مقام النصير للقوميات الآسيوية الافريقية. لقد كان هذا الجاذب هو المفتاح الرئيسي لمؤتمري باندونغ والوحدة الافريقية الآسيوية عام ١٩٥٧ .

على الولايات المتحدة ، ان تنقل لشعوب آسيا وافريقيا شعورها بانها تنسجم مع مالها ورغباتها القومية . وهذا يستدعي اتباع سياسة غربية تقيم الدليل على هـذا

الشعور من خلال اعمال سياسية محددة . ان مجموعة من الاحداث السياسية ترد الى الذهن في مجال كهذا ، يتمثل فيها الغرب باعين شعوب آسيا وافريقيا ، في الجانب المعادي لآمالهم ، وان الغرب فقط يهتم بالمحافظة على الوضع القائم . ان مثل هذا الافتراض يستدعي قيام حملة واسعة لنشر المعلومات عن نوايا سياسة الولايات المتحدة والغرب بحيث تنجح هذه المعلومات في الوصول الى اذهان سكان آسيا وافريقيا. لقد تمكنت الدعاوة السوفياتية من تصوير الغرب كعدو للقومية الافريقية الآسيوية ، مع ان الغرب قد حرر من الحكم الاستعماري حوالي ٢٠ دولة في آسيا وافريقيا ، منذ الحرب العالمية الثانية . وقد قام الغرب بمنح الحرية السياسية لهذه المجموعة من البلدان البالغ عدد سكانها حوالي ٧٠٠ مليون نسمة في الوقت الذي كان الاتحاد السوفياتي يخمد نار الاستقلال في ١٥ بلداً في اوروبا وآسيا يزيد عدد سكانهم عن ٧٠٠ مليون نسمة . ان الاهمية التي تنطوي عليها هذه الحقيقة يجب ان تصل الى اذهان الجماهير في كل من آسيا وافريقيا - حقيقة ان البلدان الحديثة العهد بالاستقلال قد تفقد استقلالها في ظل نظام شيوعي كلي السلطة لا يسمح بالانحراف عن المخطط السوفياتي العام ؛ وبانها في ظل عالم حر سيبقى في استطاعتها ان تتصرف بحرية وفق مصالحها القومية .

ثالثاً : على الولايات المتحدة ان تستمر في تحسين منهاجها الاقتصادي لتقوية اقتصاديات البلدان الافريقية - الآسيوية. ان التطور الاقتصادي هو امر ضروري لآسيا وافريقيا كيما تستطيع هاتان القارتان من مقاومة الانهيار امام الضغط الشيوعي الداخلي . ان الاعانات الخارجية والاتفاقات التجارية متبادلة المنفعة بامكانها ان تدعم التطور الاقتصادي في آسيا وافريقيا . والتوقف عن اي منهما من شأنه ان يعرض موقف العالم الحر للخطر في الحرب الباردة مع الكتلة السوفياتية .

ان الولايات المتحدة في عدم انحرافها عن هدفها الرئيسي الذي هو تقوية الاقتصاد العام في البلدان التي تتسلم المساعدة، عليها ان تهتم اكثر بالاوضاع الحضارية لبلدان آسيا وافريقيا في اختيارها وتنفيذها لمشاريع الاعانات الاقتصادية والدعاوة لها

وذلك في سبيل زيادة الاثر السياسي لهذه المشاريع . ان عدداً قليلاً فقط من خبراء ادارة التعاون الدولي الاميركية هم على اطلاع على لغة او حضارة البلدان الآسيوية والافريقية التي يعملون فيها . فاذا ما فهموا اكثر حضارة الشعب ونمط تفكيره يمكنهم ان ينجحوا اكثر في اختيار المشاريع التي تلاقي القبول والاستحسان الشعبي، وفي تنفيذ هذه المشاريع بشكل يلاقي اكثر تقبل ممكن من تلك البلدان . ان كلاً من بعثات ادارة التعاون الدولي في البلدان الآسيوية الافريقية يجب ان تشتمل على بعض الاشخاص المطلعين اطلاعاً تاماً على لغة البلد الذي يعملون فيه وحضارته.

يجب التدقيق تدقيقاً اكثر في اختيار خبراء ادارة التعاون الدولي الاميركية الذين يرسلون الى الخارج. والتدقيق يجب ان يجري على نوعية هؤلاء الخبراء لا على عددهم ، ذلك لان وجود خبير واحد ضعيف يمكن ان يفسد عمل الكثيرين من الصالحين . يجب ان يكون خبراء ادارة التعاون الدولي قديرين في حقل اختصاصهم كما يجب ان يكونوا قابلين للتكيف مع مقتضيات العمل في الخارج . ان بلدان آسيا وافريقيا الحديثة العهد بالاستقلال (ومثلها الولايات المتحدة) لها حساسية الشك بالاجانب المقيمين فيها. فاذا لم يتمكن خبراء ادارة التعاون الدولي الاميركية من التكيف الطبيعي بما يناسب مهمتهم في البلدان التي يعملون فيها ، واذا اصروا على ان يلعبوا دور الامّار لا دور المرشدين . فيجب ان لا يرسلوا الى الخارج . ان حساسية شعوب افريقيا واسيا بالنسبة للون والعرق يمكن ان تراعيها الولايات المتحدة الاميركية بتنويع مبعوثيها الى هذه البلدان وانتقائهم من مختلف الاجناس والالوان التي تكثر في الولايات المتحدة . لقد ارسلت ادارة التعاون الدولية الاميركية الى الخارج مئات من الخبراء القديرين الذين كرسوا انفسهم للعمل باخلاص وهؤلاء يتمتعون بصداقة واحترام من يعملون معهم . غير ان تقارير المراقبين المستقلين في الولايات المتحدة تشير الى ان ليس جميع هؤلاء المبعوثين يتمتعون بمثل هذه الصفات؛ وانه يجب ان يبذل مجهود اكبر ودقة اكثر في اختيار هؤلاء الخبراء[1] .

(١) انظر الصفحة التالية .

ان المرونة في ادارة الاعانات الاميركية امر يجب كذلك الاهتمام به ، خاصة وان السوفيات يشددون على ان تكون مناهجهم متسلسلة كل مشروع يلحق بالآخر اوتوماتيكياً . ان الطريقة التي تتبعها الولايات المتحدة في تخصيص اعتمادات سنوية يجب ان ترتبط في السنة المرصودة لها (مع انها اقل تشديداً في هـذا الامر بالنسبة لـ «صندوق القروض الانمائية») ، يجعل التخطيط لمشاريع لا يمكن القيام بها في سنة واحدة امراً صعباً . ان كثرة التقارير والوثائق التي تطلب من البلد الذي تقدم اليه المساعدة من شأنها ان تحدث انزعاجات التي قد تطغى على الاثر الحسن للمساعدات نفسها . لقد اوصى احد المراقبين الذين زاروا بعثات المساعدة الاميركية في الشرق الاوسط قائلاً « ازيلوا الاشرطة الحمراء عن مساعداتنا الاقتصادية»[٢]. ان مصاعب كهذه تقف عائقاً هاماً في وجه فعالية برامج هذه المساعدات .

ان المخططات السوفياتية في آسيا وافريقيا لتشكل خطراً رئيسياً على العالم الحر . ان سياسة الولايات المتحدة وعملها قد اظهرا ان الولايات المتحدة الاميركية تملك الموارد المعنوية والمادية لمواجهة هذا التحدي اذا ما رغبت في ذلك ، هـــذا التحدي الذي يجب ان يواجه بالتصميم ، والدراية ، والايمان بقدرة البلدان الحرة على العمل معاً لخير الجميع .

---

(١) انظر «A· Douglas Rugh: Some problems of Comparative Education and Technical Assistance in the Middle East » , *Proceedings of the Fourth Annual Conference on Comparative Education*, School of Education, New York University, April 26, *1957*, وايضاً Joseph Z. Reday, «Is U.S. Aid to the Orient Working ? » *United States Naval Institute Proceedings*, Nov . *1957*.

(٢) Ernest K. Lindly: *Middle East*, Newsweek, Collection of Articles, Oct. 7,*1957* - *Jan. 6 1958*.

الآرامية والسريانية ــ ما الفرق بينهما

انيس فريحه

توطئة :

من القضايا التاريخية التي يختلط امرها على كثير من المواطنين التفريق بين اللفظين آرامي وسرياني ، واللغة الآرامية واللغة السريانية . ويقع اللوم في الدرجة الاولى على بعض المؤرخين واللغويين الذين يستعملون اللفظين في كتاباتهم التاريخية واللغوية كمترادفين[1] . والواقع ان هنالك فروقات في الزمن، وفي وقائع التاريخ، وفي بعض النواحي اللغوية التي تفرض علينا ان نفرق بين آرامي وسرياني. والغرض من هذه العجالة توضيح الأمر ، وبشيء من الاقتضاب.

وليس الموضوع ببعيد عنا . فان الآرامية كلغة ، والآراميين كشعب لهما اوثق الصلات التاريخية واللغوية بسوريا وفلسطين ولبنان والعراق . والسريانية كلغة لا تزال حية في بعض الاوساط . والسريانية والسريان – كما سنوضح الأمر لك فيما بعد ـ هما اصلاً لغة سوريا وشعب سوريا . واثر الآرامية والسريانية في لغتنا المحكية ، صرفاً ونحواً ومفردات ، وفي اسماء القرى والمدن ، بادٍ للعيان .

(١) مثاله مقال قيم كتبه غريغوريوس بولس بهنام في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الرابع مجلد ٣٣ السنة ١٩٥٧ ، ص ٥٦٧ – ٥٨٧) عنوانه « العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية (السريانية) » لاحظ وضعه لفظة «السريانية» بين قوسين على انها مرادف آرامية . وبحثه في الحقيقة يدور حول اللغة السريانية .

وتسهيلاً للأمر سنتناول بالبحث النقاط التالية :

(ا) التسمية : آرام ، سوريا

(ب) لمحة تاريخية مختصرة

(ج) تنصّر الآراميين

(د) اللغة الآرامية ، انتشارها واثرها .

(ا) التسمية :

يقال آرام بمدّ وأرام بدون مدٍّ . وتطلق لفظة آرام على البلاد وعلى الشعب فيقال : جاء آرام ، وهرب آرام ، واصطف آرام للحرب[1] وفي اسفار العهد القديم تطلق لفظة آرام على جميع البلدان الواقعة شمالي فلسطين وشرقيّها ،وتطلق كذلك على البلاد الواقعة شرقي فينيقية بدون تحديد دقيق . وليس في اسفار العهد القديم ذكر لاسم سوريا ، بل ان كتّاب العهد القديم كانوا يشيرون الى بلاد الشام بقولهم « آرام » . ولم يشع اسم سوريا الا في العهد الاغريقي (السلوقيين) ، وعلى وجه التدقيق ، بعد ظهور الترجمة السبعينية[2] حيث نجد ان المترجمين ترجموا لفظة«آرام» بِ « سورية[3] ». اما هوميروس ، الشاعر اليوناني ، فلا يعرف لفظة سوريا بل يستعمل لفظة آرام وآرامي عند كلامه عن البلاد السورية والشعب السوري .واما هيرودوتس فيخلط بين لفظ Assyria (=أشور) وسوريا ويستعملها على انها لفظان مترادفان . وكان يشمل مناطق خارجة عن رقعة سوريا كما عرفها المؤرخون بعده. فقد كان يعتبر قبدوقية في آسيا الصغرى مقاطعة داخلة في سوريا . والحقيقة ان

---

(١) سفر صموئيل الثاني ١٠ : ٦-١٩

(٢) او الترجمة الاسكندرانية نسبة الى الاسكندرية . وهي ترجمة اسفار العهد القديم من اللغة العبرية الى اليونانية التي قام بها ٧٠ (وفي رواية اخرى ٧٢) عالماً يهوديا استقدموا من فلسطين للقيام بالمهمة . تقول الرواية ان خازن مكتبة الاسكندرية اقترح على بطليموس الثاني (وهو فيلادلفوس ٢٨٥-٢٤٧ ق.م) ان تترجم التوراة لحفظها في مكتبة الاسكندرية .

(٣) وفي اللغة السريانية تكتب بألف: «سوريّا» والنسبة اليها سُورْيايا، واللغة Leshâna suryâya اي اللسان السوري .

سوريا كبلاد محدّدة لم تكن معروفة قبل العهد الاغريقي – الروماني. ففي الادارة الاغريقية المتأخرة، وفي الادارة الرومانية، نجد لاوّل مرة في التاريخ « سوريا المحددة » . وهي مقاطعة تقع في وادي العاصي . غير انه في اجيال تاليـة اصبحت سوريا تشمل المناطق التي تشملها الآن .

ولا علاقة لاسم Assyria (اشور) بسورية . فان سورية اصلًا اسم مقاطعة بابلية اشورية : Sûri . وكانت تقع في مناطق الفرات الشمالية . ويظهر ايضاً ان البلاد الواقعة غربي شمالي الفرات كانت تقع ضمن Sûri . ثم ان الجزء الشمالي الشرقي من سوريا الحالية اصبح يعرف بِ Sûri على مبدأ تسمية الكل بجزء منه. اما Assyria فمأخوذ من Assûr وهي عاصمة اشور (قلعة الشرقاط حالياً) واسم الههم الاول . ولا نعرف على وجه التدقيق اذا كان الاله الاول هو الذي فرض اسمه على العاصمة ام ان اسم العاصمة أطلق على الاله الاول. ولفظة Assûr او Ashshûr مختلف كثيراً في اصلها واشتقاقها ومعناها . فقد تكون لفظة غير سامية : A-usar ، ومعناهـــا « البقعة المروية او المسقية » . وفي الالواح التي كتبت عليها ملحمة الخليقة نجد اللفظ بهذا الشكل : An-shar وبما ان النون ساكنة تسقط[1] ويعوّض عنها بتشديد الحرف الذي يليها ، فتصبح Ash-shar ومعناها « جند السماء » . وهكذا ترى ان Assyria (اشور) لا علاقة لها بلفظ سوريا كما يدل عليه اشتقاق لفظة اشور .

نعود الى لفظة آرام . ولا علاقة لها « بأرم ذات العِماد » الوارد ذكرها في القرآن الكريم (سورة الفجر،٦) . نعتقد بان الاسم مشتق من جـــذر سامي مشترك : « روم » ويفيد الرفعة والعلو والسمو . وطبيعي ان يتسمى شعب بلفظ يدل على علو المكانة والرفعة .

تفيدنا مصادر التوراة–والتوراة مصدر من مصادر التاريخ القديم لهذه المنطقة– ان آرام هو الابن الخامس لسام ابن نوح الجد الاعلى لجميع الشعوب السامية (سفر

---

(١) وهي قاعدة لغوية عامة في اللغات الساميـــة . واثر ذلك يظهر في العربية في امّحى ومِمّا وعمّا .

التكوين ١٠ : ٢٢) . وفي رواية اخرى (تكوين ٢٢ : ٢١) نجد ان آرام هو ابن قموئيل ابن ناحور . وناحور اخو ابراهيم الخليل . وفي رواية ثالثة نجد ان آرام من نسل اشير الجد الاعلى لقبيلة اشير (سفر الاخبار الاول ٧ : ٣٤) . يهمنا من الأمر ان نقرر ان آرام من صلب الشعوب السامية .

(ب) لمحة تاريخية مختصرة :

تطلق لفظة آراميين على مجموعة كبيرة من قبائل سامية توطنت سوريا والعراق وشمالي الجزيرة العربية . ومجموعة هذه القبائل تمثل الموجة السامية الثالثة التي اجتاحت الهلال الخصيب طلباً للماء والمرعى . واول ما نلتقي بهم في التاريخ نتعرف اليهم بدواً رُحَّلًا في شمالي الجزيرة العربية . ثم انهم حوالي ١٥٠٠ ق.م نزلوا شواطىء الفرات الاوسط ومن هناك اتجهوا غربا نحو سوريا حتى حدود فلسطين وفينيقية . وقد بلغت الغزوات الآرامية اشدها من حيث العنف والحجم في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . ولم يكونوا قبيلة واحدة بل مجموعة قبائل متحالفة اهمها قبائل الخبيرو[١] (او العبيرو) وقبائل الاخلامو التي يرد ذكرهما كثيراً في رسائل تل العمارنة التي يعود عهدها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وليس بمستبعد ان تكون قبائل الخبيرو هي ذاتها الشعب العبراني الذي قدم فلسطين غازيا عن طريق شرق الاردن . فان التقليد العبري يصرّ على ان اصل بطار كتهم آراميون من العراق القديم ، ومن حرّان على وجه التدقيق . وفي سفر التثنية ٢٦ : ٥ كان على اليهودي الذي يتقدم الى مذبح الآلهة وبيده اوائل اثماره ليقدمها تقدمة للرب ان يقول : « ... آرامياً تائهاً كان ابي .... »

ان مصادر تاريخ الآراميين السياسي قليلة جداً . فانهم بالرغم من اتخاذهم احرف الهجاء الفينيقية ونشرها في العالم المتمدن آنذاك لم يخلفوا لنا آثاراً كتابية ذات

---

(١) ليس في كتابة رسائل العمارنة – وهي كتابة مسمارية - رمز يرمز الى حرف العين، ولكنهم كانوا يستخدمون رمز الخاء ليرمزوا به الى حرف العين . اذن ليس بمستبعد ان لفظة «خبيرو» التي ترد كثيراً في هذه الرسائل هي « عبيرو » .

قيمة . ولكن هذه النقوش القليلة ، الى جانب ما تذكره التوراة عن دويلاتهم وحروبهم مع اسرائيل ، تعطينا صورة (ولو انها كانت غير واضحة المعالم) عن حضارة الآراميين .

من هذه المصادر نستطيع ان نرى انهم لم يستطيعوا ان ينشئوا دولة آرامية موحدة بل ظلوا دويلات وامارات صغيرة . فقد كان للطبع الصحراوي القبلي الفردي اثره العميق في حياتهم السياسية . وها نحن نذكر لك اهم هذه الدويلات :

« **آرام نهرايم** » اي آرام النهرين . ويرد ذكرها مراراً في اسفار العهد القديم (سفر التكوين ٢٤ : ١٠ تثنية ٢٣ : ٤ قضاة ٣ : ٨ مزمور ٦٠ : ٢) . ويرد ذكرها في النقوش المصرية Naharina واحياناً Naharima . ومعنى الاسم الجموع الآرامية الضاربة عند النهرين . لكن المؤرخين اختلفوا في تحديد النهرين ، فمن قائل انهما دجلة والفرات ، ومن قائل انهما الفرات والخابور – وهذا ما نميل نحن اليه – ومن قائل انهما الفرات والعاصي . وقد ترجم الاغريق الاسم الى لغتهم : Mesopotamia اي ما بين النهرين .

« **آرام فدّان** » ومن دويلاتهم آرام فدّان ، وفي اسفار العهد القديم فدّان آرام (سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ ، ٣١ : ١٨ ، ٣٣ : ١٨) . وكان دويلة في شمالي العراق القديم وعاصمتها حرّان . وحرّان مدينة قديمة يرد ذكرها في النقوش الاشورية: حرّانو او حرّاني ومعناها « ملتقى الطرق » . وقد كانت ملتقى طرق بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب . وكانت مركز عبادة الاله القمر : سِن. وحرّان موطن ابراهيم الخليل بعد نزوحهم عن اور الكلدانيين، وفيها توفي والده تارح[١] . والى مدينة حرّان ارسل ابراهيم عبده ليأخذ لابنه اسحق زوجة ، زوجة من الآراميين ، لانه لم يشأ ان يزوجه كنعانية . والى حرّان هرب يعقوب من وجه

---

(١) القمر (سِن في الاشورية البابلية) في بعض اللغات السامية « يَرَح » وفي العربية الجنوبية «وَرْخ» ومنها أرخ وأرّخ وتأريخ لان الزمن كان يقاس باشهر قمرية . ونحن نرى في هذا الاسم ، اسم والد ابراهيم ، اشتقاقاً تائياً من جذر « يرح » اي القمر

اخيه عيسو .

ان لفظة « فدّان » بابلية اشورية معناها حديقة ، وطريق . ومن معانيها النير والسكة ، سكة الفلاحة ، ثم توسُّعاً الحقل الزراعي. ولفظة فدان اللبنانية التي تعني زوج بقر للفلاحة ومساحة ارض يفلحها الفدان في يوم واحد ترَدّ الى اللفظة الاشورية ذاتها. واسفار التوراة لا تفرق احياناً بين فدان وآرام نهرايم نسبة لتقاربهما الجغرافي.

« آرام دمشق » :

وهي اشهر الدويلات الآرامية على وجه الاطلاق . واخبار حروب اسرائيل ضد آرام دمشق يعرفها قراء التوراة . وكانت عاصمتها دمشق . وكانوا يلفظونها «دَرْ مشق» و «دَمّشق» بحذف الراء والتعويض عنها بتشديد الحرف الذي يليها، وفي الاشورية Dimashki . وقد كانت هذه الدولة الآرامية اقوى الدول الآرامية عسكريا وارقاها حضارة. ونعرف عنها اكثر مما نعرفه عن سائر الدويلات الآرامية وذلك بفضل الدور الذي لعبته في حروبها ضد الاشوريين ايام ملكهم حزائيل ، وبعد ذلك ضد الدولة اليهودية ايام ملكهم الثاني ، داود ، الذي فرض الجزية على دمشق : ولكنه لم يستطع تثبيت قدميه ، لان مقاومة الآراميين كانت شديدة (سفر الملوك الثاني ٥-٨) .

« آرام صوبا و (صوبة) » :

ومن هذه الدويلات الآرامية التي يكثر ذكرها في اسفار العهد القديم آرام صوبا او صوبة . (مزمور ٦٠ : ٢ ، صموئيل الاول ١٤ : ٤٧ ، صموئيل الثاني الفصل الثامن والعاشر) وقد جاء في الفصلين الثامن والعاشر من سفر صموئيل الثاني ان ملكها هدد عزر حارب داود ، ولكنه خسر الحرب ودفع الجزية صاغراً (صموئيل الثاني ٨ : ٦) . وقد اختلف كثيراً في تحديد البقعة الجغرافية التي كانت تعرف بصوبا . فمن قائل انها كانت تقع بين حمص وحماة ، ومنهم من يجعلها جنوبي هذه المنطقة ، اي البقاع من غربيه الى مداخل حمص . يقول هلفي ان عاصمتها كانت

عنجر واسمها الكلاسيكي القديم خلقيس و Chalcis لفظة اغريقية معناهـا النحاس الاحمر . ونحن نميل الى الاعتقاد ان الاغريق سمّوا عاصمة صوبا بكلمة هي ترجمة اسم صوبا ، اذ ان صوبا ربما كان اصلها « صهوبا » ومعناها الاحمر (من جذر سامي مشترك صهب ويفيد الحمرة) . او قد يكون الاسم من « زهابا » ومعناه الذهب فسمّى الاغريق عاصمتها « عنجر » بترجمة اسمها الى لغتهم . وقد ورد ذكر اسم مدينة من مدنها بالقرب من بعلبك : بيروثاي او بيروثه . وليس لهذا الاسم علاقة بمدينة بيروت بل يجب ان يقرن بقرية بريتال بالقرب من بعلبك (وفي قاموس Gesenius يسميها بريتان وهو خطأ) . وعندما تذكر « آرام صوبا » تذكر معها ايضاً « آرام رحوب » (صموئيل الثاني ١٠:٦،٨) ومعنى الاسم رحب ، فسيح متسع ، ويظن انها كانت بالقرب من حماة .

« آرام معكة » :

وهي امارة آرامية في شمال فلسطين . وقد جاء ذكرهـا في اسفار التوراة (سفر الاخبار الاول ١٩:٦) ومعكة الذي تنسب اليه الامارة ملك آرامي من سلالة ناحور ابي الآراميين واخي ابراهيم الخليل (سفر التكوين ٢٢: ٢٤) . وكان يقع بالقرب من معكة ايالة آرامية اخرى : « آرام جشور » الوارد ذكرهـا في صموئيل الثاني ١٥:٨ ، يشوع ١٣:١٣ . وقد تزوج الملك داود ابنـة ملكها ، واولدت له ابنه ابشالوم (صموئيل الثاني ٣.٣) .

وليس لنا ان نساير تاريخ كل من هذه الدويلات يكفينا من الامر ان نذكر اسماءها ومواقعها لكي نعطي القارىء الكريم صورة عن مدى اتساع الرقعـة الجغرافية اولاً ، وصورة الانقسام السياسي ثانيا .

(ج) تنصّر الشعوب الآرامية

لم يتنصر الآراميون دفعة واحدة . ولا نعرف على وجه التدقيق متى بـدأ تنصرهم . اما التقليد الآرامي فيصر على انهم كانوا اول من قبل المسيحية ، وذلك

على يد احد ملوكهم ابجر الاسود ملك ايدسا . ولا نرى بأساً في ان نتوسع قليلا في قصة تنصرهم كما وردت في تواريخهم . وسواء اصحت الرواية ام لم تصح فان الحقيقة التي نحب ان نقررها هي انهم كانوا من الشعوب السامية الاولى التي قبلت الدعوة الجديدة وذلك لتقاربهم العنصري واللغوي مع اليهود. ومعلوم ان المسيحية انتشرت اولاً في الأوساط اليهودية .

ايدسّا :

تدور قصة تنصرهم حول اسرة ملكية من اصل عربي – كما يظهر من اسماء ملوكها امثال ابجر الاسود ومعْن وبكر – ملكت في مدينة ايدسا عاصمة مقاطعة آرامية تقع في اقصى الشمال من بلاد ما بين النهرين القديمة . وتعرف في الجغرافية الكلاسيكية بمقاطعة اوزروني (Osrhoene) نسبة الى اول ملك من ملوكها ، واسمه في الاغريقية Osroes .

واختلف كثيراً في تفسير معنى « ايدسّا » فمن قائل انها سميت باسم مدينة اغريقية : ايدسّا (Edessa) عاصمة مقدونية . ومنهم من يرى في الاسم جذراً سامياً مشتركا : حدث ومعناه الجديد فيكون الاسم السامي القديم حِدَثا فغيّره الاغريق الى إدسّا (الحاء ليّنت الى i والثاء قلبت سيناً) . ومنهم من يعتقد انها من «هدس» وهو في الارامية والعبرية الآس myrtle . والهَدَس في العربية هو الآس ، ويجب ان يكون لفظاً دخيلاً من العبرية او الآرامية .

أما العرب فقد سموها الرها كما هي في الآرامية والسريانية: أورهَيْ والنسبة اليها اورهايا. ولا يعلم على وجه التدقيق اذا كانت المدينة قد سميت بالرها (اورهي) نسبة الى ملكها الاول ومؤسسها Osroes كما يظهر في الكتابات الاغريقية ، ام الى اسم قبيلة آرامية ورد ذكرها كثيراً في نقوش تغلث فلاصر الرابع وسرجون وسنحاريب : Ru-'-u-a . وبالرغم من ان هذه القبائل الآرامية التي كان يشير اليها ملوك اشور كانت تسكن مناطق بعيدة عن ايدسّا فانه ليس بمستبعد ان يكون بعض فلولهم وجد طريقه الى شمالي العراق واسسوا هناك دويلة آرامية .

اما اسم الرها الحالي فهو اورفا وتقع في تركيا في عهدنا هذا . تقول قصة ابجر اوكاما[1] (اي الاسود . وحصان عنتر الاسود كان يسمّى الابجر) :
« في سنة ٣٤٣ للملك اليونان [2] ، وفي عهد مولانا طيباريوس قيصر وفي عهد الملك ابجر ابن معنو الملك ، في شهر تشرين الاول ، وفي اليوم الثاني عشر منه ، ارسل ابجر الاسود رسلاً... (وهنا يذكر اسماءهم) الى المعظم سبينوس بن اوسطرجيس عامل مولانا قيصر في مدينة الوترفوليس ، وهي في السريانية بيت جبرين (من اعمال فلسطين) ... وحملوا اليه الرسائل ... ولما خرجوا من لدنه سافروا وجاءوا في طريقهم الى اورشليم . فرأوا جماهير كثيرة كانت قد اتت لتعاين المسيح ، لانه كان قد ذاع خبره في جميع البلاد القاصية . فرافقوهم الى اورشليم ».

وتقول القصة كيف ان هؤلاء الرسل الآراميين من ايدسا شاهدوا العجائب التي كان يصنعها يسوع : البرص يطهرون ، والعمي ينظرون ، والعرج يمشون ، والصم يسمعون . فدهشوا ونقلوا الخبر الى مولاهم ابجر الاسود .

وكان ابجر الاسود مصابا بداء النقرس (وهو ورم يصيب المفاصل) ، ويقول بعضهم انه كان مصاباً بالبرص . وعندما سمع الملك المريض خبر هذا الطبيب العجيب (لانه هكذا كان يسمّيه في القصة : طبيباً) قرر في نفسه ان يبعث اليه برسالة يدعوه فيها لزيارته في ايدسا ليشفيه من مرضه لانه « آمن به ولم يَره . » فحمل الرسالة اليه رسول اسمه « حنا الكاتب » . وعندما وصل حنا الى اورشليم سأل عن المسيح فوجده عند غملائيل رئيس الاحبار . وفي بيت غملائيل فضّت الرسالة واذا فيها:

« من ابجر الاسود الى يسوع الطبيب الصالح الذي ظهر في اورشليم ، سيدي

(١) والقصة السريانية التي سنلخصها تجدها في منتخبات كارل بروكلمن :
Syrische Grammatik , (Berlin, 1925.)
ص ١٢ - ٢١ . وسنترجم عن السريانية بعض المقاطع حرفياً - وهي الفقرات التي بين قوسين - وسنلخص بعضها تلخيصاً .

(٢) الملك اليوناني يبد سنة ٣١٢ ق.م وهي سنة انتصار بطليموس في غزة ضد خصومه في سوريا. وقد اتخذوا هذه السنة بدء تاريخ حديد . وعليه فتكون سنة ٣٤٣ الواردة في النص السرياني سنة ٣١ب.م اي في السنة الاولى لكرازة السيد المسيح (اي انك تطرح ٣١٢ من ٣٤٣ = ٣١)

سلام . سمعت عنك وعن طبابتك ، فانك لست تشفي بالادوية والحشائش لكنك بكلمتك تفتح عيون العميان ، وتمشي العرج ، وتطهر البرص ، وتسمع الصم ، وتخرج الارواح الشريرة من المصروعين ، وتشفي المعذبين بكلمتك وتقيم الموتى . فلما سمعت انك تصنع هذه العجائب العظيمة قلت في نفسي اما انك الاله الذي نزلت من السماء وصنعت هذه العجائب او انك ابن الله لتصنع هذه الاشياء كلها . ولذا كتبت وطلبت منك ان تحضر الي ، فاني اؤمن بك ، فتشفي مرضاً بي . ثم اني سمعت ايضاً ان اليهود يتشكون منك متذمرين ويضطهدونك ويحاولون ان يصلبوك ويبتغون اذيتك . فاني صاحب مدينة صغيرة جميلة تكفي لنسكن فيهـــا كلانا بطمأنينة وسلام[1] ».

ثم تتابع القصة فتقول انه عندما طالع السيد المسيح الرسالة قال لحنا الكاتب : « اذهب وقل لمولاك الذي ارسلك اليّ . طوبى لك لانك آمنت بي مع انك لم ترني . فقد كتب عني : ان الذين يرونني لا يؤمنون بي . واذ قد كتبت الي لآتي اليك (فاقول) : ان ما قد ارسلت لاجله قد تم الان . وانا صاعد الى ابي . وعندما اصعد اليه ارسل اليك واحداً من تلاميذي لكي يشفي ما بك من مرض ويردّ شعبك الى الحياة الابدية . ومدينتك تكون مباركة ولن يستولي عليها عدوّ الى الابد».

ثم تقول القصة « ... وبما ان حنا الكاتب كان مصور الملك اخذ وصور شخص يسوع بادوية منتخبة واحضر الصورة الى ابجر الملك » .

وعندما مات المسيح ارسل يهوذا توما[2] الى ابجر الملك ادّي الرسول الذي كان واحداً من الاثنين والسبعين رسولاً . وعندما حظي ادّي بمقابلة ابجر شفاه من مرضه وبشره ببشارة الانجيل . فآمن به هو وجميع اشراف مملكته . وكان ادّي يصنع العجائب ، فآمن به عامة الناس . وعمدهم وبنى لهم كنيسة عظيمة . ثم ان كهنة الهياكل الوثنية حطموا اصنامهم وهدموا مذابحهم وآمنوا بالمسيح .

---

(١) نذكر القارىء الكريم ان الترجمة ترجمة حرفية عن السريانية . وقد حرصنا على ان تكون حرفية ، ولذا جاء التركيب العربي احياناً ركيكاً

(٢) كان الرسول توما يدعى ايضاً يهوذا كما جاء في يوسا بيوس وكما جاء في تقول قديمة .

هذه هي قصة تنصر ايدسّا على يديّ ادّي الرسول. وقد كانت تعتبر في الاوساط المسيحية الشرقية القديمة تاريخاً مثبتا الى ان تعرضت القصة الى النقد التاريخي العلمي عندما ظهر فيها من التناقض مع حقائق تاريخية اخرى مستمدة من مصادر غير كنسية ما جعل كثيرين من المؤرخين والنقاد يرفضون صحتها التاريخية. مثاله ما جاء في خبر الفيضان الذي اصاب مدينة ايدسّا سنة ٥١٣ «للملك اليونان»[١] اي سنة ٢٠١ للميلاد. يقول الخبر ان ديصان (وهو اسم النهر الذي يمر بمدينة الرها اي ايدسّا) فاض فيضاناً عظيماً خرّب المدينة وسبب خسارة عظيمة في الارواح. وعندما يذكر كاتب الخبر المباني الجميلة التي خرّبت يقول «ثغرت المياه سور المدينة الغربي وخرّبت قصر الملك العظيم. وجرفت كل شيء امامها من بنايات جميلة، من جملتها هيكل المسيحيين». ولو ان المدينة كانت قد تنصرت، كما تقول قصة الملك ابجر، زمن المسيح او بعده بسنة لما كان كاتب قصة الفيضان يقول: «ومن جملة المباني هيكل المسيحيين» اذ ظاهر ان اكثرية السكان كانوا لا يزالون على دين الوثنية، وان النصارى كانوا اقلية لهم هيكل خرّبه الفيضان. وفضلاً عن هذا فان في القصة ذاتها ما يدعو الى الشك: اقتباسات من الاناجيل يوم لم يكن هنالك بعد اناجيل، وقصة الصورة، وقصة الرسائل وما فيها من عنصر الاسطورة، والاشارات الى اعمال لم تكن بعد قد وقعت مثل الاشارة الى ان اليهود «يحاولون ان يصلبوك» وغيرها كثير[٢]. فان القديس اوغسطين وكذلك جيروم يصران على ان السيد المسيح لم يكتب شيئاً. وقد رفض البابا جيلاسيوس في المجمع الكنسي الروماني (سنة ٤٩٥) ان يأخذ بتاريخية القصة.

ولكن اية كنيسة لا ترغب في ان تكون اول كنيسة قبلت بشارة الانجيل؟ واي شعب مسيحي لا يسعى جاهداً — ولو عن طريق الاسطورة — ليثبت انه

---

(١) وتجد نص الخبر في اللغة السريانية في منتخبات كارل بروكلمن : Syrische Grammatik (برلين ١٩٢٥) ص ٢١ - ٢٢.

(٢) من اراد التقصي فانه يستطيع الرجوع الى كتابات من اسهبوا في الموضوع، وافضلها دراسة ليبسيوس (Lipsius) :

Die Edessenische Abgarsage Kritisch untersucht (1880).

اول شعب تنصر ؟ ومهما يكن من امر فاننا نود اثبات حقيقتين لهما علاقة بتنصر القبائل الآرامية سواء أكان التنصر في القرن الاول او الثاني او الثالث : **اولاً** تغيير اسم الآراميين المسيحيين الى سريان . **ثانياً** ترجمة اسفار العهد القديم والجديد الى لهجة آرامية اصبحت فيما بعد لغه رسمية معترف بها هي اللغة السريانية .

عندما تنصر اهل الرها تخلوا عن اسمهم القديم – آراميين – وتسمّوا بالسريان اي السوريين ، اهالي سوريا . وصارت لفظة آرامي مرادفة انذاك للفظة وثني . وكذلك اصبحت لفظة سرياني (اي من سوريا) مرادفة للفظة مسيحي .

وفي معاجمهم تجد لفظة «أرمايا» مفسّرة بلفظة وثني او صابئي . وطبيعي ان تجد رغبة عند الآراميين في تغيير اسمهم القديم الذي كان يذكرهم بايّام الوثنية الى اسمهم الجديد : سريان (اي سكان سوريا) . والى جانب هذا الحماس الديني نجد حماساً وطنياً : الانتساب الى بقعة من الارض (سوريا) عوضاً عن الانتساب الى قبيلة آرام . ومن هنا كان اختفاء الاسماء « آرامي » و « آرامية » و « آراميون » وظهور اسم جديد : « سريان » و «سريانية» .

وكان من جراء تنصرهم ظهور لغة ادبية عرفت فيما بعد بالسريانية . واللغة من مقومات القومية . فتكون السريانية لهجة آرامية ارتقت الى مصاف اللغات الادبية بفضل ترجمة التوراة من العبرية واليونانية الى هذه اللهجة .

الترجمة البسيطة :

يُصرّ التقليد السرياني على ان ترجمة التوراة جرت في اواخر القرن الأول للميلاد او في اوائل القرن الثاني . ويروي بعضهم ان ابجر الخامس الذي جئنا على ذكره انفاً اتفق مع ادي الرسول على نقل التوراة الى لهجة ايدسا الآرامية . فوجها الى اورشليم رجالاً خبيرين باللغات الثلاث العبرية والاغريقية والآرامية الرهاوية ليتولوا نقل التوراة . وسميت هذه الترجمة «بالبسيطة» (Peshitta) او « صورت كتاب » اي صورة الكتاب . على ان فريقاً من علماء التوراة يشكون في صحة

الرواية هذه ويعتقدون ان القديس ربولا (من رجال الكنيسة في القرن الخامس ميلادي) هو اول من نقل ترجمة الاناجيل عن اليونانية الى السريانية . فتكون الترجمة « البسيطة » من عمل ربولا . ويستندون في زعمهم الى عبارة وردت في سيرة حياته تنقل ترجمتها حرفياً « ان ربولا بما خص به من الحكمة شرح العهد الجديد من اليوناني الى السريانية بسبب اختلافاته . ولقد ضبطه كما كان سابقاً [١] » فقد ظن بعض هؤلاء العلماء خطأ ان لفظة Pashsheg معناها ترجم والاصح ان معناها شرح وفسّر . فيكون ربولا مفسّراً او شارحاً لترجمة سابقة ، وليس هو المترجم الاول . وقوله « كما كان سابقاً » اشارة الى ترجمة قديمة شائعة مألوفة في الكنيسة الرهاوية . اذ لا يعقل ان تظل الكنيسة بعض قرون بدون ترجمة سريانية الى زمن ربولا .

ان لغة هذه الترجمة اصبحت لغة ادبية . واصبحت تعرف بالسريانية نسبة الى السريان الذين بعد تنصرهم غيّروا اسمهم القديم « الآراميين » الى سريان .

(د) اللغة الآرامية ، انتشارها واثرها :

اللغة الآرامية مصطلح لغوي يشمل عدة لهجات متقاربة ، واقرب ما تكون الى اللغة العبرية ـ الكنعانية . وقد كانت مواطن الآرامية قديماً تمتد من اعالي دجلة والفرات شمالاً الى تيماء في شمالي الحجاز جنوباً ،ومن الشاطىء السوري اللبناني غرباً الى بلاد الانباط (شرق الاردن وحوران) شرقاً . وقد وجد في جزيرة الفيلة ، جنوبي مصر ، وثائق مكتوبة باللغة الآرامية على البردي يرجع عهدها الى القرن السادس والخامس والرابع ق.م. حيث كان هناك مستعمرة يهودية بقيت الى زمن البطالسة. وفي القرن الثامن ق.م حلت الآرامية محل الكنعانية بفضل التجارة لا السياسة . وبعد انقراض سلطان العبرانيين السياسي اصبحت الآرامية لغة اليهود العامية . وبعد ٥٠٠ ق.م اصبحت اللغة الدولية الرسمية في الشرق الادنى القديم .

(١) من حياة ربولا اسقف ايدسّا بالنص السرياني في كارل بروكلمن في Syrische Grmmatik الذي اشرنا اليه . ص ٨٢ من قسم المنتخبات .

فان الفرس ، كورثة للمملكة الاشورية ، اعتبروا الآرامية لغة رسمية ، ذلك لان سواد الناس في الممالك التي فتحوها كانوا يتكلمون الآرامية ، ولان للآرامية نظاماً كتابياً حسناً لم يكن للفارسية مثله .

نتعرّف الى الآرامية عن طريق :

(١) النقوش :

واكثرها على حجارة واختام وموازين وعلى بعض الحجارة الكريمة . وهي بطبيعة الحال قصيرة مقتضبة . ومن النقوش التاريخية المشهورة نقش بن هدد الاول الذي وجد شمالي حلب ، ونقش ملك حماة ، ذاكر الآرامي ، ونقش صغير من تل الحلف [١] .

(٢) آرامية اسفار العهد القديم :

اي الفقرات والفصول والمفردات والتراكيب التي اثبتت في نص اسفار العهد القديم بشكلها الآرامي الصرف . وهذه الآرامية تمثل لهجة فلسطين الآرامية . واليك مواقعها في هذه الاسفار : سفر دانيال ٢ : ٤ – ٧ : ٢٨ ، سفر عزرا ٤ : ٧– ٦ : ١٨ ، ومن ٧ : ١٢–٢٦ ، ارميا ١٠ : ١١ ، وبعض كلمات متفرقة وتراكيب يظهر فيها الاثر الآرامي كما في حزقيال ٢٤ : ٢٦ ، ٣٣ : ٣٠ ، المزمور ١١٦ : ١٢ ، سفر ايوب ٣٧ : ١٣ .

(٣) آرامية الترجوم .

والترجوم كلمة عبرية من اصل آرامي معناها التفسير . والترجوم كناية عن ترجمة وتعليق وتفسير لاسفار العهد القديم العبرية كتبت بلهجة فلسطين العامية المحكية التي كانت الآرامية ، لا الكلدانية كما يظن خطأ . والسبب في ذلك ان عامة اليهود تخلوا في حياتهم اليومية عن العبرية واستعاضوا عنها بالآرامية الشائعة . فانه في زمن السيد المسيح كانت لغة الناس الآرامية . ولكن العبرية لم تمت بل انزوت

1 American Journal of Sem. Lang. , Vol 58 (1941) pp 359-62.

في المعابد والمدارس . وكان ربابنة اليهود يحرصون على ان تقرأ الاسفار في الكنيس باللغة العبرية الفصحى . وقد عارضوا ترجمة الاسفار الى الآرامية . ولكن الحياة كانت تفرض عليهم شيئاً من التسامح . وقد تحدّر الينا وصف للطريقة التي كانت تقام بها العبادة في الكنيس حوالي ٢٠٠ ق.م عندما اختفت العبرية كلغة محكية بين الناس . كان الحاخام يقرأ النصّ العبري ، وكان يقوم الى جانبه ترجمان – وفي العبرية مترجمان – فيقرأ النصّ بالآرامية ويفسّره ويعلق عليه . وهذه الترجمات والتفاسير والتعليقات تسمى في مجموعها بالترجوم ، ولغته آرامية .

(٤) آرامية التلمود :

والتلمود لفظة عبرية ايضا معناها التعليم والارشاد (من فعل لمـد ولمّد بمعنى تعـلّم وعـلّم ومنها التلميذ في العربية) . وهو الادب الديني الذي نشأ في القرن الرابع ميلادي ، وهو التلمود الفلسطيني ، وفي القرن الخامس والسادس ميلادي وهو التلمود البابلي . ويحتوي على جملة من القوانين والاحكام الشفهية التي تعنى بمختلف نواحي الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية كالطهارة وقوانينها ، والزراعة والاقتصاد والاعياد . وفيه جملة من القوانين التي تعنى بالمرأة والحياة العائلية . ويشمل التلمود قسمين رئيسيين : المشنا (من جذر شنا يقابله ثنى اي كرر واعاد) والجمارة (Gemara) . والجمارة تشمل قسمين : الهلاكا (من جذر هلك او سلك) وهو الجزء الشرعي الديني ويعني بالسلوك والتصرف والآداب والعرف . والهجادة (من وزن هفعيل من نجد اي اخبر واعلم وقصّ) وهو تعليم علماني انساني يحتوي على قصص واخبار وامور تعنى بالتنجيم والسحر والطب وعلم الاسرار . والتلمود كما المعنا انفاً ، نوعان : التلمود البابلي وهو مكتوب بآرامية شرقية كانت شائعة في العراق ، والتلمود الفلسطيني وهو مكتوب بلهجة آرامية غربية .

(٥) آرامية تدمر :

وهي مجموعة النقوش التي وجدت في تدمر ، وهي مكتوبة بلهجة آرامية . وقد يكون التدمريون من اصل عربي ، غير ان لغتهم لم تكن العربية بل الآرامية.

(٦) آرامية الانباط :

وكانت مملكة الانباط تمتد من حوران الى البتراء (سلع القديمة) وقد كان الانباط من قبائل عربية . غير ان لغتهم الرسمية ، اي اللغة التي ابقوا لنا منها اثاراً عديدة كانت لهجة آرامية مشوبة ببعض المفردات والتراكيب العربية وذلك بحكم الجوار للقبائل العربية الضاربة في مواطن قريبة منهم .

(٧) ارامية السامريين :

فانهم ترجموا كتابهم المقدس ، اسفار موسى الخمسة المعروفة ب Pentateuch ، الى لهجة آرامية ، وذلك عندما اصبحت الآرامية اللغة الرسمية الشائعة في جميع انحاء الشرق الادنى .

(٨) آرامية الرهاء او ايدسّا :

واخيراً ، واهمها جميعاً ، آرامية الرها التي تعرف اليوم بالسريانية ، والتي تمثلها ترجمة « البسيطة » او «صورة كتاب» . وعندما وقع الخلاف العقائدي اللاهوتي في طبيعة المسيح «وام الله» (Theotocos) وغير ذلك من العقائد التي سببت انقسامات كنسية ، انقسمت الكنيسة السريانية الى قسمين كنيسة شرقية (نسطورية) وكنيسة غربية (يعقوبية) . وترتب على هذا الانفصال الديني انقسام سياسي . وكان من جراء هذا الانفصال الديني والانقسام السياسي والموقع الجغرافي اختلاف لغوي ايضاً . وهذه الاختلافات اللغوية ليست بذي بال . فان الشرقي مثلاً يلفظ ألأهَا (اي الله) بالفتح والتشديد ، بينما يلفظ الغربي (ويتبعهم الموارنة) ألوهو ، بدون تشديد ، والمد الطويل ā يصبح ō . ويظهر لنا من دراستنا اسماء المدن والقرى اللبنانية ان لفظها القديم كان يتّبع اللفظ الشرقي ، فكانوا يقولون فاريّا ورشميّا وبكفيّا بالتشديد والمد الطويل ā . وجُلّ علماء الموارنة يقرون بان اللفظ الشرقي هو الاصح .

واللغة السريانية ، الشرقية والغربية ، لم تمت ، بل انها لغة حية في اوساط مختلفة

في الشرق الادنى ، وفي ليترجيات (اي خدمة القداس او طريقة العبادة) مختلفة في كنائس الشرق الأدنى (كما هي الحال في الكنيسة المارونيـــة) . واما آثار الآرامية السريانية في اللهجات العربية المحكية فبادية للعيان. وفي سوريا ثلاث قرى، معلولا وبخعة وجبعدين ، لا يزال اهلوها يتكلمون لهجة آرامية [1] . ولنا محاولة في دراسة المفردات العربية العامية جمعناها في شكل معجم فيها مئات من المفردات التي ترد الى اللغة السريانية والآرامية القديمة [2] . وقد ظلت جملة من قرى لبنان الشمالية العالية (مثل اهدن وبشري وحصرون) تتكلم باللغة السريانيـة الى القرن السابع عشر كما ذكر اكثر من سائح اوروبي زار المنطقة . واثر السريانية ظاهر في شكل الضمائر المنفصلة في العربية المحكية ، وفي تصريف الفعل واوزانه ، واهم من هذا في التركيب « اي في النحو [3] ».

ويظهر اثر الآرامية في دراسة اسماء المدن والقرى اللبنانيـــة . وفي مقدمة الكتاب الذي خصصناه لهذه الدراسة من الشواهد ما يثبت اثر الآرامية في هـذه البلاد [4] .

(١) وقد عني المستشرقون بدراسة هذه اللهجة نذكر منهم : G. Bergstraesser :
Neuaramaïsche Maerchen und andre Texte von Ma'lùla (Leipzig *1915*); Anton Spitaler, Grammatik des neuarmaichen Dialekts von Ma'lùla (Hamburg, *1938*)

(٢) انيس فريحه : معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية (جونية ١٩٤٧) .

(٣) وقد درس هذه الناحية درساً علمياً دقيقاً المنسنيور ميشال فغالي في عدة كتب له احسنها :
Syntaxe des parlers Arabes actuels du liban , Paris, 1928 .

(٤) انيس فريحه : اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معناها (جونية ١٩٥٦) .

التربية والتعليم في انكلترة والولايات المتحدة الأميركية

جبرائيل كاتول

الغرض من هذا المقال الالمام بتنظيم التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية وما يليهما من التعليم الاضافي وتفصيل بعض الاهداف والمشاكل التي لا تزال مدار بحث ونقاش وما كان لجميع ذلك من اثر في حياة الشعبين الانكليزي والاميركي .

التربية والتعليم في انكلترة

يظهر ان الانكليز بعد ان خبروا حربين عالميتين ونتائجها قد اخذوا يرسمون الخطط للمستقبل في عناية فائقة وهم جادون في تنفيذها . فبعد تقلص امبراطوريتهم وانفاق قسم كبير من ثروتهم على الحربين تأزمت امورهم وكثرت مشاكلهم ولكنهم يحاولون التغلب على مصاعبهم في حزم وعزم درءاً لمخاطر تنازع البقاء .

ان انكلترة لا تكفي نفسها زراعيا وسائر بلاد العالم تزاحمها صناعياً اضف الى ذلك ان الانكليز يرغبون في الحفاظ على حياتهم الديمقراطية وان التقدم الاجتماعي في القرن العشرين يفترض تكافؤ الفرص لافراد الشعب ولذلك فقد عقدوا امالهم على التربية والتكنولوجيا . فاصلحوا الجهاز الاداري للتعليم وعدّلوا تنظيم المدارس وجددوا اساليب التعليم وزادوا الانفاق عليه وعنوا خاصة بالتعليم الصناعي الراقي.

الادارة ـ أنشئت وزارة التربية بدلاً من مجلس التربية لكي تشرف اشرافاً مجديا على بناء سياسة وطنية عامة للتربية والتعليم ومع ذلك فان التربية لا تزال مشتركة

بين السلطة المركزية والشعب بواسطة السلطات المحلية المنتخبة فالسلطات المحلية مسؤولة عن التعليم الابتدائي والثانوي وعن نواح متعددة من التعليم الاضافي بمساعدة الوزارة مالياً وتربويا .

ان السلطات المحلية هي المجالس المحلية التي ينتخبها الشعب في المقاطعات والمدن وحينما تتولى هذه المجالس شؤون التعليم تصبح سلطات التربية المحلية . وللاضطلاع بالاعمال التربوية تؤلف كل سلطة محلية لجنة للتربية اكثر اعضائها من اعضاء السلطة المحلية وتحوي ايضاً افراداً ذوي خبرة في التربية وتخول هذه اللجنة القيام بجميع الاعمال ما عدا فرض الضرائب وعقد القروض المالية . ولكل سلطة محلية ادارة للتربية لها مدير ومفتشون وموظفون فنيون واداريون .

المال – تفرض سلطات التربية المحلية ضرائب للتعليم ولكن الدخل من هذه الضرائب غير كاف فتنجدها وزارة التربية باعانات مالية تتراوح بين ٢٥ في المائة و٧٠ في المائة من نفقات التعليم ، بحسب الامكانات المالية لكل سلطة وتتبع الوزارة في ذلك قاعدة تجعل بها نصيب المقاطعات الفقيرة اوفر . وعلى الاجمال تدفع السلطات المحلية اربعين في المائة من نفقات التعليم وتدفع وزارة التربية ستين في المائة . والتعليم في مدارس السلطات المحلية مجاني وعند الحاجة تمنح هذه السلطات التلاميذ الذين يتجاوزون سن التعليم الالزامي اعانات مالية في سبيل نفقاتهم الخاصة وتقدم ايضاً منحاً للدراسة في كليات الفنون والصناعات كما انها تشترك مع الدولة في اعطاء منح مالية للدراسة في الجامعات والغرض ان لا يحرم التعليم العالي من هو اهل له لقلة ماله .

ولا يخفى ان هذا النوع من اللامركزية في ادارة التربية يثير اهتمام الناس بالتعليم ويعودهم الاعتماد على النفس وتحمل التبعات ويمكنهم من تعديل مناهج التعليم بحسب حاجة التلاميذ وبيئتهم كما انه يشجع على التجريب والابداع في الاساليب ولكن المفروض فيه ان يكون هنالك تبادل في الثقة بين افراد الشعب وكذلك بين السلطة المركزية والسلطات المحلية .

مراحل التعليم ـ التعليم على ثلاث مراحل ابتدائي وثانوي وما يلي هاتين المرحلتين فمنه اضافي ومنه جامعي . والتعليم الزامي من السنة الخامسة الى الخامسة عشرة من العمر والهدف تكافؤ الفرص للجميع بحسب القابلية والمواهب الطبيعية.

ينتهي التعليم الابتدائي ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة من العمر وفي نهاية هذه المرحلة يفرض على التلاميذ اختبار في الذكاء واختبار في اللغة الانكليزية والحساب. وبحسب النتائج ينتخب ما يقرب من الربع الاعلى في كل منطقة ويخيرون بين دخول المدارس الثانوية للآداب والعلوم او دخول المدارس الفنية ويوجه الباقون الى مدارس تدعى المدارس الثانوية الحديثة غير ان بعض السلطات قد ادخل تعديلاً على طريقة الانتخاب هذه .

مدة الدراسة في المدرسة الثانوية للآداب والعلوم خمس سنوات تتلوها دراسة اختصاص مدة سنتين او ثلاث سنوات استعداداً لدخول الجامعات اما المدرسة الثانوية الفنية فليست مهنية بل تعنى عناية خاصة بالرياضيات والعلوم وببعض النواحي العملية المتعلقة باشغال الخشب والمعادن بالاضافة الى عنايتها بالثقافة العامة وبعضها يهتم بالدروس التجارية او الزراعية . وهدف هذا النوع من المدارس اعداد التلاميذ لدخول المعاهد الفنية الراقية او للالتحاق بالأعمال الصناعية او التجارية . فيلاحظ ان الذين يوجهون في المرحلة الثانوية الى العلوم العالية في الهندسة والصناعة هم من النخبة في المقدرة العقلية وهم في ذلك كالذين تعدهم مدارس الاداب والعلوم لدخول الجامعات فالانكليز يعتمدون البحث عن النخبة واعدادهم للتعليم العالي ولا يدعون العوز المالي يحول دون متابعة الدراسة في الجامعات والمعاهد العالية .

اما المدارس الثانوية الحديثة وهي النوع الثالث فهي لمعظم الذين يتمون التعليم الابتدائي وهم خليط من متوسطي الذكاء ومن هم دون ذلك وهدف هذه المدارس تثقيف التلاميذ واعدادهم للحياة فمناهجها تعنى بالثقافة العامة وبعض النواحي العملية الملائمة للبيئة ولذلك تتبع كل مدرسة مناهج واساليب بحسب حاجة تلامذتها ورغباتهم ولا يطلب من هؤلاء بعد اكمالهم هذه المرحلة دخول الامتحان العام

للدراسة الثانوية فالمعلمون احرار في انتخاب المناهج والاساليب التي تعود على تلامذتهم باكبر فائدة ولا غرابة في ذلك لان الهدف هوالتربيةلاحفظ مواد دراسية تفرضها السلطة . والمعلمون يدركون ان معظم الشعب الانكليزي سيكون من هؤلاء الفتيان والفتيات فهم والسلطات المحلية يبذلون كل مجهود في تثقيفهم . ومن الادلة على الاهتمام بهذه المدارس ان بناية مدرسة شيدت حديثاً في مدينة صغيرة لتستوعب خمسمائة تلميذ وتلميذة تبدو فوراً للزائر انها من النوع الفخم الانيق . فبالاضافة الى غرف للتدريس وقاعة فسيحة للاجتماعات واخرى للرياضة البدنية تحوي البناية غرفتين للاشتغال بالمعادن والخشب وغرفة للفنون وغرفة لصنع الفخار واخرى للنسج وغرفة للعلوم العامة ومختبراً للفيزياء وثلاث غرف للتدبير المنزلي .

وقد احتدم الجدل حول طريقة الانتخاب لدخول المدارس الثانوية ودرجة الاعتماد على نتائج الاختبارات التي تفرض على الذين يتمون التعليم الابتدائي وتقرر مصيرهم وقد اشتركت الجمعية البريطانية لعلم النفس في البحث فنشرت كتابا موضوعه الانتخاب للمدارس الثانوية بينت فيه مواطن الضعف في طرق الانتخاب واقترحت تعديلها ولكنها لم تقترح الغاءها . ويظهر ان المشادة لا تخلو من اغراض سياسية واجتماعية فحزب العمال يميل الى تأسيس مدارس ثانوية شاملة تضم تلاميذ من جميع القوى العقلية على ان يوزعوا في المدرسة الواحدة على اقسام وشعب بحسب الامكانات العقلية والحاجات والرغبات وهم يرون ان هذه الطريقة تساعد على زيادة التقارب والتفاهم بين جميع الطبقات والافراد فضلاً عن انها تسهل انتقال التلميذ من نوع من الدراسة الى اخر عند بلوغه الثالثة عشرة من العمر اذا ثبت الخطأ في توجيهه الاول وقد اخذت السلطات المحلية التي يسيطر عليها العمال تنحو هذا النحو .

التعليم الاضافي – على السلطات المحلية للتربية ان تعد الوسائل الذين يفارقون المدارس الثانوية والجامعات لكي يتابعوا الدراسة في معاهد للفنون والصناعات والتجارة والثقافة العامة فتتاح الفرصة لكل منهم ان يزيد معرفته او مهارته في كل فن بمتابعة بعض الدروس في هذه المعاهد في النهار او في المساء . وفي الغالب

يسمح اصحاب الاعمال للعمال ان يتلقوا الدروس في اثناء ساعات العمل دون حسم من اجورهم . فبهذه الطريقة يعد العمال الماهرون في الصناعات والمهن بحسب حاجة البلاد ويستطيع بعضهم ان يدرس لنيل الشهادات الوطنية في الهندسة المدنيـة او الميكانيكية او الكهربائية او الكيميائية . فيتضح مما مر ان الذين لا يقبلون في الجامعات قد أعدت لهم الوسائل لمتابعة التعلم ولا سيما في الصناعة والمهن .

وليس لسلطات التربية المحلية سلطة على الجامعات مع انها تشترك باعطـاء منح مالية لطلابها . ودخول الجامعات منوط بالنجاح في امتحان الشهادة العامة للدراسة الثانوية. ومواد الامتحان على مستويين اعتيادي وراق تنتخب بحسب نوع الدراسة الجامعية التي يبغيها الطالب باستثناء بعض المواد الالزاميـــة . وللنجاح في مواد المستوى الراقي من الامتحان يقضي الطالب سنتين او ثلاث سنوات في المدرسة الثانوية للاداب والعلوم او في المدرسة الثانوية الفنية في دراسة مواد قليلة العـــدد دراسة عميقة وذلك بعـد الدورة الثانوية الاولى ذات السنوات الخمس . واذا لم ينجح التلميذ في المواد المطلوبة لدخول الجامعات يعطى شهادة تذكر فيها المواد التي نجح فيها .

اساليب التعليم – كثيراً ما يتهم الاميركيون المدارس الانكليزية انها تقصر عنايتها على المواد الدراسية ولكنهم ينسون ان علم النفس الحديث واساليب التعليم الحديثة قد دخلت جميع كليات المعلمين ومعاهد التربية وان فلسفة الانكلـــيز في التربية قائمة على الاتجاه العملي الانكلو سكسوني والاتجاه الفكري الاوربي فمحور التربية اليوم هو المتعلم وليست المواد الدراسية الا وسيلة فهو يربى لـكي يعمـل ويفكر ولـكي يكون مواطناً صالحاً . والمرجح ان ما مكّن الانكـليز من الصمود في حربين عالميتين تعاضدهم الشديد وتضحيتهم في سبيل المصلحة العامة ولا يخفى ان لتربية البيت وتربية المدرسة نصيباً كبيراً في ذلك .

التربية في الولايات المتحدة :

ليس للتربية نظام عام يشمل الامة باسرها ولكن هنالك اتجاهات عامة نشأت

عن ثقافة تمتد جذورها الى الحياة في عهد الرواد وقد ساند علم النفس الحديث بعض هذه الاتجاهات كما ان الموارد المادية الضخمة في البلاد كان لها اثر ايضاً . لا يخفى ان المهاجرين الاولين كانوا على وجه الاجمال ينشدون ملجأ لهم في اميركا تخلصاً من الاستبداد الديني والسياسي والاقتصادي في اوطانهم ولذلك كانت الحرية والمساواة والنشاط الفردي من مميزات حياتهم الجديدة ومما اثر في الثقافة والتربية في اميركا فيما بعد .

ليس في دستور الاتحاد الاميركي تشريع عن التربية وربما لان الناس لم يدركوا في ذلك الحين شأن التربية من ناحية كونها خدمة وطنية عامة مع انهم كانوا يدركون فائدتها للافراد فاضطرت كل ولاية ان تقوم بواجب التربية على انفراد وهي مستقلة في ذلك . واذ كان تاريخ الاميركيين يثير ريبتهم بالحكم المركزي فانهم لم يجمعوا على مطالبة حكومة الاتحاد بالتدخل ولذلك فان لكل ولاية ادارة للتربية وان لكل منطقة في الولاية مجلساً للتربية فلا عجب ان تكون المدارس والاساليب منوعة ومع ذلك فان محور التربية هو المتعلم وهي تهدف اجمالاً الى تمكين الفرد من الانسجام مع بيئته ومن تحسينها وقد ساندت الديمقراطية وبعض نواحي علم النفس ما كان يصبو اليه الرواد من هذا القبيل وجاءت فلسفة ديوي مؤتلفة الى حد كبير مع اسس الثقافة الاميركية .

الادارة ــ ادارة التربية على ثلاث مستويات مستوى الاتحاد الفدرالي ومستوى الولاية والمستوى المحلي . ان ادارة الاتحاد للتربية في واشنطن جزء من ادارة الصحة والتربية والشؤون الاجتماعية واهم اعمالها البحث والاحصاء ونشر الاراء التربوية وعقد المؤتمرات لبحث المشاكل الكبيرة ومنح الولايات اعانات مالية للتعليم المهني . وليس لادارة الاتحاد سلطة تنفيذية فيما يتعلق بتنظيم التعليم وانشاء المدارس. ان مصدر السلطة التربوية المجلس التشريعي في كل ولاية فهذا المجلس يحدد الخطط العامة ويساعده في ذلك مجلس الولاية للتربية وادارة التربية التابعة لهذا المجلس . وكل ولاية مقسمة الى مناطق مدرسية محلية ويبلغ عدد هذه المناطق في جميع

الولايات نحو خمسين الفا ولكل منطقة مجلس محلي للتربية ينتخبه الاهلون في اغلب الاحيان ولها ادارة للتربية على رأسها ناظر هو المنفذ . وعلى المجلس المحلي في المنطقة بمعاونة الناظر رسم الخطط التعليمية ضمن قانون الولاية وفرض الضرائب المحلية وتعيين المعلمين وفصلهم والقيام بكل ما يتطلبه التعليم العام في المنطقة . ومع ان لهذا النظام اللامركزي المتشعب محاسن من ناحية اثارة الرغبة المحلية وتعديل المناهج بحسب حاجة المنطقة فانه بطيء الاستجابة لحاجات الامة جمعاء في غير الازمات الخطيرة وفيه تبذير للجهود . ولهذا السبب فان الاتجاه الان هو نحو خفض عدد المناطق المحلية بضم بعضها الى بعض ولكن لم يخل هذا العمل من مصاعب اذ ان المناطق الغنية تكره ان تحمل تبعات الفقيرة .

المال ـ ان متوسط ما تدفعه المنطقة المحلية على مدارسها العامة يبلغ نحو ستين في المائة من نفقات التعليم والرصيد تدفعه الولاية اعانة . واهم مصدر في المنطقة لتمويل المدارس ضريبة الاملاك واذ كان الدخل منها يختلف باختلاف المناطق فان اعانة الولايات تمنح بموجب قاعدة اساسها اقل نفقة لبرنامج تعليمي لائق ومقدرة المنطقة على الدفع والقصد تضييق الفجوة بين المنطقة الغنية والفقيرة ولهذا السبب تتراوح اعانة الولاية في المناطق المختلفة بين ٢٥ في المائة و٧٥ في المائة من نفقات التعليم في المنطقة ويسمح للمناطق بعقد قروض مالية ضمن حدود معينة لتشييد ابنية المدارس .

واكبر نقص في التمويل فقدان الاعانات المدرسية من حكومة الاتحاد فمن الممكن ان تنفق ولاية غنية على تعليم الولد الواحد خمسة اضعاف ما تنفقه ولاية فقيرة ولم يمنح مجلس الامة حكومة الاتحاد السلطة لتدارك النقص مع انه منحها السلطة لاعانة البلاد المتخلفة في انحاء كثيرة من العالم ويظهر ان السبب ضغط بعض الفرقاء لاغراض انانية فهذا التفاوت بين الولايات في الانفاق على التعليم من مواطن الضعف في الاتحاد اذ ان قوة السلسلة تقاس بقوة اضعف حلقة فيها .

المدارس ـ ان اهداف المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية مستمدة من

ثقافة الاميركيين الديموقراطية ومن اهمها خلق مواطنين صالحين يستطيعون ان يحلوا مشاكلهم وان يعيشوا معاً احراراً . وتستند الاساليب اجمالاً الى علم النفس الحديث فهي قائمة على نشاط الفرد واختباره وعلى حل المشكلات فالمناهج والاساليب منوطة بحاجات الفرد وحاجات المجتمع .

التعليم الثانوي للجميع وهو الزامي حتى سن السادسة عشرة على الاقل فالذين هم في المدارس الثانوية يبلغون نحو ثمانين في المائة من الذين منهم بين الثانية عشرة والثامنة عشرة وهي نسبة عالية جداً . واذ كانت المدرسة الثانوية لذوي قوى عقلية ورغبات متباينة يعطى التلميذ في الدورة الثانوية العليا مجالا واسعا لانتخاب الدروس التي تلائم مقدرته وحاجته فالمدارس الثانوية الكبيرة هي من النـوع الشامل وهي تضم اقساماً للثقافة العامة وللاستعداد لدخول الجامعات ولتعلم المهن فحينما ينتقـد الاوربيون او بعض الاميركيين المدارس الثانوية الاميركية لانخفاض المستوى العلمي فيها ينسون انها للجميع لا للنخبة . وهنالك مدارس او اقسام في مدارس متعددة تعد تلامذتها لدخول الجامعات ولا بأس بمستواها العلمي ومع ذلك فان اهم ما تحتاج اليه المدرسة الثانوية الاميركية من وجهة عامة ان تعنى العناية الكافية بالبحث عن النابغين وبتيسير تربيتهم الى اقصى حد ممكن كما تعنى بمتوسطي الذكاء وسنعود الى هذه الناحية فيما يلي .

التعليم المهني والفني ميسر في المدارس الثانوية وفي معاهد اخرى وحكومـة الاتحاد تمنح الولايات اعانات مالية لهذا الغرض فهذه الناحية معنى بها ولا يخفى ان الاميركيين ذوو اتجاه عملي فهم مشهورون في احترامهم للعمل وفي نشاطهم .

الدراسة الاضافية — على هذه الدراسة اقبال كبير من الذين فارقوا المدارس النظامية فملايين من الناس في جميع انحاء البلاد يتلقون في اوقات فراغهم دروساً من جميع الانواع العملية والفنية والفكرية ولا عجب في ان يصبو الاميركيون الى ما هو اسمى بعد تسلطهم على بيئتهم الطبيعية .

المعلمون — ان الذين يتمتعون بالاحترام المرموق والرواتب الضخمة في اميركا

هم على وجه الاجمال ارباب الصناعة والتجارة لا الاساتذة ورجال العلم . ومعلمو المدارس يتناولون في الغالب اجورا تقل عما يتناوله الذين يعالجون الامور المادية فكيف يمكن جذب رجال ذوي مقدرة للتعليم في المدارس الثانوية والكليات .

والسلطات الاميركية تهتم باعداد المعلمين وتفرض على كل معلم في المدارس العامة ان يكون مدربا وكليات المعلمين متوافرة ولكن تتهم هذه الكليات بانها تهتم بالمباحث التربوية وتهمل المواد الدراسية والتثقيف الفكري فاذا صحت التهمة وجب الاصلاح لان المفروض في ثقافة المعلم ان تكون واسعة مهما كان نوع المنهج المتبع . ومن يطلع على كتب المربين الكبار في اعداد المناهج الحديثة يجد ان المعلم لا يمكنه القيام بما يقترحون الا اذا درب تدريباً خاصاً وكان غزير العلم والمعرفة والا تاه وتاه تلاميذه معه .

مشاكل التربية ـ ان اول مشكلة فقدان زعامة تربوية عامة لتوجيه الشعب الاميركي فان ادارة التربية في واشنطن والجمعيات التربوية الوطنية ودوائر التربية في الجامعات يمكنها ان تقترح وتسدي النصح ولكن اقناع المئات من اعضاء مجالس التربية في الولايات واقناع الالوف من اعضاء مجالس المناطق والملايين من الناخبين يحتاج الى وقت وجهود في الازمنة الاعتيادية . ان الاتجاهات لا يمكن تغييرها بين ليلة وضحاها والتريث حتى وقوع الازمات الحادة لمن الامور الخطرة. وقد رأت انكلترة في هذا السباق بين الكارثة والتربية ان تنشيء وزارة للتربية لرسم الخطط وتوجيه الشعب .

والمشكلة الثانية وهي مصدر جدل مستمر ان بعض رجال العلم واساتذة الجامعات يتهم كليات المعلمين بانها تعنى بالاسلوب وتهمل الجوهر اي التراث البشري من العلم والمعرفة ولذلك يرى هؤلاء الناقدون ان العلم يسير القهقرى في المدارس الاميركية ويبدو ان هذا النقد هجوم مقنع على الفلسفة التقدمية في التربية التي شاعت في كليات المعلمين وشملت المدارس الابتدائية واخذت تنفذ الى المدارس الثانوية . فمن اهداف هذا المذهب تنمية قوى الفرد لكي يصير مواطناً صالحاً قادراً

على حل مشاكله وعلى الاشتراك مع غيره في حل مشاكل المجتمع . ومن اساليبه الاعتماد على عمل المتعلم واختباره بما يثير رغبته واهتمامه من مشاكله وحاجاته ومن مشاكل المجتمع التي لها مساس بحياته اما خبرة البشر اي المواد الدراسية فهي وسيلة.

وقد غالى بعض المتطرفين من اتباع هذا المذهب في الاعتماد على رغبة المتعلم وفي انتقاص ما للمواد الدراسية من قيمة ولم يفهموا فلسفة ديوي فهما حقيقياً فنشأ ذعر عند بعض العلماء المخلصين من سوء العاقبة . والتطرف في مذهب التربية التقدمية ممكن في اميركا فان علماء الاجتماع الاميركيين يقرون بان في الثقافة الاميركية عناصر تنطوي على قلة الاهتمام بالماضي وعلى تفضيل العمل على التأمل ولا شك في ان مقاومة التطرف واجب ولكن اذا كان غرض الناقدين ان تقتصر المدارس على تربية الفكر ونقل معرفة السلف دون الاهتمام بالاخلاق الفردية والاجتماعية فان الحضارة الاميركية قد تنهار بعد جيل اوجيلين كما اوشكت حضارة بعض الدول في العالم القديم تنهار لاهتمامها بالتربية الفكرية واهمالها التربية الاجتماعية فالتربية الحالية في اميركا قد ادت الى نتائج خطيرة لا يمكن التعامي عنها وهي تنمية حب التعاون واحترام حقوق الاخرين وايثار المصلحة العامة واحترام الفرد والعمل وقد مكنت بذلك هذا الخليط من البشر ان يعيشوا معاً احراراً . ولا ريب في ان المدرسة الاميركية قد وضعت التربية الاجتماعية في المرتبة الاولى والتربية الفكرية في المرتبة الثانية لان التضامن الاجتماعي عامة والتاريخ الاميركي خاصة يقضيان بذلك فاذا ثبتت اركان المجتمع سهلت تربية الفكر. وما الفائدة من مجتمع افراده علماء ولكنهم انانيون متنافرون . ومن ناحية ثانية ان الفوارق الفردية تجعل التمادي في التربية الفكرية للجميع غير ممكن او قليل الجدوى فالتثقيف العام الذي تقوم به المدرسة الاميركية يلائم الكثرة وهو لا يقل عما تقوم به المدارس الثانوية الحديثة في انكلترة . وما تحتاج اليه اميركا الان هو العناية بالنخبة .

وهذه هي المشكلة الثالثة اي تربية النخبة والنابغين فعقيدة الاميركيين الراسخة في المساواة وتخوفهم من خلق طبقة فكرية ناشزة على المجتمع وفقدان زعامة تربوية

عامة مما ادى الى قلة الاهتمام بهذه المشكلة مدة طويلة ولكن بعض المربين قد تنبه اليها ولا سيما في الحرب العالمية الثانية التي استلزمت تعبئة جميع القوى المادية والفكرية والاجتماعية وقد نشرت الجمعية الوطنية للتربية في سنة ١٩٥٠ كتابا قيما في هذا الموضوع فكان الشرارة لالهاب التفكير عند المربين ولكن لم ينتبه مجموع الشعب الاميركي الى هذه المشكلة الا حينما قذف الروس باول جرم سيار حول الارض فصدموا صدمة عنيفة واغتنم خصوم مذهب ديوي الفرصة لشن هجوم عام على المدارس والقاء تبعة التقصير عليها في حين ان القسط الاكبر من اللوم كان يجب ان يوجه الى التطرف في الديموقراطية الذي ادى الى اهمال النخبة. فالديمقراطية الحقة تقضي بتكافؤ الفرص لجميع الافراد بحسب امكاناتهم ومن واجب الدولة المتنبهة ان تبحث عن النابغين فترعاهم وتيسر لهم تنمية قواهم الى اقصى حد ممكن فهم جديرون على الاقل بالمساواة بمن فيهم عاهات جسدية او نقص عقلي فاذا كان يقام لهؤلاء معاهد خاصة فلماذا يحرم النابغون هذه العناية. والمحتمل الان ان لا تعود غفلة بعد هذه اليقظة فان القادة جادون في تعهد النخبة ولا سيما النابغين في العلوم الطبيعية .

الهجرة من لبنان ـ تاريخها واسبابها

سليم الحص

الهجرة قبل الحرب العالمية الاولى :

كثيرا ما نظر الى الهجرة من لبنان على انها جزء من حركة نزوح قديمة يرجع عهدها الى ايام الفينيقيين وقد وجدت هذه النظرة نصيباً كبيراً من التأييد بين اكثر الذين كتبوا حول هذا الموضوع .

على الرغم من ان الهجرة اللبنانية الحديثة يمكن ان تعتبر حلقة من سلسلة تاريخية قديمة العهد ، الا انه من الممكن القول ان الهجرة الحديثة بما لها من خصائص ومميزات لم تبدأ فعلاً قبل منتصف القرن الماضي .

حطّ اول مهاجر لبناني الى الولايات المتحدة الرحال في بوسطن عام ١٩٥٤ وبعد ذلك التاريخ تزايدت الحركة في ذلك الاتجاه ولكنها لم تتخذ شكل الحركة المتصلة حتى العقد الثامن من القرن نفسه[1] . وكانت مصر من الاقطار التي امها عدد من المهاجرين في باكورة حركة الهجرة ، ووجدوا فيها فرصاً واسعة للعمل فتولوا المناصب المختلفة في دوائر الحكومة وفي المؤسسات الخاصة وبرزوا في ميادين التجارة والصحافة وغيرها . وقد نشطت حركة الهجرة صوب القطر المصري بصورة خاصة بعد دخول الانكليز عام ١٨٨٢ . وانطلق سيل الهجرة خلال العقدين الاخيرين من القرن الماضي صوب مختلف بلدان اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا الغربية . وما عتمت ان ظهرت مراكز هامة للمهاجرين اللبنانيين في الارجنتين والاورغواي

1 Philip Hitti, The Syrians in America, P. 47

والبرازيل الى جانب ما كان لهم من مراكز في الولايات المتحـــدة حيث كانوا يكثرون في نيويورك وشيكاغو[1] .

كان تيار الهجرة في الفترة الواقعة بين عام ١٨٦٠ وعام ١٩٠٠ ينمو نمواً تدريجياً ويقدر عدد الذين غادروا سوريا ولبنان في تلك الحقبة من الزمن بمائة وعشرين الف مهاجر[2] ، كما ويقدر عدد الذين قصدوا الولايات المتحدة الاميركية من هؤلاء بين ٤٠ ألفاً و٦٠ الفاً[3] . والتمييز بين عدد اللبنانيين وعدد السوريين من الذين هاجروا متعذر نظراً لان المعلومات كانت كثيراً ما تشير الى اللبنانيين على انهم سوريون واحياناً على انهم اتراك . ومن الطريف ان احد المصادر الاميركية يأتي على ذكر مهاجرين اتراك مع التنويه بان الاتراك هم بالدرجة الاولى سوريون من لبنان[4] . وهذا يحمل على الاعتقاد بان اللبنانيين بين المهاجرين من هذه البقعة من الارض ، وان تعذر ضبط عددهم ، يؤلفون نسبة كبيرة ومما يزيد في صعوبة التمييز بين اللبنانيين والسوريين من المهاجرين ان لبنان من حيث حدوده ورقعته لم يكن آنذاك كما نعرفه اليوم .

تعاظم سيل الهجرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى ان بلغ أوجه في العقدين الاخيرين من القرن ، حيث شرعت جماعات اكبر من ذي قبل تغادر البلاد . وكان بين العوامل التي دفعت بالتيار قدماً تدهور حالة الامن في البلاد وتحيز السلطات التركية لاعتبارات دينية . يضاف الى ذلك بعض العوامل الاقتصادية منها الطارئة ومنها البعيدة الاثر ، مثال ذلك هبوط محصول الشرانق عام ١٨٨٩ والنكسة التي المت بالتجارة السورية اللبنانية على اثر شق قناة السويس قبل حين من الزمن[5] .

---

١ Eliahu Epstein, Demographic Problems of the Lebanon, Royal Central Asian Society Journal; Jan. 1946, P. 152

٢ سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، ص ١٦ .

٣ Philip Hitti, The Syrians in America, P. 62

٤ National Bureau of Economic Research, International Migrations, vol. II, P. 154

٥ Philip Hitti, The Syrians in America, P. 49

بلغ تيار الهجرة أعلى ما بلغه في الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الاولى ابان الفترة الواقعة بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩١٤ ، اذ كان يرحل من سوريا ولبنان معاً زهاء ١٥٠٠٠ شخص سنويا . اما اللبنانيون بين هؤلاء فيقدر البعض عددهم بحوالي ٦٠٠٠ مهاجر في السنة ، اللهم الا في السنوات الاخيرة التي سبقت الحرب العالمية اذ كان يتراوح عددهم بين ٨٠٠٠ مهاجر و ١٠٠٠٠ مهاجر في السنة . وقد قصد ما يزيد على ٤٠ في المائة من مجموع الذين غادروا البلاد في سني ما قبل الحرب ، اي بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩١٤ ، الولايات المتحدة الاميركية واستقروا فيها[١] .

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى هبطت نسبة الهجرة حتى كادت تنقطع انقطاعاً كلياً ، مع ان بعض مصادر المعلومات تشير الى عدد ضئيل من المهاجرين اللبنانيين دخلوا بعض بلاد المغترب خلال سنوات الحرب الاربع . وهذا الهبوط في نسبة الهجرة خلال الحرب طبيعي بالنظر الى ما رافق الحرب من ظروف عزلت البلاد عن العالم الخارجي .

ومما يلاحظ ان حركة الهجرة قبل الحرب العالمية الاولى كانت تتميز بعدد من الظواهر يحسن بنا ان نقف عندها بعض الشيء . ففي مستهل عهد الهجرة الحديثة كان سواد المهاجرين من النصارى ، وهذا يعزى الى امرين اثنين ، اولهما الاحداث الطائفية التي عصفت بالبلاد في منتصف القرن الماضي ، وثانيهما هو ان النصارى ، كما يلاحظ بعض الكتاب ، كانوا اقل تعلقاً بالارض من سواهم نظراً لسعة افقهم الثقافي اذا ما قورنوا بسواهم ولاحتكاكهم الاكبر بالاجانب من رجال اعمال ومبشرين وغيرهم .

ومن ظواهر الهجرة قبل الحرب العالمية الاولى أنها كانت بالدرجة الاولى مقتصرة على الذكور ، اما المرأة فلم تستلفت قيمتها الاقتصادية نظر المهاجر الا عندما شارف القرن على التصرّم ، اذ ادرك ان المرأة قد تكون اخلق من الرجل بنوع العمل الذي كان يقوم به المهاجر في بداية الحركة ، كالطواف بالمطرزات والملابس

[١] Gabriel Menassa, Plan de Reconstriction de l'Economic Libanaise, P 384

الداخلية وما الى ذلك على المنازل . وما زالت نسبة الاناث الى مجموع المهاجرين ترتفع حتى بلغت ٣٢ بالمائة خلال العقد الذي سبق الحرب العالمية الاولى[١] .

وتتميز حركة الهجرة في تلك الحقبة بانها كانت آنية ، بمعنى ان المهاجر كان يمم شطر المغترب سعياً وراء المكسب ، فما ان يصادف بعض النجاح حتى يتوجه عائداً الى لبنان ليشيد لنفسه منزلاً او يبتاع ارضاً او يباشر عملاً . وفي هذه الظاهرة تفسير اخر لعدم هجرة النساء في بداية الحركة وقلة عددهن بين المهاجرين فيما بعد ، باعتبار ان المهاجرين كانوا يضعون العودة نصب عيونهم فلا يصطحبون نساءهم .

ومن مميزات الحركة في تلك الحقبة كذلك ان سواد المهاجرين كان من صفوف الشبان . من ذلك مثلاً ان ٩٦ بالمائة من مجموع اللبنانيين والسوريين الذين استوطنوا الولايات المتحدة ما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩١٤ كانوا دون الخامسة والاربعين من العمر[٢] .

الهجرة في فترة ما بين الحربين

استعادت الهجرة في اعقاب الحرب العالمية الاولى قوتها كما كانت خلال السنتين اللتين سبقتا الحرب ، اي بنسبة ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ مهاجر في العام . ولكنها لم تحتفظ بهذه النسبة المرتفعة طويلاً لان عوامل جديدة طرأت كان من شأنها الحد من سيل الهجرة من ناحية وتبديل اتجاهها من ناحية اخرى . وكانت في مقدمة هذه العوامل سلسلة من القوانين والاجراءات اتخذتها الولايات المتحدة الاميركية ثم حذت حذوها في ذلك بعض دول المهجر الاخرى . وكان الغرض من هذه القوانين والاجراءات فرض القيود على عدد ونوع المهاجرين الذين يفدون الى تلك البلاد . والقانون الذي سنته الولايات المتحدة بهذا الموضوع عام ١٩٢٤ حدد لكل دولة من الدول التي يفد منها المهاجرون نوعاً من الكوتا تعين عدد الذين تقبل بهم الولايات المتحدة من تلك الدول .

---

١ National Bureau of Economic Research, International Migrations, Vol. 1, P.P. 432-433

٢ المصدر السابق ص ١٤٤ ، ١٤٩

كانت اول نتيجة ترتبت على هذا القانون ان تغيرت وجهة الهجرة تغيراً ملموساً من الولايات المتحدة صوب غيرها من البلدان، وعلى الاخص بلدان اميركا الجنوبية وفي مقدمتها البرازيل. كذلك شرعت انظار المهاجرين تتجه اكثر فاكثر صوب القارة السوداء. وتشير المعلومات المتوفرة عن تلك الفترة من تاريخ الهجرة ان الذين رحلوا من سوريا ولبنان بين العام ١٩٢٠ والعام ١٩٣٠ قد استقر خمسون بالمائة منهم في بلدان اميركا الجنوبية و١٠ بالمائة منهم في مصر و١٥ بالمائة منهم في سائر ارجاء افريقيا و١٠ بالمائة منهم فقط في بلدان اميركا الشمالية. اما الباقون فقد توزعوا في سائر انحاء المعمورة[١].

وكما كان للقيود التي فرضتها الولايات المتحدة وسواها من دول المهجر تأثير على وجهة الهجرة، كان لها تأثير على نسبة الهجرة، الا ان مدى هذا التأثير تتعذر معرفته بدقة لسببين. الاول ان الاحصاءات المتوفرة عن تلك الفترة والمنشورة في تقارير سلطات الانتداب الفرنسي السنوية الى عصبة الامم كانت ابعد ما تكون عن الدقة. وباعتراف التقارير نفسها، لم يكن ثمة تمييز في الاحصاءات قبل العام ١٩٢٧ بين المهاجرين والمسافرين العاديين[٢]، وكثيراً ما كانت الارقام المنشورة تشمل عدداً من العلويين الذين كانوا يسافرون عن طريق مرفأ بيروت فيحسبون في عداد اللبنانيين[٣]. والسبب الثاني ان العوامل التي تضافرت على الحد من تيار الهجرة في تلك الفترة كانت عديدة ومتشعبة. من ذلك، الى جانب القيود التي احدثتها دول المهجر، استتباب الامن الداخلي نسبياً والازمة الاقتصادية العالمية التي وقعت في اوائل الثلاثين والتي كانت أشد وقعاً على بعض دول المهجر الكبرى منها على لبنان.

وبفعل هذه العوامل وغيرها بات عدد المهاجرين العائدين الى لبنان في بعض السنين كعام ١٩٣١ وعام ١٩٣٢ يربو على عدد الراحلين. وتجدر الاشارة بهذا

١ Eliahu Epstein, Demographic Problems . . . P. 153

٢ Rapport à la Societé des Nations sur la Situation de la Syrie et du Liban, 1927, P. 87

٣ المصدر نفسه، ١٩٢٦، ص ١٣٢

الصدد الى ان العائدين كثيراً ما كانوا يشملون فريقاً من المهاجرين ردتهم سلطات دول المهجر على الحدود قبل ان يعبروها وذلك بحجة انهم مصابون بامراض ، الا ان تزايد عدد الذين ردوا على اعقابهم لمثل هذه الذرائع حملت البعض على الاعتقاد بأن بعض بلدان المهجر لم تكن ترحب بالوافدين اللبنانيين اساساً [1] .

كان للازمة الاقتصادية العالمية التي حدثت في اوائل الثلاثين ابلغ الاثر على الهجرة اللبنانية . فقد هبطت نسبة الهجرة هبوطاً ملموساً بسبب الاثر الذي اورثته الازمة دول المهجر وبسبب الحواجز الجديدة التي نصبتها تلك الدول في وجه المهاجرين نتيجة لتلك الازمة . كذلك هبطت الارساليات المالية من المهاجرين ، بل كادت تنقطع انقطاعاً تاماً بسبب ما ألمّ بالمغتربين من خسائر في تلك الازمة وبسبب التشريعات التي سنت في بلاد المهجر لمراقبة تصدير الاموال وتقييده .

كل هذه العوامل سببت انخفاضاً في معدل الهجرة ظل ظاهر المعالم خلال السنوات التالية ، ولكن الملاحظ ان حركة الهجرة عادت فاخذت طريقها في الارتفاع التدريجي المطرد عقب زوال الضائقة الاقتصادية العالمية وان لم تستعد البتة نطاقها الاول . فبينما كان عدد الذين هاجروا ١١٧١ شخصاً عام ١٩٣٢ ارتفع الى ١٥١٦ عام ١٩٣٣ والى ١٦٩٩ عام ١٩٣٤ والى ١٩٩٢ عام ١٩٣٥ والى ٢٢٧٧ عام ١٩٣٦ والى ٣٣١٥ عام ١٩٣٧ [2] .

حدثت في فترة ما بين الحربين بعض التطورات في طبيعة الهجرة . من ذلك ان الهجرة ، بعد ان كانت تشكل انتقالاً موقتاً الى بلد آخر يرجو المهاجر بعده العودة الى وطنه ، غدت في هذه الفترة تتخذ طابع النزوح العائلي . ويستدل على ذلك بتزايد عدد المهاجرات عن ذي قبل . فبعد ان كان تيار الهجرة مقتصراً في بداية عهده على الذكور من المهاجرين اخذ يجرف معه عدداً متزايداً من النساء . كانت نسبة الاناث تتراوح بين ٢٩ و ٣٥ بالمائة من مجموع المهاجرين في سني ما قبل

---

١ المصدر نفسه، ١٩٢٨، ص ٩٣ - ٩٤

٢ المصدر نفسه للسنوات المذكورة .

الحرب العالمية الاولى ، وخلال السنوات الخمس التي تلت الحرب تراوحت نسبتهن بين ٣٢ بالمائة و٥٠ بالمائة من المجموع. ويتبين من الاحصاءات الواردة في تقارير سلطات الانتداب الفرنسي السنوية الى عصبة الامم عن الفترة ١٩٣١–١٩٣٨ ان عدد النساء والاطفال من المهاجرين كان في بعض السنين كسنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٣ يفوق عدد المهاجرين من الرجال . اما من حيث المجموع ، ففي الاعوام الثمانية الواقعة بين ١٩٣١ و ١٩٣٨ بلغ مجموع المهاجرين ١٤٧٩٦ بينهم ٦٨٥٦ من النساء والاطفال . ويمكن لنا ان نعزوا هذه الظاهرة – ظاهرة تزايد نسبة المهاجرات – الى ظاهرة اخرى وهي ان الهجرة باتت اكثر فاكثر تتخذ طابع النزوح العائلي الدائم .

ومما يذكر بهذا الصدد ان الهجرة كانت قبل ذلك الحين قد اوجدت مجتمعات لبنانية في شتى ارجاء المغترب، فيها الجمعيات والنوادي والجرائد والمجلات العربية مما شجع المغتربين على الاقامة الدائمة هناك وبسّر للمهاجرين الجدد سبل العيش في اجواء ليست غريبة عن اجواء الوطن الذي برحوه . كان هذا احد الاسباب التي احالت حركة الهجرة الانية الى حركة نزوح عائلي دائم . يضاف الى ذلك ان الذين اثروا من المهاجرين باتوا يؤثرون البقاء حيث يرعون مصالحهم التجارية والصناعية الواسعة بينما عز على الذين لم يحالفهم الحظ ان يعودوا الى وطنهم يجررون اذيال الخيبة ، وهم يعلمون انهم ان عادوا لن يكونوا احسن حالاً .

الهجرة بعد الحرب العالمية الثانية :

توقف سيل الهجرة ابان الحرب العالمية الثانية توقفاً كاد يكون تاماً . وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى انطلقت حركة الهجرة ثانية على نطاق واسع .

لا تتوفر معلومات مفصلة حول المهاجرين الذين غادروا البلاد خلال السنوات الخمس التي تلت الحرب ، وجل ما هنالك تقديرات غير رسمية ومتضاربة، حيث ان الدوائر الرسمية في لبنان لم تشرع بنشر الاحصاءات التفصيلية عن الهجرة حتى عام ١٩٥١ . أما قبل ذلك فلم يكن ثمة تمييز بين المهاجرين والمسافرين العاديين . بل

كانوا جميعاً يحصون كمسافرين وقد جاء السيد W. B. Fisher على ذكر الهجرة من لبنان في محاضرة القاها في المكتب الثقافي البريطاني في بيروت عام ١٩٥١ حول مشاكل السكان في لبنان فقال انه « في غضون خمس سنوات ١٩٤٦–١٩٥٠ ، هاجر من لبنان ما يربو على ٦٩٥٠٠ شخص اي بنسبة شخص واحد من كل عشرين من مجموع السكان ، مما يوازي هجرة مليونين ونصف المليون من بريطانيا ، او مليونين وربع المليون من فرنسا» . ومن ناحية اخرى ذكرت مرة احدى الصحف البيروتية[1] « ان الهجرة في غضون السنوات الاخيرة قد بلغت نطاقاً يدعو الى القلق ، فقد غادر لبنان زهاء ٧٦٠٠٠ من الشبان بين الاول من كانون الثاني سنة ١٩٤٧ والاول من تموز سنة ١٩٥١» .

وفي هذين التقديرين الدليل الكافي على تباين التقديرات الخاصة بتلك الفترة ، والذي يبدو ان كلا التقديرين جد مرتفع ومبالغ فيه ، وخصوصاً ثانيهما . وقد يكون التقديران اقرب الى عدد مجمل المسافرين منهما الى عدد المهاجرين وحدهم ، بدليل ان عدد الذين غادروا البلاد بصفة مسافرين خلال الاعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و١٩٥٠ لم يتجاوز ٤٢٢٨٨ شخصاً (الرقم الخاص بعام ١٩٤٩ غير متوفر) وايضاً بدليل ان عدد المهاجرين لم يتجاوز اربعة الاف وخمسمائة في اي سنة من السنين التي تلت ١٩٥٠ ، وكان المعدل ٣٣٠٠ شخص في السنة .

فيما يلي بيان بعدد الذين هاجروا من لبنان بين عام ١٩٥١ وعام ١٩٥٧[2] ، ويلاحظ من هذه الارقام ان معدل الهجرة في السنة يزيد قليلاً عن ٣٣٠٠ شخص وان نسبة المهاجرات الى المجموع قد هبطت الى اقل من ٢٢ بالمائة وهي نسبة متدنية اذا ما قيست بما كانت عليه الحال قبل الحرب العالمية الثانية .

السنة	الاناث	الذكور	المجموع
	عدد المهاجرين		
١٩٥١	٨٦١	٣٢١٦	٤٠٧٧

١ Le Commerce du Levant, March, 1952

٢ المصدر : النشرة الاحصائية الربع السنوية .

١٩٥٢	٤٨٠	٢٢٤٥	٢٧٢٥
١٩٥٣	٩٠٧	٢٤٠٨	٣٣١٥
١٩٥٤	١١٦٨	٢٨٥٨	٤٠٢٦
١٩٥٥	٤٠٦	٣١٤٩	٤٥٥٥
١٩٥٦	٩٣٧	٢٣٥١	٣٢٨٨
١٩٥٧	٣٩٧	٧٤٦	١١٤٣

وتجدر الاشارة بهذا الصدد الى ان افاقاً جديدة قد انفتحت في وجه طلاب العمل من الشبان اللبنانيين بعد الحرب العالمية الثانية في شبه الجزيرة العربية وعلى الاخص الكويت . فقد عاد استثمار موارد البترول على بلدان الخليج العربي بالخير الوفير مما آل الى قيام مشاريع تجارية وعمرانية واسعة أوجدت فرصاً عظيمة للعمل واجتذبت اليها عدداً كبيراً من ذوي الطموح من الشبان اللبنانيين . على ان الاحصاءات الرسمية لا تعتبر هؤلاء في عداد المهاجرين بل تحسبهم من المسافرين العاديين باعتبار ان انتقالهم في الاغلب لا يشكل نزوحاً دائماً بل انتقالاً آنياً يعود بعده المسافر الى وطنه ليستخدم ما جمعه من مال في عمل مستقل او خلافه . سواء صح اعتبار هؤلاء من المهاجرين ام لا ، فالمهم ان امارات الخليج العربي وعلى الاخص الكويت قد اصبحت محجة جديدة لمن كانوا يتنسمون الامل في المهاجر الاميركية والافريقية النائية فقط .

اسباب الهجرة :

في معرض الكلام عن الهجرات الاوروبية التي حدثت في الماضي ذهب البعض الى القول ، دون ان يسقطوا العوامل الاقتصادية من الحساب ، انه «ربما كان انشط وازع للهجرة هو حب التنقل والمغامرة الذي يبدو فطرياً في الشعوب النازحة» ، وان هناك دوافع عديدة للهجرة «ولكنها جميعاً ترتكز في قوتها على غريزة حب الانتقال التي توجد باقدار مختلفة في جميع البشر ولكنها قوية بشكل خاص في الشعوب الارية ، وتبرز اكثر ما تبرز في اسرة الامم الجرمانية[1]».

١ Emigration and Immigration, Labor Cyclopaedia of Political Science, Vol. 2, P.88

ولقد ذهب البعض هذا المذهب في تفسير الهجرة اللبنانية السورية ، فقيل في اللبنانيين والسوريين انهم شعب يتميز بميل خاص نحو المغامرة مما يحمل على الاعتقاد انهم احتفظوا بشيء من بداوة الفينيقيين[1] . وقد خرج البعض الى القول بان الهجرة ليست إلا تعبيراً عما اسموه بالطموح اللبناني، وتأييداً لهذا الرأي ودحضاً لما يعزى الى الهجرة من اسباب مغايرة ، اشار هذا الفريق من الناس الى ان كثيراً من شعوب الارض قد عانت شقاء وواجهت اضطهاداً ولكن هذه الشعوب لم تفكر يوماً في حل مشاكلها عن طريق الهجرة كما فعل اللبنانيون .

من الصعب الحكم على نصيب هذا الرأي من الصحة ، ولكن اقل ما يمكننا قوله بهذا الصدد ان النظر الى الهجرة على انها من طبع اللبنانيين لا يساعد البتة على تفسير نطاق الحركة في اي وقت من الاوقات كما انه لا يساعد على تعليل التغير الذي يطرأ على الحركة من سنة الى اخرى . اضف الى ذلك ان هذه النظرة لا تفسر لنا كيف ان الهجرة قبل منتصف القرن التاسع عشر لم يكن لها شأن يذكر.

هناك اذن اسباب اخرى للهجرة ينبغي لنا ان نتحراها .

الاسباب الاقتصادية :

يعاني لبنان مشكلة ضغط السكان ، فارضه الزراعية المحدودة لا تهيء فرصاً للعمل كافية بالنسبة لعدد السكان المتزايد سنة فسنة ، وقد كان من نتائج هذا الضغط المتعاظم ان هجر الكثير من المزارعين قراهم الى المدن الساحلية او الى المغترب ، حتى بات عدد سكان مدينة بيروت وضواحيها يوازي نصف مجمل السكان في لبنان تقريباً كما اصبح من النادر ان يجد المرء قرية من القرى اللبنانية لم تقذف ببعض ابنائها الى بلاد المهجر . فقد وجدت البلاد اذاً متنفساً لضغط سكانها في الهجرة .

وفي معرض الكلام عن الاسباب الاقتصادية للهجرة تجدر بنا الاشارة الى ان احداثاً خطيرة وقعت منذ بداية الهجرة الحديثة في القرن الماضي لا ريب انها تركت اثراً سيئاً في الوضع الاقتصادي في البلاد ولو الى حين ودفعت بتيار الهجرة قدماً.

١ Berger-Levrault, La Syrie et le Liban sous l'Occupation et le Mandat Français, p.312

من ذلك ان شق قناة السويس عام ١٨٦٩ قد حول طريق التجارة بين الغرب والشرق عن هذا البلد ، كما اخذت صناعة الحرير التي كانت من اهم الصناعات في البلاد آنذاك تضعف بسبب المنافسة الشديدة التي بات الحرير اللبناني يلقاهـــا في الاسواق الفرنسية من الحرير الياباني الذي شرع يتدفق عن طريق قناة السويس . وقد زاد وضع العاملين في صناعـــة الحرير خطورة رداءة موسم الشرانـق عام ١٨٨٩ .[١]

ومن الاحداث التي تركت اثراً سيئاً في الوضع الاقتصادي في البلاد الحرب العالمية الاولى . فقد عاش الشعب في هذه البقعة من العالم فترة من الضيق الاقتصادي بعد ان حرم من تجارته وعزل عن اسواقه الخارجية وجرد من اليد العاملة . وقد اصيبت الصناعة عامة بنكسة خطيرة، اذ انها كانت تعتمد على الخارج اما في استيراد المواد الاولية او في تصدير المنتجات. اما السوق الداخلية فقد حل بها الفقر بسبب ظروف الحرب القاسية وبسبب انقطاع موارد للدخل كالسياحة وارساليـــات المهاجرين المالية[٢] .

ومقدم المهاجرين الارمن الى هذه البلاد كان من الاحداث الهامة ايضـا التي كان لها تأثير على الوضع الاقتصادي ومن ثم على حركة الهجرة . فعلى اثر المجـازر التي وقعت عام ١٩١٦ على يد الاتراك لجأ عدد كبير من الارمن الى سوريا ولبنان فما ان جاء العام ١٩٢٧ حتى كان عدد اللاجئين الارمن يناهز ١٢٠٠٠٠ نسمة في سوريا ولبنان[٣] ويزيد عدد الذين استقروا في لبنان وحده من هؤلاء على ٦٠٠٠٠ شخص.[٤] وكان من نتائج هذه الهجرة المفاجئة الى لبنان ازدياد عدد العاطلين عن العمل في المدن التي استقر فيها اللاجئون. وما لبث هؤلاء، سعيا وراء لقمة العيش ، ان عرضوا خدماتهم مقابل اجور بخسة كان من جرائهـا ان تدنى مستوى اجور

---

(١) Philip Hitti, The Syrians in America, P. 50

(٢) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، ص ١٢٢-١٢٣

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤

(٤) Eliahu Epstein, Demographie Problems ... P. 154

العمال الوطنيين في ذلك الحين .

اما الحرب العالمية الثانية فقد كان لها ايضاً شأن يذكر في هذا السبيل . انفقت جيوش الحلفاء مبالغ طائلة خلال الحرب مما وفر للبلاد احتياطياً كبيراً من الاموال الاجنبية ، وقد اوصدت الحرب باب الاستيراد مما اتاح للصناعات الوطنية الحماية من المنافسة الاجنبية في السوق المحلية ، وبنتيجة ذلك نهضت صناعات جديدة وتوسعت صناعات قديمة . الى جانب ذلك فقد استخدمت القوات الحليفة عدداً غفيراً من الاهلين خلال سنوات الحرب ، فكان عدد الذين استخدمهم الجيش الانكليزي وحده ٤٢٤٦١ شخصاً .[١] وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى سرح هؤلاء الموظفون وتوقفت بعض الصناعات الصغيرة عن العمل اذ زالت الظروف التي هيأت لها الحياة مما اوجد في البلاد مشكلة خطيرة هي مشكلة البطالة .

وبعد الحرب الفلسطينية تدفق عدد لا يستهان به من اللاجئين العرب فكان لهم ايضا تأثير لا مجال لتفصيله في هذا المقام .

لا ريب ان جميع الاحداث الآنفة الذكر وغيرها قد اثرت على حركة الهجرة من خلال تأثيرها على الوضع الاقتصادي العام في البلاد ، الا ان مدى هذا التأثير لا يمكن تحديده بما يتوفر لنا من معلومات .

الاسباب السياسية والدينية :

يقال ان الصراع الطائفي في هذه البلاد بدأ بعد فتح ابراهيم باشا لسوريا ولبنان على رأس جيشه المصري . ففي عام ١٨٣٩ ثار دروز حوران على الخديوي المصري فاستعان هذا بالامير اللبناني الذي زوده بجيش قوامه اربعة آلاف من الموارنة ، وقد اثار هذا حفيظة الدروز في لبنان مما ادى الى وقوع حوادث دامية بين الطائفتين عام ١٨٤٥ .[٢] يضاف الى ذلك ، انه على اثر احتلال المصريين للبلاد ، اقامت بعض الدول الاوروبية الكبرى علاقات وطيدة مع مختلف الطوائف في

---

(١) Gabriel Menassa, Plan de Reconstruction de l'Economy Libanaise, PP. 59-60

(٢) ادوار حنين ، محاضرات الندوة ، ٢٥ ايار سنة ١٩٥٠ ص ١٠٣

لبنان ، فكانت كل دولة من الدول الكبرى تساند طائفة من الطوائف وتتدخل بشؤون البلد الداخلية بحجة حماية تلك الطوائف ورعاية مصالحها ، وكان من نتيجة هذه المداخلات ان وقعت مجازر ١٨٦٠ .

والرأي السائد هو ان قلاقل عام ١٨٦٠ جعلت الحياة والممتلكات في غير أمان مما حدا بالكثيرين الى تجنب الاخطار الداهمة عن طريق الهجرة . ويستدل البعض على اهمية العامل الديني كمسبب للهجرة بأن اكثرية المهاجرين في القرن الماضي كانت من المسيحيين بينما اكثرية السكان في المنطقة هم من المسلمين . ولكن الواقع ان كثرة النصارى بين المهاجرين لا يمكن ان تعزى الى الصراع الطائفي وحده ، مع ان تأثير ذلك الصراع لا ينكر . هناك سبب آخر لهذه الظاهرة ، وهو ان المسيحيين ، بالنظر الى علاقاتهم الاوثق بالغرب واحتكاكهم بالبعثات التبشيرية ورجـــال الاعمال الاجانب ، كانوا اوسع افقا من حيث الثقافة واقل تعلقا بالارض من سواهم .

ومن الاسباب السياسية التي تذكر بهذا الصدد الخدمة العسكرية التي كانت تفرضها الدولة العثمانية في حروبها الكثيرة . فكان البعض يتحاشاها عن طريق الهجرة . لم تكن هذه الخدمة تطال سكان جبل لبنان الذين اعفاهم بروتوكول ١٨٦٠ من ذلك ، ولكنها كانت تطال سائر المناطق ، ثم ان اجراءات التجنيد كانت تطبق فيما سبق على المسلمين دون سواهم ، ولكن بعد اعلان الدستور العثماني الجديد عـــام ١٩٠٩ اصبح المسيحيون كذلك يخضعون لها .[١]

لم تزل الاسباب السياسية للهجرة بمجرد زوال الحكم العثماني ، بـــل استمرت الاضطرابات السياسية متخذة اشكالاً مختلفة . ولا غرو ان الشعور الوطني المتعاظم والقلاقل السياسية المتفاقمة قد حدت بالكثيرين الى هجر البلاد .

قد يكون من الجدير باهتمامنا قبل ان ننصرف عن موضوع الاسباب السياسية والدينية ان نقدر وزن هذه الاسباب واهميتها في تاريخ الهجرة الحديثة من لبنان . يمكننا ان نجزم ان هذه الاسباب لم تعد ذات بال في الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق

(١) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سورية ولبنان ، ص ١٤

ببداية عهد الهجرة الحديثة ، اي في منتصف القرن الماضي ، فيمكن القول ان هذه الاسباب كانت بارزة في ذلك الحين ولكن لم يكن لها ذلك الشأن الذي يظنــه الكثيرون ، ممن اعتبروا انها كانت المسبب الوحيد للهجرة . ودليلنـا على ذلك ، أولاً ، ان الهجرة لم تبدأ على نطاق واسع كما يتوقع المرء لو ان الهجرة كانت تتخذ شكل الهرب من البلاد اثر الحوادث الدامية التي وقعت عام ١٨٤٥ وعام ١٨٦٠. ثانياً ، ان الهجرة اقتصرت في بدايتها على الرجال دون النساء واستمرت كذلك حتى نهاية القرن تقريبا ، فان كانت الهجرة حركة هرب من البـلاد تحاشيا لاخطار الصراع الطائفي فلماذا لم تحاول النساء تحاشي هذه الاخطار كذلك. هـذا ما يحمل على الاعتقاد بأن المهاجرين القدامى لم يكونوا لاجئين بقدر ما كانوا طلاب رزق .

اسباب اخرى متفرقة :

شهد القرن التاسع عشر تطوراً سريعا في وسائل النقل البحري فأصبح السفر ميسوراً واقل كلفة من ذي قبل ، مما شجع كثيراً من الناس على مغادرة البـلاد . وما ان احرز المغتربون الاوائل بعض النجاح في اعمالهم واخذ يتصل امرهم بالمقيمين حتى اصبح ذلك داعيا للهجرة يلعب دوراً هاما في اجتذاب المقيمين الى المغترب . ويمكن لنا ان نقدر فعل هذا العامل حق قدره اذا ما علمنا ان المرء نادراً ما يجـد قرية في لبنان لم تفقد بعض ابنائها بالهجرة . ويقدر البعض ان القرية اللبنانية قد هجرها حوالي ثلث ابنائها طلبا للرزق في بلاد المغترب . وكثيراً ما كان نجـاح الاوائل يتمثل امام عيون المقيمين بشكل ارساليات مالية يبعث بها المغتربون الى ذويهم ممن تخلف في لبنان او بشكل بناء حديث متوج بالقرميـد الاحمر يتوسط اكواخ القرية وبيوتها المزرية . وكثيراً ما كان المغتربون يجتذبون المقيمين بشكل مباشر عن طريق تأمين العمل لهم او تسديد نفقات سفرهم او ما شاكل ذلك وكان ايضا بين العوامل التي شجعت على الهجرة ما كانت تقوم بـه وكالات السفر من دعايات فعالة وما كانت تمنحه من تسهيلات .

علاقات لبنان الخارجية في عهد الشهابيين

سليم نقاع

توفي احمد بن ملحم اخر الامراء المعنيين الذين حكموا لبنان في سنة ١٦٩٧ دون ان يترك ولداً يخلفه . وانقرضت الاسرة المعنية الا ان الحكم الذاتي استمر في لبنان . ووقع الاختيار على ابن شقيقه الامير بشير الشهابي من راشيا ليكون حاكما على لبنان وقد كان اختياره في جمعية وطنية ضمت وجهاء لبنان وعقدت في السمقانية سنة ١٦٩٧ . « وارسل القرار الى الباب العالي بواسطة والي صيدا مع التأكيد بان الضرائب المعتادة مضاف اليها المتأخرات سيكون وصولها قريباً »[١].

وكان الامراء الشهابيون الذين حكموا لبنان فيما بعد وانتهى حكمهم بمأساة في ١٨٤١ م :

بشير الاول ١٦٩٧ – ١٧٠٦	بشير الثاني ١٧٩٠ – ١٨٤٠
حيدر الاول ١٧٠٦ – ١٧٣٢	حيدر الثاني وقعدان ١٧٩٠ – ١٧٩٣
ملحم ١٧٢٩ – ١٧٥٣	ابناء يوسف الثلاثة ١٧٩٣ – ١٧٩٩
احمد ومنصور ١٧٥٣ – ١٧٧٠	قعدان وسلمان ١٨٠١ –
يوسف ١٧٦٣ – ١٧٩٠	حسن وسلمان ١٨٢١ –
احمد وفندي ١٧٧٨ – ١٧٨٠	عباس ١٨٢٢ –
	بشير الثالث ١٨٤٠ – ١٨٤١

(1) Hitti, philip. Lebanon in History - Macmillan and Co. Ltd. New-York 1957. p. 587

ان التفاصيل التاريخية لتلك الحقبة التي استمرت قرابة قرن ونصف والتي حكم الشهابيون خلالها لبنان جديرة بلفت النظر . ولم يكن دوماً بالامكان معرفة تلك التفاصيل وبواعث الاحداث اللبنانية واسبابها خلال تلك الحقبة بسبب عدم توفر المصادر وخاصة فيما يتعلق بالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

اصل الاسرة :

ينحدر الشهابيون من اسرة تنتمي الى قبيلة قريش الشهيرة . فقد نزح جدهم مالك الملقب بشهاب من الحجاز الى حوران في القرن السابع خلال الفتح العربي . وفي القرن الثاني عشر جاءوا الى وادي التيم واستقروا في حاصبيا وراشيا. وتقربوا من المعنيين . حكام الشوف وارتبطوا واياهم بصداقات متينة ادت الى التزاوج فيما بين الاسرتين . وكان مالك ابنا للامير الحارث ابن هشام المخزومي القرشي الحجازي . [٢]

قبل البدء في بحث العلاقات اللبنانية الخارجية خلال الحكم الشهابي من الضروري اعطاء وصف للحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية بغية تفهم السياسة الخارجية التي اتبعها الشهابيون .

من المسلم به ان لبنان ذلك العهد لم يتمتع مطلقاً بالاستقلال حسب مفهومه الحديث وبالتالي لم يكن له سياسة خارجية كدولة مستقلة . الا ان تأثير الامير الحاكم على العلاقات اللبنانية مع العالم الخارجي كان يتوقف على مدى الاستقلال الذاتي الذي كان يتمتع به نفسه . لقد كان على الشهابيين كغيرهم من حكام لبنان أن يتصرفوا بدهاء الثعلب ابقاء على مصالحهم وخلاصهم تجاه المناورات ودسائس الدول الاخرى والباشوات العثمانيين في المناطق المجاورة .

ان الرجل الذي تمكن من وضع تنفيذ سياسة معينة في الحقل الدولي كان بشير الثاني الملقب بالكبير والذي حكم من ١٧٩٠ الى ١٨٤٠ (خمسون عاماً من حكم

---

(٢) المعلوف ، عيسى اسكندر – تاريخ الامير بشير الشهابي الكبير – ادارة زحله الفتاة – زحله ١٩١٤ . ص. ٥ .

الشهابيين الذي استمر مائة وخمسين عاماً) . وستكون تلك الحقبة موضع الاهتمام في هذه الدراسة .

التنظيم الاداري والاجتماعي :

بعد معركة عينداره قام الشهابيون بتنظيم البلاد على اساس هرم اقطاعي . ويقول المؤرخ لامانس انهم كانوا يشكلون قمة هذا الهرم . واحتفظوا بحقوقهم على البلاد التي احتفظت بفضل عنايتهم بمزية كونها ملجأ تفرض الاحترام على اشد ممثلي الباب العالي سلطة . واصبحت اسرة جنبلاط سيدة الشوف . واسرة ابي اللمع سيدة المتن وآل الخازن في كسروان . وبصورة عامة وبقطع النظر عن تدخل العثمانيين الدائم فقد حافظ لبنان على هذا التنظيم حتى سقوط بشير الثاني ١٨٤٠ .

يلاحظ فولناي ان عدد السكان كان مرتفعاً بسبب تمتع كل فرد بالحرية وبالامن والطمأنينة في املاكه وحياته وعمله . وقد شعر الفلاح بانه آمن مطمئن . وثمة سبب آخر وهو « حياة التقشف التي كانت تحياها البلاد مستهلكة الشيء القليل من كل شيء » .[٣]

كان اهتمام الباب العالي اولاً جمع الميرة بقطع النظر عن الجهة التي تؤمن جمعها اكانت من قبل الباشوات او الزعماء المحليين . ومن جهة اخرى نرى ان كل ثورة في لبنان في تلك الفترة وكل حركة معارضة كانت تشن عند فرض الضرائب وغيرها من الهدايا الاجبارية بطرق اعتباطية ، وكان الشعب يخشى دوماً جمع الضرائب السنوية عندما كان الباشوات يلجأون الى جنود الانكشارية وغيرهم لحمل السكان على الدفع بالقوة .

ومن جهة المبدأ كان فرض اية ضرائب جديدة يحتاج لموافقة الوجهاء الذين كان بامكانهم معارضتها . كذلك كانت موافقتهم لازمة في حالات الحرب والسلم . وكان يمكن لكل شيخ وكل فلاح من حيث مركزه او قوته ان يعطي صوته . ويمكن اعتبار الحكومة في مثل هذه الاحوال مزيجاً من الاستقراطية والملكية

3 - Lammens, H. La Syrie . Imprimerie Catholique - Beyrouth 1921. P. 96 .

والديمقراطية .

خلال تلك الحقبة وضعت ثلاثة انواع من الضرائب . واحدة يتوجب دفعها نقداً : ويدفعها رب الاسرة . اما الثانية والثالثة فتدفع عيناً بنسبة نصف منتوج الحرير وخمس سائر ما تنتجه الارض .

وكان الامير بنفسه او من يعينهم من قضاة يفصلون في قضايا العدالة دون اية رسوم وكان الناس ينظرون اليه كحكم ووسيط . وقد كان الشهابيون بصورة عامة قضاة عادلون ونجحوا في اقرار النظام . وكان بامكان المرء ان يتجول ليلاً نهاراً بكل امان وطمأنينة ومثل هذه الحالة لم تكن معروفة في المناطق المجاورة .

النظام العسكري :

بعد فخر الدين الثاني لم يكن الامراء يستخدمون قوات معينة وكان الاحتفاظ بجنود المرتزقة عملية مطلقة ولم يكن الباب العالي راضياً عن وجود مثل هذه القوات لدى الامراء من جهة اخرى . لذلك كان على كل لبناني قادر ان يحضر مبدئيـــاً لدى اول نفير .

ولقد رأى فولني في ١٧٨٤ حوالي خمسة عشر الف بندقية تجتمع في دير القمر بعد ثلاثة ايام من دعوتها . وكان الامراء والمشايخ يملكون الخيول . ولم يكن نظام الالبسة والفرق العسكرية معروفاً . ولذلك كان بامكان الامير المحافظة على قواته على اتم الاستعداد بصورة دائمة . فقد كان لها صبغة الخدمة العسكرية المعروفة باستثناء التدريب .

ان هذا وبالاضافة الى الشدة والشجاعة وحب الاستقلال وهي صفات الجبليين جعل القوات اللبنانية المحاربة لا مثيل لها في المنطقة . والجبليون اقوياء ومعتادون على الجبال وقوتهم تصل الى حوالي اربعين الف مسلح . وكان على هـذا التنظيم العسكري ان يستمر طيلة القرن الثامن عشر .

وهناك **عاملان** ساهما في وضع وتنفيذ السياسة الخارجية تحت حكم الشهابيين وهما :

أ ــ التجارة الخارجية

ب ــ شخصية بشير الثاني

أ ــ التجارة الخارجية :

كانت التجارة الاوروبية هامة جداً مع لبنان في ذلك الوقت . فقد كانت البلاد ملتقى القوافل القادمة من جميع انحاء آسيا ومنها كانت تشحن الى الغرب . وكانت بداية التجارة الاوروبية مع فرنسا فقد ازدهرت وتمت بفضل الامتيازات ولحقتها فيما بعد التجارة مع انكلترا والبندقية وهولندا . « وقام الفرنسيون باعمالهم التجارية تطبيقاً وتحقيقاً للسياسة الخارجية التي بدأها لويس الرابع عشر ١٦٤٣ ــ ١٧١٥) واستمر بها خلفاؤه بغية تنمية التجارة الفرنسية وحماية الكاثوليكية » .[٤]

وكانت المدن التجارية مثل بيروت وصيدا وطرابلس وصور وعكا وحيفا مراكز للقنصليات التي ازدادت قوة ونفوذاً . وكانت هذه القنصليات تعمل احيانا كثيرة كوسائل ضغط على الباب العالي وهمزة وصل مع الدول الاجنبية .

وفي اواخر القرن السابع عشر كانت صيدا تزاحم حلب لتنتزع منها مكانها الاولية كمدينة تجارية . ويقول دارفيو ان بيروت في اواسط القرن السابع عشر « كانت اكبر من صيدا على مرتين وفي اوضاع احسن» . وحسن الاوضاع مرجعه الادارة الصحيحة التي كان يتبعها الامراء .

« كانت بضائع الحرير والزيت والصابون والصوف والقطن على رأس قائمة الصادرات الزراعية والصناعية . ومن بين منتجات البلدان المجاورة كانت الارز والقهوة تصدر من صيدا . وكانت هذه البضائع والمنتجات تصدر لقاء استيراد البضائع القطنية والصوفيه من فرنسا والورق والحديد والنحاس من انكلترا والادوات اليدوية وقطع النقد المسكوكة من كلي البلدين» .[٥]

---

(4) Hitti, Pihlip. Op. cit. - p. 398

(5) Hitti, Philip. Op. cit - p 400.

ب – شخصية بشير :

« كان هذا الشهابي بشكله الجليل وكثافة حاجبيه واتساع عينيه الخارقتين المتقدتين وذقنه المتموجة يوحي الهيبة والاحترام » .

وقد وصفه رستلهوبر بانه كان فظاً وناعماً بنفس الوقت . متحفظاً لا يخشى العواقب وكان الامير صورة صادقة للحاكم الشرقي يفرض الاحترام بقدرته وثراه.

قال عنه غيز « لقد رايت عدداً من الاشخاص ذوي المراكز الرفيعة ولكن ما من واحد منهم جعلني اشعر خلال زيارته بعظمته وهيبته مثل الامير بشير .

ولذلك لم تساعد الامير صفاته الشخصية للمحافظة على الوحدة بين الطوائف والمناطق الخاضعة لنفوذه فحسب بل كانت سلاح في يده في علاقاته مع الممثلين الاجانب . وكان لشخصيته تأثير على محمد علي والجزار ونابليه وسميث وغيرهم .

يحكى ان السلطان مع بعض اعضاء بلاطه استقبل الامير خلال اقامته الاخيرة في المنفى في القسطنطينية . وامر السلطان الحضور بالبقاء جالسين عند استقبال (الامير الاقطاعي) غير المخلص له ولكن عندما بدا الامير وقف السلطان على قدميه وتبعه جميع الحاضرين . وعند انصرافه سأل احدهم السلطان لماذا لم يتبع التعليمات التي اصدرها هو فاجاب: ان له من القوة الذاتية ما جعلني اقف رغما عني».

المبدأن الاساسيان في علاقات الشهابيين الخارجية :

أ – تحدي القسطنطينية بلبنان موسع مستقل .

ب – التقدم نحو الحضارة .

أ – تحدى القسطنطينية بلبنان موسع مستقل .

في عهد فخر الدين الثاني اصبح لبنان وحدة سياسية وبذل الشهابيين وبصورة خاصة بشير الثاني جهوداً جبارة في سبيل الاستقلال . وبالطبع كان بشير الثاني طموحاً وعرف كيف يخفف ويخفي طموحه تجاه القسطنطينية وسائر الباشوات المجاورين له مستخدماً بذلك دهاؤه وكل ما اوتي من وسائل واساليب وفشله في

النهاية لم يمح مطلقا النتائج الدولية لسياسته .

ان قوة اللبنانيين العسكرية وتنظيمهم في تلك الفترة كانت عامــلًا اساسياً استخدمه الشهابيون لمصلحتهم . وكانت هذه القوة العامل الفعال في المعـارك التي جرت في لبنان مع الاجانب (مثلًا : تعاون بشير مع ابراهيم باشا ، سليمان باشا ، عبدالله باشا الخ . . .)

واستغل بشير اوضاع الفوضى والفساد التي كانت قائمة في الامبراطورية العثمانية . « وحاور بمقدرة فائقة الولاة العثمانيين المحيطين به وكان يشتري بسخاء الشك الذي يعتري الباب العالي من جهته واخضع الاقطاعيين الدروز والمسيحيين الذين اوجدهم اسلافه واصبح الان حاكما مطلقاً قويا ».(٦)

وجاءت التجربة الحاسمة الاولى لمقدرته كرجل دولة مع غزوة نابوليون لسوريا ولبنان . وسعى نابوليون للتحالف مع الامير واعدا بتحرير البلاد من الاحتلال العثماني وبتخفيف الضرائب ويقول لامارتين ان بشيرا اجاب بانه مستعد لمقابلته ولكن بعد احتلال عكا . وفهم القائد موقف بشير وقدم له بندقية رمزية وطلب الجزار المساعدة من بشير ولكن الامير اجاب بان الحالة في الجبـل لا تسمح له بالمساعدة عن طريق ارسال القوات اليه . غير انه لم يضع العراقيل في سبيل المساعدة العثمانية للجزار .

ان مقدرة بشير الدبلوماسية نصت عليه مبدأ « تريث وراقب » لقد عرف الى اي حد كانت عكا محصنة وان الانكليز كانوا مصممين على الدفاع عنها .

ان اول رسالة بعث بها الاميرال الانكليزي سيدني سميث الى الامـير بشير وغيره من حكام الجبال اللبنانية كانت مؤرخة في ١٤ نيسان سنة ١٧٩٩ خــلال حصار عكا . وفيها يطلب سميث صداقة الامير . واصبح الرجلان فيما بعد صديقين حميمين وخاصة بعد اجتماعهما في عين عنوب وحاول فيما بعد مساعدته ضد اعمــال الجزار الانتقامية . وكتب الى رئيس الوزراء في القسطنطينية يقول : الجزار ضد

(6) Hitti, Philip Op. cit.. p. 412

الامير اللبناني من شأنها تهديد العلاقات القائمة بين العثمانيين والانكليز . وقد ثبت رئيس الوزراء يوسف ضيا الذي كان في ذلك الوقت في حلب ثبت صلاحيات بشير ووضع جبل لبنان ووادي التيم وبعلبك والبقاع وجبيل تحت سلطة الامير ولم يعد بامكان الباشوات العثمانيين التدخل واصبح من المتوجب دفع الضرائب الى الباب العالي مباشرة الا ان العلاقات بين بشير والجزار بقيت متوترة حتى وفاة الاخير في سنة ١٨٠٤ .

محمد علي :

ان انتصار محمد علي في جزيرة العرب على الوهابيين وانتصاراته الاخرى في السودان وادارته الحازمة الواسعة زادت شهرته وهيبته في سائر العالم العربي . وقد وضع مشروع يحقق امبراطورية عربية على حساب ممتلكات السلطنة . ووصل الى مقربة منها في غزوته لسوريا « وعند احتلاله سوريا اصبح ذلك المشروع موضع اهتمام عام . وقد تلقى التشجيع من المراجع المشوبة وذلك عن طريق مقترحات فعالة قدمها له الكونت بروكس – اوستن الذي وصل الى القاهرة في مهمة خاصة.

وتحالف بشير الثاني مع الحاكم المصري وساعده على احتلال سوريا ولبنان . وكان على لبنان ان يصبح خلال القرن الثاني موضع تدخل اجنبي وهدفا للحرب الدبلوماسية . ففي سنة ١٨٣١ احتل المصريون الجبل، واستغل بشير شعور المسلمين عن طريق مشروع انشاء امبراطورية عربية بعد طرد الاتراك . وقد تحمس المسيحيون لذلك وقد سمعوا بالمعاملة الطيبة التي كان يلقاها اخوانهم المسيحيون في مصر من محمد على . وقد نشأ الاعتقاد ، ولو كان على اسس ضعيفة ، واتسع وان الغزو المصري سيحرر العرب . وكان ابراهيم يشعر مسبقاً وقبل وصوله بدلائل الترحيب بقدمه كبطل للتحرر العربي » .

الا ان السياسة المصرية اثبتت فيما بعد انها سياسة مكيافيلية . فقد بدأ شعور الكدر ينتشر بين الرأي العام كرد فعل لا ماالهم الجسام ولزيادة الضرائب المفروضة. وقد ناصر المصريون المسيحيين ضد الدروز وساعدوهم . وفي سنة ١٨٤٠ اخرجوا

من البلاد من قبل الانكليز والعثمانيين ولسبب الثورة الشعبيه وتبعهم في ذلك بعد بضعة اشهر بشير الثاني ولم يتمكن بشير قاسم من البقاء كحاكم على لبنان . وبذا كانت نهاية حكم الشهابيين . وبسبب التعاون بين بشير والمصريين والمساعـدة التي قدمها لهم فقد كان عليه ان يتحمل جزءاً من مسؤولية الكره التي جابهها المصريون خلال مدة احتلالهم . ويلاحظ غيز ان نفوذه اخذ يضعف اكثر فاكثر وازداد اعداؤه وكان من جراء نزع سلاح اللبنانيين ان تغيرت نفسية البلاد ومثل هـــذه الاسباب جعلت المصريون يرتاحون اليه .

ويلاحظ غيز نفسه ان الامر انتهى ببشير الى ان يكره المصريين شأنه في ذلك شأن رعاياه ولكن خبرته الواسعة جعلته يكون حذراً . حتى في مقره كان عليه ان يكون في منتهى اليقظة خشية من الجواسيس ولتجنب القضاء عليه هو شخصياً .

وفي مثل هذه الاحوال والظروف فانه لمن الصعب جداً القول عما اذا كان بشير موافقاً ثورة ١٨٤٠ والى اي حد كانت موافقته . وعلى الرغم من هذا كله فان الانكليز مثل سميث وود ونابيير الذي ساهموا عمليا في ثورة الشعب اللبناني سنة ١٨٤٠ كانوا يؤيدون عودة بشير الى الحكم .

كتب اوجين بور « في مقال نشرته » مجلة الشرق « ان بشير لم يستسلم كلياً الى محمد علي الذي لم تكن اوضاعه توحي بالثقة . ومن ناحية اخرى لم يتفضل عن السلطة العثمانية ان هدفه وامله كانا المحافظة على استقلال بلاده وان يكون صديقاً وحليفاً مخلصاً عندما تدعو الحاجة لا ان يكون تابعاً مضطهداً . وعندما رأى ان النظام المصري يحاول فرض نفسه في البلاد عن طريق مهاجمة المزايا التي يتمتع بها الجبل اكتفى باتباع سياسة الحذر وهي سياسة لم يتمكن محمد علي من تفهمها لمدة طويلة .

ومن بين الاسباب المتشابكة التي ادت الى فشل حاكم مصر سببان اساسيان اوردهما انطونيوس أ - معارضة بالمرستون ب - عدم وجود تفكير عربي قومي .

ان هدف الانكليز من مساعدتهم بطرد ابراهيم من سوريا ولبنان لم يكن الخوف من التوسع الروسي فحسب بل تصميمهم على حماية طريق الصفد وتجنب

تفكك الامبراطورية العثمانية وقد جاء على لسان وزارة الخارجية الانكليزية ان الغاية التي كانت دول اوربا الخمس تهدف اليها هي المحافظة على وحدة الامبراطورية العثمانية وكان لهم حق في المحافظة على هذه الوحدة لان المحافظة عليها ضرورية للابقاء على التوازن الدولي في اوروبا ولانها كانت اساسية في المحافظة على السلام في العالم.

ب ـ التقدم نحو الحضارة :

اننا نلاحظ في تلك الحقبة دلائل الاستعداد للتقدم في حقول الثقافة والعلوم والصناعة الخ ومبعث ذلك اتصال البلاد بالبحر والتجارة بحد ذاتها واقامة الاوروبيين في المدن الساحلية وقد لقي هذا الاستعداد التشجيع الكلي من قبل الشهابيين وبصورة خاصة الامير بشير الثاني وخلال امارة بشير الثاني انبعث سياسة متحررة ومتنورة . فقد تحولت مدرسة الرهبنة المارونية في عين ورقة الى مؤسسة علمية على الطراز الاوروبي . « وارسل بشير عدداً من الطلاب اللبنانيين للتدريب في اول معهد للطب في الشرق العربي الحديث وهو معهد القصر العيني الذي انشأه محمد علي بوحي من الغرب»[٧] ويرجع الى بشير الفضل كذلك في انشاء نظام الحجر الصحي فيما يتعلق بالسفن الاجنبية القادمة الى ميناء بيروت .

وكان بشير اول من ادخل الى البلاد التلقيح ضد الجدري . فقد استعمل اللقاح التنصل النمسوي على بعض الرجال المقربين من الامير الذي استعمله بدوره هو وعائلته بعد هذه التجارب ليثبت مفعوله وفعاليته . وبذلك اصبح اللقاح مقبولا بين اللبنانيين .

وشجع الامن والعدالة في تلك الفترة الاوروبيين لانشاء علاقات تجارية وصناعية وخاصة صناعة الحرير .

ولقيت الارساليات الاوروبية الترحيب في عهد بشير وانشأت المدارس التي لا زالت حتى الان تعطي النتائج القيمة في حقول التعليم . لقد وجد الشهابيون

(7) Antonius George. The Arab Awakening - Khayat's College Book Cooperative - Beirut 1955. p. 23

انه من مصلحة لبنان فتح الافق نحو العالم الخارجي .

وانشأ الاميركيون مدرسة للصبيان واخرى للبنات ونقلوا مطبعتهم العربية من مالطة الى بيروت . وانشأت مدرسة فرنسية في عينطورة في سنة ١٨٣٤ وفي سنة ١٨٤١ انشأ اليسوعيون مدرسة اخرى في بيروت . كذلك انشأت مدارس اخرى في بكفيا وغزير وزحله .

لقد ادرك الشهابيون ان الضمانة الاولى للوجود والاستقلال ترتكز على القوة الوطنية والتحرر الديني والوحدة والتفاهم بين جميع الطوائف والفئات في البلاد وهذا هو المبدأ الاساسي في ادارتهم الداخلية وعلاقاتهم مع العثمانيين والعالم الخارجي كذلك جعلتهم الحكمة يدركون ان بامكان اوروبا ان تأتي بالتقدم الى بلادهم في بعض الحقول .

القصيدة العربية وتطورها

فؤاد ترزي
الجامعة الاميركية ببيروت

توطئة

ان البحث في القصيدة العربية وتطورها هو البحث في الشعر العربي وتطوره الى حد بعيد . فالبحث في القصيدة يقتضي التعرض المراحل التي مر بها الشعر حتى وصل في شكله الى القصيدة ، كما ان البحث في تطورها يقتضي ذكر الجهود التي بذلت للخروج بها عن طوقها، وما نجم نتيجة لهذه الجهود من نماذج شعرية ليست في عداد القصائد، في اعتبار العرب .

ولسعة هذا الموضوع سأضطر الى التخلي عن الخوض في المراحل التي سبقت القصيدة وادت اليها ، وعن التطرّق الى ما ادى اليه تطور هذه القصيدة من اشكال شعرية ليست منها، وسأقصر بحثي على القصيدة ذاتها وتطورها منذ كانت القصيدة الى ان اتخذت شكلاً مركّزاً واضح المعالم في العصر العباسي .

ويخيل اليّ ان دراسة كهذه لا غنى لها عن المنهج التاريخي لتتبع هـذا التطور تتبعاً زمنياً ، وعن المنهج النقدي للوصول الى كنه هذا التطور وماهيته .

التعريف بالقصيدة :

ولكن ما هي هذه القصيدة التي نحن بصددها ، وهل توصل العرب الى تحديد ثابت واضح المعالم لها ؟

جاء في لسان العرب لابن منظور :

١ ـ القصيد من الشعر ما تمّ **شطر ابياته** . سمي بذلك لكماله وصحة وزنه .

٢ ـ قال ابن جني : سمي قصيداً لانه **قُصِدَ واعتُمِدَ** وان كان ما قَصُرَ منه واضطرب بناؤه نحو الرمل والرجز شعرا مراداً مقصوداً وذلك ان ما تمّ من الشعر وتوفّر آثر عندهم واشد تقدماً في انفسهم مما قَصُرَ واختلّ فسموا ما **طال ووفر** قصيداً اي **مراداً مقصوداً** وان كان الرمل والرجز ايضاً مرادين مقصودين.

٣ ـ وقيل سمي قصيداً لانه قائله **احتفل له فنقّحة باللفظ الجيد** والمعنى المختار واصله من القصيد وهو المخّ السمين الذي يتقصّد اي يتكسّر لسمنة ، (وضده الرّير وهو المخ السائل الذي يميع كالماء ولا يتقصّد .)

٤ ـ وقالوا شعر قُصّد اذا نقّح وجوّد وهذّب.

٥ ـ وقيل سمي الشعر التام قصيداً لأن قائله جعله من باله **فقصد له قصداً** ولم يحتسه حسياً على ما خطر بباله وجرى على لسانه بل **روّى فيه خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضاباً** فهو فعيل من القصد وهو الأَمّ .

٦ ـ وقال ابن برزح : اقصد الشاعر وأرمل وأهزج وأرجز من القصيد والرمل والهزج والرجز . وقصّد الشاعر وأقصد **أطال وواصل عمل القصائد.**

٧ ـ قال ابو الحسن الاخفش: « وليست القصيدة الا ثلاثة ابيات.» والقرينة تدل على انه يقصد على الاقل .

٨ ـ قال ابن جني : وفي هذا القول من الاخفش جواز وذلك لتسمية ما كان على ثلاثة ابيات قصيدة . قال والذي في العادة ان يسمى ما كان على ثلاثة ابيات او عشرة او خمسة عشر قطعة ، فاما ما زاد على ذلك فانما تسميه العرب قصيدة .

٩ ـ قال ابن جني ايضاً ، اصل قصد ومواقعها في كلام العرب الاعتزام

والتوجّه والنهود والنهوض نحو الشيء . والقصد **الكسر** ، تقول قصدت العود قصداً كسرته ، وقيل هو **الكسر بالنصف** ... قصدته فانقصد وتقصّد. تقصّدت الرماح تكسّرت .

ويستخلص من هذه الاقوال المضطربة ان هنالك اربع صفات تتنازعها التسمية وهي : القصد والاعتماد ، والتجويد ، والشطر ، والاطالة .

ويحار الباحث في اي من هذه الصفات يعتمد كاصل للفظة قصيدة ؛ وقد يبدو له ان مما قد يساعد على الوصول الى حكم يُطمأن اليه في هذه القضية تلمّس المعنى الاصلي لمادة قصد في لغات سامية اخرى ، غير انه لا يلبث حتى يعود وهو خالي الوطاب حين لا يجد هذا الجذر موجوداً في العبرية والسريانية وهما من اكثر اللغات السامية تطوراً . ولذا اصبح حتماً علينا اعتماد النصوص العربية وحدها في محاولة الوصول الى حكم .

اما اتخاذ الاعتماد والقصد كاصل للتسمية فبعيد في رأيي اذ اي اثر ادبي لا يُقصد اليه ولا تُعتمد فيه خطة حين صوغه ، وعملية الصوغ عملية ذهنية لا يمكن حدوثها دون اعتماد وقصد . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى قد يكون المقصود بالقصد هنا ان تهدف القصيدة الى غرض معين كالمديح وما يلازمه من توقع للعطاء مثلاً ، وهذا ما ذهب اليه كرنكاو Krenkaw في الموسوعة الاسلامية اذ قال: «وقد اشتق اسم القصيدة من الجذر قَصَدَ الذي يعني هَدَفَ to aim ، وذلك لانها كانت في القديم تحتوي على مديح قبيلة الشاعر وهجاء اعدائها ، وفيما بعد على مديح شخص او اسرة من قبل شاعر يتوقع الصلات او يطلبها بصراحة ثمناً لمديحه ».[1]

وغني عن البيان ان رأي كرنكاو هذا لا يمكن الاخذ به بسهولة ، فليس كل ما نظم العرب من قصائد كانت في المديح ونوال الصلات ، ولا في المديح والهجاء . ولعل ما يردف به كرنكاو رأيه هذا من قول مضطرب يغنينا عن الاسهاب في الرد عليه وتفنيده اذ يقول : « ولا يبدو منذ اقدم العصور ان هذا الاسم كان يشمل المرثية (المرثاة) ، انما كان يشمل في اعتبار الشعراء

---

(١) الموسوعة الاسلامية مادة «قصيدة»

القدامى قصائد الهجاء رغم ان الاخيرة كثيراً ما لم تكن تحوي خصائص القصائد الحقيقية .» (١)

واما اتخاذ التجويد والتثقيف كأصل للتسمية فمردود ايضاً والا لما افرد النقاد القدامى زهيراً والحطيئة وامثالهما من الشعراء المجوّدين واعتبروهم عبيداً للشعر. ولكان من الممكن ان يقول الحطيئة ، وهو الذي روي عنه قوله : « خير الشعر الحوليّ المنقّح المحكّك » ، « خير الشعر القصيدُ الحوليّ ».

وأما الشطر فيمكن قبوله كأصل للتسمية اذا استطعنا التيقّن من ان الرجز – وهو سابق للقصيد – كان يُنظم بشطر واحد . فيكون معنى قول ابن سلاّم حينئذ بأن المهلهل كان أول من قصّد القصائد ، انه اول من زاوج بين الشطور فجعل من كل بيت في القصيدة شطرين عوضاً عن شطر واحد . غير ان اعتناق هذا الرأي يترتب عليه شمول القصيدة للمقطوعة ، وهذا ليس بمستبعد في عصر لم يعرف فيه العرب التحديد المنظم للأشياء ، وهذا الاخفش وهو في عصر متأخر يعتبر ما جاء من الشعر على ثلاثة ابيات قصيدة . غير ان المشكلة الرئيسية هي اننا لا نستطيع الاخذ بهذا الرأي قبل التيقن من ان الرجز كان ينظم بشطر واحد كما ذكرت ، وليس لدينا من الدلائل ما يثبت ذلك اثباتاً قاطعاً . وقد يقال ان العدد الفردي لشطور بعض الاراجيز يمكن ان يتخذ دليلاً على ذلك ، الا انه من الناحية الاخرى لدينا من الاراجيز ما شطوره زوجية العدد ؛ اضف الى ذلك ان فكرة المزاوجة بين الشطور موجودة في الرجز لاتحاد الرويّ في كل شطرين ، وهذا الامر ذاته يدعم الاعتقاد بان الرجز هو اصل للشعر وتطور طبيعي لسجع الكهان جاء عن طريق اقتران سجعتين متوازنتين .

بقيت فكرة الاطالة ، وانا استبعد ان تكون الاصل في التسمية وان كنت اعتقد انها نتيجة لها .

جاء في طبقات الشعراء لابن سلاّم : « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر الا الابيات يقولها الرجل في حادثة ، وانما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد

---

(١) المصدر السابق نفسه

عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف .»

ويبدو من هذا القول ان هناك عمليتين هما تقصيد القصائد وتطويل الشعر . ولو كان المقصود بتقصيد القصائد تطويلها لبدا من العبث القول : وانما طولت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم ؛ غير ان هذا لا يمنع من ان يكون تطويل الشعر ناجماً عن تقصيد القصائد ان وفقنا الى تفسير التقصيد على وجه آخر غير التطويل . وقد يقال ان العرب ألفت التكرار في القول، غير ان التكرار ان لم يكن حشواً فهو لامر بلاغي ولا اظن ان هناك امرا بلاغياً قصد اليه في تكرار المعنى هنا .

ولقد حان الوقت لأن ادلي برأيي في هذا الامر ؛ ولكن قبل ذلك دعني ان انقل قولاً لابن خلدون جاء في صدد بحثه عن الشعر في المقدمة ، اذ قد يكون في هذا القول مفتاح لهذه القضية المبهمة . قال ابن خلدون : « ويسمّى جملة الكلام الى آخره قصيدة و كلمة ، وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلامٌ وَحْدَهُ مستقلّ عما قبله وما بعده، واذا افرد كان تاماً في بابه في مدح او تشبيب او رثاء فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن **مقصود الى مقصود** بأن يوطىء **المقصود** الاول ومعانيه الى ان تناسب **المقصود** الثاني.[1]

والذي يهمنا في هذا القول كلمة مقصود . فاذا علمنا ان قصيد هي فعيل بمعنى المفعول وان من معانيها مقصود او مهدوف اليه ، واذا علمنا ايضاً ان قصيد نفسها يصح ان تكون جمعاً لقصيدة (كسفين وسفينة كما يذكر الجوهري في الصحاح) كان من السهل الافتراض ان تقصيد القصيد (بالجمع) (او القصائد) معناه الخروج بالقصائد من المرحلة التي تشمل فيها القصيدة غرضاً واحداً الى مرحلة اخرى تشمل فيها اغراضاً متعددة يقصد اليها الشاعر وينتقل فيها من غرض الى غرض . وهذه العملية تؤدي بالنتيجة الى اطالة القصائد او القصيد .

وهذا الرأي يوفق بين كثير من الآراء السالفة الذكر التي خلطت بين العملية

(١) مقدمة ابن خلدون (مطبعة الكشاف بيروت) ص ٥٦٩

ونتائجها ، كما يتلاءم مع ما رواه ابن سلام من قول. ولعلي استطيع ان اذهب الى ابعد من هذا فازعم بأن في قول ابن سلام نفسه ما يصح ان يتخذ منه دليـل على صحة هذا الرأي ، فلو كان المقصود بالتقصيد الاطالة فان وحدانيـة الحادثة لا تمنع من الاطالة فيها ، انما اورد القول بشقيه : لم يكن لاوائل العرب من الشعر الا الابيات يقولها الرجل في **حادثة واحدة**، وانما قصّدت القصائد **وطوّل الشعر** على عهد عبد المطلب وهاشم ، على سبيل المفارقة ؛ فلا بد ان يكون الشق الثاني يعني الجمع بين اكثر من حادثة واحـدة او موضوع واحد ، فالحادثة الواحدة لا تمنع من التطويل والاسهاب في شرحها .

وما لنا نذهب بعيداً وقصيدة المهلهل الاولى او جزء منها على الاقل وصلت الينا ، وهي القصيدة التي مطلعها :[١]

كنا نغار على العواتق اذ ترى   بالامس خارجـــة عن الاوطان

ان هذه القصيدة تشمل اكثر من موضوع واحد ففيها ذكر للنساء وفيها رثاء وفيها وعيد .

ومهما كان الامر فان القصيدة بمفهومها القديم مجموعة ابيات شعرية لا تقل عمـا يقرب من عشرة ابيات ، تتحد في الوزن والقافية وتتناول اكثر من غرض واحد من اغراض الشعر . ويبدو ان هذا الاسم لم يكن ليشمل المرثية (المرثاة) منـذ اقدم العصور كما يقول كرنكاو في الموسوعة الاسلامية ، ويرجع (Grunebaum) ذلك في مقال له في كتاب The Arab Heritage [٢] الى اختلاف في النشأة بـين القصيدة والمرثيه ، فالمرثية في رأيه امتداد وتطور لنواح المرأة على الميت ، بينما القصيـدة امتداد وتطور لسجع الكهان . ويقرن هذا الرأي بالصلة القائمة بين الشاعر والجن في اقدم عصور الشعر العربي .

---

(١) زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ – ص ١٢١–٢٢ .

(٢) Ed. Nabih Amin Faris

تطور القصيدة في الجاهلية :

الواقع اننا لا نستطيع تتبع تطور القصائد الجاهلية بدقة فان ما وصلنا منها – على افتراض صحته – لا يصلح لهذا الغرض ، اذ انه لا يمثل الشعر الجاهلي في مراحل تطوره بقدر ما يمثل اذواق وحاجات الذين رووه ودونوه في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وعملية اختيار هؤلاء الرواة لما يصلح للتدوين على اساس الجودة او على اساس خدمة اغراض معينة ، كدعم نسب او افتخار بأصل او استشهاد بلفظه، افقدتنا الكثير من اضعف الشعر ومتوسطه ، وهو الذي كان من الممكن الاعتماد عليه في تتبع عملية التطور التي نحن بصددها . كما جعلتنا نتوقع وجود فجوات لا نستطيع ان نتبين مواقعها في عملية التطور هذه .

ومهما كان الامر فاننا نستطيع ان نلمح تطور القصائد الجاهلية التي وصلت الينا بخطوطه العريضة عن طريق ما في بعض هذه القصائد من دلالات داخلية internal idications او اشارات تاريخية تعيننا على اقامة بعض الحدود الزمنية .

وبمقارنة اقدم القصائد التي وصلت الينا ، كقصائد المهلهل بن ربيعة (المتوفى سنة ٥٣١) ، وقصيدة الشنفرى (المتوفى سنة ٥١٠)
[اقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى قوم سواكم لأميل] وقصيدة عبد يغوث (المتوفى سنة ٥٨٠) [الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا]

بمقارنة هذه القصائد بالمعلقات نلمح الطفرة التي طفرتها القصيدة الجاهلية ، لا من حيث الطول الذي تضاعف حتى اربى على المئة بيت فحسب ، بل ومن حيث تنوع الاغراض وازدحام الحوادث ومتانة اللغة ايضاً .

وفي الحق اننا نستطيع ان نتخذ من المعلقات مثالاً للقصيدة العربية الكلاسيكية بعد ان استقر حالها وتبلورت خصائصها .

والقصيدة الجاهلية كما وصلتنا ، تمثل مرحلة متطورة راقية من الناحية العروضية ، وان كان لا يخلو بعضها من بعض عيوب القريض كالاقواء الذي ظهر في بعض قصائد النابغة ، والايطاء الذي بدا في بعض القصائد الاخرى .

والظاهر ان اكثر ما نظم الجاهليون من قصائد كان على بحور الشعر الطويلة ؛ وتذكر الموسوعة الاسلامية في مادة عروض ان Freytag و Jacob قاما باحصاء الأوزان المختلفة التي نظم عليها الشعر القديم فتوصلا الى نتائج متشابهة تقريباً اذ وجدا ان الطويل اكثر الاوزان استعمالاً ويليه الوافر ثم الكامل فالبسيط ، اما المضارع والمقتضب والمجتث فلا وجود لها فيه .

ويبدو ان الوزن الواحد والقافية الواحدة هما الشيء الوحيد الذي احتفظ به الشاعر الجاهلي ليرمز الى وحدة قصيدته بعد ان عدم هذه الوحدة في الفكرة التي تنتظمها . فهو يبدأ قصيدته عادة بالنسيب فيقف على اطلال حبيب ظاعن ويخاطب هذه الاطلال سائلاً عن حبيبه، وقد يبكي ويستبكي ؛ ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف راحلته ويبين الاهوال التي تعرض لها هو والراحلة وهو يقطع الفيافي للوصول الى ممدوحه ، وقد يصف بعض الحيوانات التي يراها في سفره كالظباء وحمر الوحش والنعام ، وقد يصف خلال ذلك مشهداً حياً من مشاهد الصيد . ثم يتنقل الى مديح صاحبه وهجاء خصومه ، ثم ينتقل الى الفخر بنفسه وهنا يتسع امامه الافق للتعبير عن شخصية قضت عليها تقاليد البيئة ان تذوب في شخصية القبيلة في واقع الحياة العملية . وخلال هذا الفخر تبدو لنا المثل العليا للشاعر الجاهلي . وقد ينهي قصيدته بتأملات حكمية لا عمق فيها .

ويحاول ابن قتيبة ان يبرر بعض هذه المراحل على لسان بعض اهل العلم فيقول [١] : « ان مقصّد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فشكا وبكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر اهلها الظاعنين عنها اذ كان نازلة العَمَد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم من ماء الى ماء وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصّبابة ليُميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ويستدعي به اصغاء الاسماع اليه لان النسيب قريب من النفوس لايط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف

(١) الشعر والشعراء ص ٦

النساء فليس يكاد يخلو احد من ان يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال او حرام . فاذا علم انه قد استوثق من الاصغاء اليه والاستماع له عقّب بايجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النَّصَبَ والسهر وسُرى الليل وإنضاء الراحلة والبعـــير ، فاذا علم انه قد اوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأميل وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه على السماح وفضّـــله على الاشباه ...»

وقد يكون هذا التعليل صحيحاً على ما يبدو فيه من التكلف والتصنع .

يقول بعض المستشرقين ان من خصائص العقلية العربية ان لا تنظر الى الاشياء نظرة شاملة بل تعنى عادة بالنظر الى اجزاء الاشياء دون مجموعها ؛ فالعربي مثلًا ان رأى غابة امامه لا يُعنى بالنظر اليها كمجموع بقدر ما يعنى بالنظر الى شجرة فيهـا تستهويه ضخامتها او تفرع اغصانها او استقامة ساقها .

وأن طبقنا هذه الظاهرة على شعرنا الجاهلي بصورة خاصة عرفنا السر الذي لاجله كان البيت الواحد من القصيدة يكوّن وحدة مستقلة بذاتها .

ومن الطبيعي ان يكون البيت الواحد من الشعر اعجز من ان يكوّن لنـا صورة متكاملة الخطوط ، متناسقة الاجزاء ، معقدة التركيب . ولذا ليس بغريب ان تجيء الصور الشعرية في الشعر الجاهلي مبتورة غير متكاملة .. حتى وفي الحالات التي كان يحاول فيها بعض الشعراء الجاهليين اتمام صورهم عن طريق ايراد اكثر من بيت واحد كانت الصورة تأتي وكأنها خطوط متقطعة غير متلائمة .

لننظر الى ما قال امرؤ القيس في وصف البرق :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه	كلمع اليدين في حبيّ مكلل
يضيء سناه او مصابيح راهب	أمال السليط بالذُّبال المفتّل

يريد ان يرسم لنا صورة للبرق فلا يزيد على ان يشبه وميضه وهو في السحاب المتراكم بلمع اليدين او بمصابيح الراهب حين يميل فتائلها صبيب الزيت . انها صورة ساذجة اوحتها طبيعة ساذجة . انها تعتمد على التشبيه المادي اكثر ممـا تعتمد على

التصوير والوصف، وتنقصها فوق ذلك المسحة الاخيرة او ال retouche كما يقول الفرنسيون .

والواقع ان البيئة الصحراوية للجزيرة العربية لعبت دوراً هاماً في تكييف الصور الشعرية الجاهلية . فامتداد الصحراء امتداداً سطحياً واسعاً ، وافتقارها الى ما نجده في البلاد الجبلية عادة من تعقد في الطبيعة، مال بالفكر الجاهلي نحو السطحية وعدم التعقيد وانعكس ذلك على الشعر فخرجت صوره وهي اشبه بخطوط سطحية افقية ينقصها العمق وتفتقر الى التجسيم . والحياة القاسية التي فرضتها هذه الصحراء على سكانها هي التي طبعت الصور الجاهلية بطابع الوقار والتزمّت وافقدتها روح المرح الوضاءة التي نراها في معظم الصور العباسية . اضف الى ذلك ان عدم التنوع الذي تتسم به هذه الحياة هو الذي جعل من الصور الجاهلية صوراً قليلة التنوع كثيرة التشابه . ولعل ما نراه في كثير من المعلقات من تشابه في الصور والموضوعات ان هو الا أثر من آثار هذه الظاهرة .

ولئن أثرت الصحراء وحياتها في الصور الجاهلية من حيث صفاتها البارزة فانها لم تعدم التأثير فيها من حيث موضوعاتها ايضاً ، اذ ليست هذه الصور بالحقيقة الا ارجاعاً عقلية لما كان يقع في دائرة حس الشاعر الجاهلي وتخيله مما فرضته عليه طبيعة بلاده . ومن الطريف ان نلاحظ هنا ان الشاعر الجاهلي قد عني بتصوير الطبيعة الساكنة ، فنحن نرى في الشعر الجاهلي وصفاً للمطر والرياح والخيل والنياق ولا نكاد نعثر على قصيدة فيها وصل شامل للصحراء او مواقع الماء او منابت الكلأ .

ومهما قلنا في طبيعة الصور الفنية في الشعر الجاهلي بصورة عامة فاننا لا نزال نجد فيه بعض الصور الفنية الطريفة التي وفق اصحابها الى رسمها توفيقاً رائعاً يدعو الى الاعجاب ، فهذا قول امرىء القيس في حبيبته :

تصدّ وتبدي عن أسيلٍ وتتقي   بناظرةٍ من وحش وجرة مطفل

فيه صورة لصدود الحبيبة ليس من اليسير ان نجد مثلها في ارقى الشعر . انها تصد عنه ، كما يقول ، وتبدي في صدودها خداً فيه نعومة واستطالة، وتتقيه بنظرة

لها معناها ، نظرة فيها الكثير من الحذر والدفاع الغريزي عن طفلها .

تطور القصيدة في الاسلام :

جاء الاسلام فشغل الناس عن قول الشعر وحدّت تعاليمه من بعض موحياته كالغزال والعصبية ، فركدت سوق الشعر ولم يشع منه الا ما كان يتلاءم واغراض الرسالة الجديدة كشعر حسان وعبدالله بن رواحة ، والا ما كان يدعو الى تقويض هذه الرسالة والحد من اثرها كشعر عبدالله بن الزبعريّ وابي سفيان بن الحارث . وقدّر للنوع الاول ان ينتصر في النهاية وان يستأثر بحب الرواة ومدوّني الادب فيما بعد فيحفظ لنا منه الشيء الكثير . لقد كان من طبيعة موضوع هذا الشعر من جهة ومن تشجيع الاسلام الرسمي له من جهة اخرى ما جعله قادراً على تحدي الاسس التي قامت عليها القصيدة الجاهلية ولا سيما الاستهلال بالغزل والانتقال منه الى موضوعات معينة . وها هو ديوان حسان شاهد على ذلك ، ويكفي ان تقرأ منه قصيدته التي يمتدح فيها النبي واصحابه ويفخر بالاسلام والتي مطلعها :

ان الذوائب من فهرٍ واخوتهم   قد بينوا سنة للنـــاس تتبع

يكفي ان تقرأ هذه القصيدة لترى فيها خروجاً على نسق القصيدة الجاهليـة لا من حيث الاطار العام للقصيدة فحسب بل ومن حيث ارتباط الابيات بفكر متتابعة تتابعاً منطقياً ، ومن حيث السلاسة اللفظية والبعد عن غريب القول ونابي العبارة.

وما ان جاء العصر الاموي حتى شاعت في الحجاز مجالس اللهو والغناء بتشجيع من بني امية وبسبب كثرة الاموال التي كانت تنثال على الحجازيـــين من خزانة الدولة وكثرة الجواري من سبايا الحروب. وقد لازم هـــذه الحالة شيوع الشعر الغزلي في المدن والبادية . ولاول مرة في تاريخ القصيد العربي نرى قصائد مقصورة على الغزل دون غيره من الاغراض . وليلائم هذا الغزل الغناء الذي لازمه كان لا بد من ان يتسم بالرقة اولاً ومن ان تكثر فيه الاوزان الخفيفة ثانياً .وزعيما هـذا الغزل عمر ابن ابي ربيعة وجميل بثينة ، وفي ديوان الاول منهما لا نرى غير قصيدة واحدة اتبّع فيها النسق الجاهلي ، كما نلاحظ ان صاحب الديوان كثيراً ما لجأ الى

الحوار في قصائده . ومرد ذلك في نظري الى نمو شخصية المرأة في هـــذا العصر بحيث لم تعد مخلوقاً سلبياً في قضايا الحب .

وفي نفس الوقت تقريباً كانت في بـلاد الشام والعراق مدرسة شعرية اخرى اتخذت من القصيدة الجاهلية نموذجاً لها وتمسكت بهذا النموذج الى حد كبير، وان كانت لم تستطع التخلص من آثار البيئة التي وجدت فيها والانعكاسات السياسية والاجتماعية التي كانت تتفاعل في تلك البيئة . ويقوم على رأس هذه المدرسة جرير والفرزدق والاخطل وان كان هناك بعض التفاوت في مدى تمسك كل منهم بالتقاليد الشعرية . ولقد فتح هؤلاء الشعراء صفحة جديدة في شعرهم لباب جديد هو الشعر السياسي . وجدير بالذكر انه في هـــذا الوسط المحافظ في الشام ظهرت شخصية شعرية كان لها من مكانتها وثرائها ونفسها النزاعة للحرية ما جعلها تضرب بالتقاليـد الشعرية عرض الحائط وتصدر بشعرها عن ذاتها . هذه الشخصية هي شخصية الوليد ابن يزيد الذي كان اكثر شعره في الخمر واللهو . كما هو جدير بالذكر ايضـاً ظهور ادب الخوارج في العراق ، ذلك الادب الذي يتسم بالتعبد والزهد .

وما ان جاء العصر العباسي وتأثر العرب بحياة الامم المغلوبة على امرها – ولا سيما الفرس والروم – وثقافتهم ، حتى تفتحت امام الشاعر العربي آفاق جديدة لا عهد له بمثلها من قبل . وكان لدواعي الحياة الجديدة ما حدا ببعض الشعراء الى ان ينكروا لمدرسة الشعر الرسمي التقليدي، مدرسة المديح والهجاء، وان يقولوا الشعر في موضوعات ذاتية يعبرون بها عن احاسيسهم الخاصة . وكان من الطبيعي ان لا يصيخ لداعي الحياة الجديدة فئة اخرى من الشعراء حرصت على ان تتخذ من تراثها القديم دعامة تستند اليها امام هذا التيار الجارف من الحياة الجديدة . وكان من الطبيعي ايضاً ان يحدث صراع بين الفريقين يتمثل في الخصومة حول عمود الشعر . وزعيم الفريق المجدد هو ابو تمام شيخ مذهب البديع بينما زعيم الفريق المحافـظ هو البحتري . وكما كانت الحياة الجديـــدة تعمل في صالح الفريق المجدد كان نقـاد الادب المحافظون من امثال ابن سلام وابن قتيبة يوجهون الشعر بنقدهم نحو مسلكه

القديم . فابن سلام يجعل الشعر صناعة مقصورة على اهل الخبرة والدربة ويشترط فيه الرواية، وابن قتيبة يقول ان ليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين.

ومهما كان الامر فقد تأثرت القصيدة جملة بالحياة الجديدة فمالت الفاظها الى الرقة وتُفُنِّن في معانيها وتُوُفِّر في الكثير منها على البديع اللفظي، واتسعت لاغراض جديدة كوصف الرياض والتصوير والتغزل بالغلمان والزهد، وتوسع في اغراضها القديمة ، ودقت صورها واتسعت اخيلتها .

اما من حيث الشكل، فلم يعد البيت الواحد وحدة للقصيدة كما كان في الجاهلية، واخذ الشعراء يميلون الى استعمال البحور الخفيفة والقصيرة كالرمل والهزج ، كما اخذ المولدون منهم ينظمون في بحور جديدة تتصل بادبهم الاصلي كالمستطيل والممتد والمتوفر والمتئد والمنسرد والمطّرد ، وان كان ما نظم في هذه البحور قليلاً لم يكترث له الناس.[1] والجدير بالذكر ان الانتقال من باب الى آخر في القصيدة الواحدة اصبح يتم في شيء من التحايل وابتداع المخارج على ما نراه في كثير من قصائد المتنبي وابي تمام .

واما من حيث الموضوع، فقد اخذت القصيدة تعكس موضوعات العصر بصورة عامة فالبحتري يصف قصر المتوكل وبركته، وابن المعتز يصف الرياض، وابن الرومي يصف المأكولات والطبيعة، والصنوبري يختص بوصف الريف والربيع والزهور والحدائق . والشعراء الذين اتصلوا بحياة القصر امثال ابي نواس انعكست مظاهر حياة الطبقة الارستقراطية في شعرهم فاكثروا من وصف الخمرة ومجالسها وتفننوا في وصف الصيد والطرد .

ولم تترك السياسة القصيدة العباسية دون ان تقحم نفسها فيها . فها هو ابو تمام يصف فتح عمورية ، وابن الرومي يصف ثورة الزنج .

وقد كان لحركة الانغماس في لذائذ الحياة في العصر العباسي رد فعل في حركة معاكسة تقوم على الزهد والتصوف وقد ظهر اثر ذلك في زهديات ابي العتاهية

---

(١) ابن ابي شنب - تحفة الادب في ميزان اشعار العرب ص ١١١

وقصائد ابن الفارض ورابعة العدوية .

كما ان الفلسفة وجدت طريقها للقصيدة العباسية كان ارقى منه في اي عهد مضى ومع ذلك فقد تضافرت عليه حاجات الزمن ونجم عن ذلك ضروب من الشعر جديدة منها الفصيح كالموشحات ومنها العامي كالزجل والمواليا مما لا مجال لبحثه الآن.

الحوادث

من ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ الى ١٥ شباط ١٩٥٩

١٥-١١-٥٨ – طلبت الحكومة اللبنانية من مجلس الامن الدولي شطب شكواها ضد الجمهورية العربية المتحدة .

– ظهرت بوادر أزمة جديدة في برلين بعد ان طالب الرفيق خروشوف بانهاء الاحتلال الرباعي لتلك المدينة وتسليمها لالمانيا الشرقية ، وذلك في خطاب القاه في العاشر من الشهر الجاري .

١٦-١١-٥٨ – وقع انقلاب عسكري في السودان على يد قائد الجيش الفريق ابراهيم عبود الذي تسلم الحكم وعلق الدستور والغى الاحزاب ونادى بالتفاهم مع الجمهورية العربية المتحدة .

– وقع ممثلو الجمهورية العربية المتحدة والعراق اتفاقاً خاصاً بالتبادل في ميادين التجارة والصناعة والمساعدات الفنية

١٨-١١-٥٨ – شكل الفريق عبود وزارته الانقلابية في السودان واطلق سراح المعتقلين السياسيين .

١٩-١١-٥٨ – تبادل الرئيس جمال عبدالناصر والفريق ابراهيم عبود الرسائل الودية مؤكدين عزمهما على التعاون لتسوية المشاكل المعلقة بين البلدين .

– قدم السيد جوزف ابوخاطر ، سفير لبنان الجديد في الجمهورية العربية المتحدة ، اوراق اعتماده للرئيس عبدالناصر .

– اعلن الامين العام للامم المتحدة انه قرر سحب فريق المراقبين الدوليين من لبنان.

٢٠-١١-٥٨ – ابلغ الاتحاد السوفياتي الدكتور اديناور ، مستشار المانيا الغربية ، المشروع السوفياتي لانهاء الاحتلال الرباعي في برلين .

٢١-١١-٥٨ – اعلن المستشار اديناور ان الحالة في برلين الناجمة عن الاجراءات السوفياتية خطيرة جداً.

– وقعت اربعة اشتباكات مسلحة بين الجانب السوري والجانب الاسرائيلي قرب الحولة.

– رفع نظام حظر التجول في مدينة بيروت كلياً

٢٢-١١-٥٨ – صرح شاه ايران في مؤتمر صحفي عقده في طهران بأنه سيعين حاكم البحرين الحالي حاكما ايرانياً للبحرين اذا قبل هذا السيادة الايرانية على تلك المنطقة .

– اعلنت منظمة ايوكا انها قررت وقف نشاطها الحربي بانتظار نتيجة بحث قضية قبرص في الامم المتحدة .

٢٤-١١-٥٨ – الانتخابات في فرنسا تسفر عن تفوق انصار الجنرال ديغول .

– صدر بلاغ مشترك عن رئيسي وزراء غانا وغينيا يعلن اتحاد البلدين .

– التوتر ما زال يخيم على الحالة في برلين بعد ان اعرب الطرفان ، السوفياتي والغربي ، عن تشبثها بموقفها .

٢٦-١١-٥٨ – بدأت الاتصالات بين القاهرة والخرطوم حول مشكلة مياه النيل .

– أذيع بيان مشترك عن المحادثات التي جرت بين المستشار اديناور والجنرال ديغول وفيه تشديد على ضرورة التمسك بالوضع الراهن في برلين .

٢٧-١١-٥٨ – القى الرئيس جمال عبدالناصر خطاباً في مؤتمر الجمعيات التعاونية استعرض فيه التطور الصناعي والزراعي الذي تحقق في الجمهورية العربية المتحدة في المدة الاخيرة ، ونادى فيه بوحدة الصف مع العراق وايد فيه ثورة السودان .

– سلم وزير خارجية الاتحاد السوفياتي السفراء الغربيين في موسكو مذكرة حول الموقف السوفياتي من قضية برلين . وفي المذكرة اقتراح بتحويل برلين الغربية الى مدينة حرة مجردة من السلاح ذات حكومة خاصة .

٢٨-١١-٥٨ – اكد الغرب تمسكه بالوضع الراهن في برلين على لسان المستر سلوين لويد ، والمستر نيكسون نائب رئيس الجمهورية الاميركية والدكتور اديناور مستشار المانيا الغربية .

– بدأت في الجزائر الانتخابات العامة التي تنظمها السلطات الفرنسية والتي نادت الهيئات الوطنية بمقاطعتها .

٢٩-١١-٥٨ – المشاورات ما زالت دائرة بين العواصم الغربية حول الموقف في برلين .

– وافقت الحكومة اللبنانية على قانون العفو العام عن حوادث الثــورة واحالته بصورة مستعجلة الى المجلس النيابي .

١ – ١٢ – ٥٨ – اكد الرئيس ايزنهاور عدم استعداد الغرب للتخلي عن التزاماته في برلين الغربية.

٢ – ١٢ – ٥٨ – تأكدت الانباء القائلة بان العراق شرع يتسلم الاسلحة الثقيلة من الاتحاد السوفياتي .

٣ – ١٢ – ٥٨ – صدر في لبنان مرسوم يقضي بتشكيل الهيئة المركزية للاصلاح الاداري ويحدد مهمتها كما ينص على انشاء لجنة عمل في كل وزارة من وزارات الدولة تتولى جمع المعلومات واعداد الدروس والاقتراحات .

٤ – ١٢ – ٥٨ – توتر الموقف على الحدود السورية الاسرائيلية بعد تبادل اطلاق المدافع وقد قررت الحكومة الاسرائيلية عرض المسألة على مجلس الامن الدولي .

– وقعت معركة عنيفة بين الثوار العمانيين والقوات البريطانية في الجبل الاخضر .

– اتفق مندوبو الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا على تأليف لجنة لصياغة مسودة اتفاق بشأن ايقاف التجارب النووية .

٥ – ١٢ – ٥٨ – ورود انباء عن حشود عسكرية لاسرائيل على حدود لبنان والاقليم السوري .

– تسلم الرئيس كرامي من السفير الاميركي حوالة مالية بمبلغ عشرة ملايين دولار ، وهي قيمة المساعدة الاميركية للبنان التي قررت الحكومة قبولها قبل ايام .

٦ – ١٢ – ٥٨ – افتتح في القاهرة مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية .

– تجددت حوادث اطلاق النار في منطقة الحولة بين القوات السورية والاسرائيلية .

٨ – ١٢ – ٥٨ – اذاع الزعيم عبدالكريم قاسم بياناً أعلن فيه عن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم في العراق بمساعدة اجنبية .

– افتتح في القاهرة المؤتمر الاقتصادي الافريقي الاسيوي بحضور وفود عن الغرف التجارية والصناعية والزراعية في ٤٦ دولة .

– وصل الى بيروت المستر راونتري مساعد وزير الخارجية الاميركية .

٩ – ١٢ – ٥٨ – غادر بيروت الفوج الاخير من المراقبين الدوليين في لبنان .

– قبلت غينيا بالاجماع عضواً في هيئة الامم المتحدة .

١٠ – ١٢ – ٥٨ – ورود انباء عن اعتقال رشيد عالي الكيلاني في بغداد بتهمة تدبير المؤامرة لقلب نظام الحكم في العراق .

١١ - ١٢ - ٥٨ - اختتم اليوم المؤتمر الاقتصادي الاسيوي الافريقي اعماله متخذاً سلسلة من القرارات منها قرار بانشاء منظمة اقتصادية دائمة لآسيا وافريقيا مركزها القاهرة

- أنذر الرفيق خروشوف الغرب بالحرب اذا ما حاول شق طريقه الى برلين الغربية.

- قابل المستر راونتري في عمان الملك حسين والسيد سمير الرفاعي رئيس الوزارة .

١٢ - ١٢ - ٥٨ وصل المستر روانتري الى القاهرة لمباحثة المسؤولين فيها .

- الانباء الواردة من بغداد تفيد ان الحالة غير مستقرة وان المعتقلين بسبب المؤامرة التي اعلن عنها مؤخراً اكثرهم من الشبان وصغار الضباط المؤيدين للعقيد عبد السلام عارف .

١٣ - ١٢ - ٥٨ - اختتم مؤتمر غرف التجارة العربية في القاهرة دورته الثامنة بعد ان اقر عدداً من التوصيات والقرارات وعلى رأسها التوصية بانشاء السوق العربية المشتركة وابرام اتفاق المؤسسة المالية العربية .

- قدم الاتحاد السوفياتي مذكرة الى الدول الاعضاء في منظمة حلف شمال الاطلسي يبلغها فيها ان تخفيف حدة التوتر الدولي مرتهن بايجاد حل لمعضلة برلين وايقاف التجارب النووية وعقد معاهدة عدم اعتداء بين حلف الاطلسي ودول شرقي اوروبا.

- وقعت الجمهورية العربية المتحدة مع المانيا الديموقراطية اتفاقاً للدفع وآخر للتجارة.

١٥ - ١٢ - ٥٨ - وصل المستر روانتري الى بغداد فاستقبله الاهلون بالمظاهرات واللافتات المعادية .

- دعت بولونيا وألمانيا الشرقية الى عقد مؤتمر ذروة للعمل على تجنيب العالم اخطار نشوب حرب عامة .

١٦ - ١٢ - ٥٨ - اصدر مجلس حلف الاطلسي بياناً ايد فيه موقف الدول الغربية الكبرى ازاء مشكلة برلين واقترح درس قضية المانيا برمتها .

- تعرضت قرية عرسال في منطقة البقاع في لبنان الى قصف بري وجوي من قبل قوات الامن اللبنانية .

١٧ - ١٢ - ٥٨ - الغموض يكتنف الموقف في العراق ، فيما تؤكد الانباء ازدياد قوة العناصر اليسارية وهيمنتها .

- اعلنت حكومة بيكنغ ببلاغ رسمي ان السيد ماوتسي تونغ سيتخلى عن منصبه كرئيس اعلى لدولة الصين الشعبية .

١٨ - ١٢ - ٥٨ - تعرضت الحكومة اللبنانية لحملة عنيفة في المجلس النيابي بسبب حادث عرسال الذي ذهب ضحيته عدد كبير من القتلى والجرحى .

- اجتمع الزعيم عبد الكريم قاسم بسفير الجمهورية العربية المتحـــدة وتباحثا حول علاقات البلدين وزيارة المستر راونتري .

١٩ - ١٢ - ٥٨ - اذاع الصاروخ الاميركي «أطلس» من مـــداره حول الارض صوت الرئيس ايزنهاور يتلو رسالة وجهها للعالم بمناسبة عيد الميلاد .

- وصل القاهرة السيد كريشنا مينون وزير الدفاع الهندي وعرض وساطة الهند بين القاهرة ولندن لتسوية الخلافات القائمة بين البلدين .

٢٠ - ١٢ - ٥٨ - وقعت فوق منطقة العريش معركة جوية بين طائرات الجمهورية العربية المتحـــدة والطائرات الاسرائيلية .

٢٢ - ٢ - ١ ٥٨ - تم انتخاب الجنرال ديغول اول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة .

- تم توقيع اتفاق جديد بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيـــاتي يقضي بمساهمة السوفيات في تنفيذ عدد من المشروعات الصناعية وانشاء خمسة مطارات في الاقليم المصري .

- أقر المجلس النيابي اللبناني مشروع العفو العام عن حوادث الثورة .

٢٣ - ١٢ - ٥٨ - القى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً في بور سعيد بمناسبة عيد النصر حمل فيه على الحزب الشيوعي السوري وأعلن فيه عن ايفاده لجنة ثلاثيـة الى الاقليم السوري للاسراع بتنفيذ مشاريع الانماء الاقتصادي ، كما اعلن عن مشروع جديد للاقليم المصري هو ري الصحراء واقامة واد ثان الى جانب وادي النيل تستثمر فيه ثلاثة ملايين من الافدنة

- تبادلت حاميات جزر كيموي وماتسو في مضائق فورموزا قصفاً عنيفاً بالمدفعية .

٢٦ - ١٢ - ٥٨ - الثوار في كوبا يقتربون من عاصمة البلاد .

- أوقفت الحكومة الفرنسية اعمال الصيارفة والبورصات المالية ريثما تعلن التدابير المالية الجديدة المتعلقة بمصير الفرنك

٢٩ - ١٢ - ٥٨ - وافق مجلس الوزراء اللبناني على مرسوم اشتراعي يقضي بمنح مهل اضافية لدفـــع الضرائب والرسوم المتأخرة كما قرر الغاء مصلحة التعمير الوطنية واحداث مصلحة جديدة تحل محلها تكون تابعة لوزارة الاشغال العامة

- الحالة في برلين ما زالت تنذر بالخطر .

٣٠ - ١٢ - ٥٨ - أعلن ناطق بلسان وزارة المال البريطانية ان الحكومتين البريطانيـــة والمصرية طلبتا الى المستر يوجين بلاك، مدير البنك الدولي ، التوسط بصفة غير رسمية بينهما لمساعدتها على الوصول الى تسوية المشاكل المالية المعلقة بينها . وقد وصل المستر

بلاك الى لندن قبل خمسة ايام واجرى بعض المحادثات مع المسؤولين فيها .

٣١ - ١٢ - ٥٨ - قدمت الدول الغربية الكبرى مذكرات جوابية الى الحكومة السوفياتية ترفض فيها تحويل برلين الى منطقة حرة مجردة من السلاح وتقترح عقد مؤتمر رباعي للبحث بالقضية الالمانية برمتها .

- وصل المستر همرشولد الامين العام للامم المتحدة الى اسرائيل لمعالجة مشكلة اللاجئين العرب مع السلطات الاسرائيلية .

- طار المستر بلاك مدير البنك الدولي من لندن الى القاهرة لمتابعة وساطته لحل المشاكل المالية المعلقة بين بريطانيا والاقليم المصري من الجمهورية العربية المتحدة .

- تفاقمت الحرب الاهلية في كوبا وبلغت مرحلة حاسمة من مراحل تطورها .

٢ - ١ - ٥٩ - جرت اعتقالات واسعة بين الشيوعيين في الاقليمين المصري والسوري .

- انتهت ثورة كوبا بعد ان استمرت سنتين بدخول الثوار العاصمة وانضمام الجيش اليهم .

- عهد الجنرال ديغول الى المسيو ميشال دوبريه بتشكيل الوزارة الاولى في عهد الجمهورية الخامسة .

- اطلق الاتحاد السوفياتي بنجاح صاروخاً باتجاه القمر .

- اضرب طلاب معهد الحقوق في الاكاديمية اللبنانية عن الطعام مطالبين بأن يسمح لهم بممارسة المحاماة .

٣ - ١ - ٥٩ - وصلت الى دمشق اللجنة الثلاثية التي اوفدها الرئيس عبدالناصر لدراسة اوضاع الاقليم السوري وقوامها السادة عبداللطيف البغدادي واكرم الحوراني وزكريا محي الدين .

- باشر المستر همرشولد محادثاته في عمان حول شؤون الهدنة واللاجئين .

- سافر الرئيس رشيد كرامي الى القاهرة للاشتراك بالمؤتمر الاقتصادي العربي .

٥ - ١ - ٥٩ - دخل الصاروخ الروسي مداره حول الشمس وانقطع الاتصال به .

- عقد المجلس الاقتصادي العربي اولى جلساته بالقاهرة .

- وساطة المستر بلاك بين لندن والقاهرة تبشر بحل وشيك .

- انهى المستر همرشولد محادثاته في عمان وسافر الى القاهرة .

- صدر مرسوم في لبنان يبيح لمتخرجي معهد الحقوق في الاكاديمية اللبنانية ان يمارسوا المحاماة بعد ان يجتازوا امتحانا خاصاً ويحظر على المعهد المذكور ان يتابع تدريس الحقوق بعد اليوم .

ـ وصل الى واشنطن السيد ميكويان نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي لمباحثة المسؤولين الاميركيين في شتى المسائل التي تهم البلدين .

٦ ـ ١ ـ ٥٩ ـ وصل الى القاهرة السنيور امنتوري فنفاني رئيس وزراء ايطاليا في زيارة تستغرق ثلاثة ايام . وقد اجتمع بالرئيس عبدالناصر .

ـ تقرر انشاء المصرف الصناعي للاقليم السوري .

ـ نادى الطلاب في بيروت بالاضراب العام احتجاجاً على الغاء معهد الحقوق وطالبوا بانشاء معهد للحقوق يجري التدريس فيه بالعربية .

٧ ـ ١ ـ ٥٩ ـ أعلن رئيس وزراء المانيا الشرقية الهر اوتوغروتوفول انتهاء محادثاته في القاهرة بالاتفاق على تبادل التمثيل القنصلي بين الجمهورية العربية المتحدة والمانيا الشرقية .

ـ نفذ الطلاب في بيروت اضرابهم .

٨ ـ ١ ـ ٥٩ ـ تسلم الجنرال ديغول مهام رئاسة الجمهورية الفرنسية وكلف المسيو دوبريه بتشكيل الوزارة .

ـ نشبت معركة جوية بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على الحدود المصرية .

ـ واصل الطلاب في عدد كبير من المدارس في لبنان اضرابهم .

٩ ـ ١ ـ ٥٩ ـ اعلن في القاهرة ولندن استئناف المفاوضات بين الاقليم المصري وبريطانيا لتسوية المشاكل المعلقة بينهما وقد سافر وفد بريطاني الى القاهرة لهذه الغاية .

ـ القى وزير الخارجية اللبنانية السيد حسين العويني بياناً امام لجنة الشؤون الخارجية بالبرلمان حض فيه على الاعتراف بحكومة الجزائر الحرة .

ـ ما زالت الحكومة اللبنانية متمسكة بموقفها من معهد الحقوق فيما يشتد نشاط الطلاب المضربين ويتسع .

١٠ ـ ١ ـ ٥٩ ـ علق الطلاب في لبنان اضرابهم بضعة ايام .

ـ اقترح الاتحاد السوفياتي في مذكرة سلمت الى سفراء الدول الغربية عقد مؤتمر عام في غضون شهرين لوضع معاهدة صلح نهائي مع المانيا .

١٢ ـ ١ ـ ٥٩ ـ أعلن الامين العام للجامعة العربية ان اتفاق المؤسسه المالية العربية قد اصبح نافذاً اعتباراً من ١٢ كانون الثاني الجاري ، وقد وقعته الجمهورية العربية المتحدة ولبنان وليبيا

ـ وافق المجلس الاقتصادي العربي المنعقد في القاهرة على اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية وعلى انشاء مجلس الوحدة الاقتصادية .

١٣ - ١ - ٥٩ - أوصت اللجنة النيابية للشؤون الخارجية في لبنان الحكومة بالاعتراف بحكومة الجزائر .

١٤ - ١ - ٥٩ - تم الاتفاق بين الوفد المصري والوفد البريطاني على النقاط الاساسية التي كانت مداراً للبحث والمتعلقة بالمشاكل المالية القائمة بين البلدين .

- الحكومة الجزائرية تجدد دعوتها لفرنسا للمفاوضة .

١٥ - ١ - ٥٩ - بدأ الاكتتاب باسهم المصرف الصناعي في جميع انحاء الاقليم السوري ، وقد غطت اكتتابات اليوم الاول ثلاثة ارباع قيمة اسهم المصرف

- استأنف الطلاب في عدد كبير من المدارس في لبنان اضرابهم من أجل قضية انشاء معهد للحقوق بالعربية .

١٦ - ١ - ٥٩ - وقع بالاحرف الاولى الاتفاق المالي بين الاقليم المصري وبريطانيا .

- جدد الطلاب المضربون في لبنان الدعوة للاضراب ، فيما اعلنت فئة اخرى من الطلاب الاضراب مطالبة الحكومة بالتمسك بموقفها ازاء قضية الحقوق .

١٧ - ١ - ٥٩ - اجتمع الرئيس ايزنهاور بالسيد ميكويان نائب رئيس الوزراء السوفياتي .

- جدد الطلاب في لبنان دعوتهم لاضرابين معاكسين بسبب قضية تعليم الحقوق باللغة العربية

١٩ - ١ - ٥٩ - تسبب اضرابا الطلاب في بيروت بوقوع بعض الحوادث .

٢٠ - ١ - ٥٩ - اشتدت الحملات الصحفية بين القاهرة وبغداد عنفاً كانعكاس للصراع بين الحركة القومية والحركة اليسارية .

- اعتصم عدد كبير من الطلاب المطالبين بتعليم الحقوق بالعربية في بعض دور الصحف اللبنانية واعلنوا الصيام حتى تستجاب مطالبهم .

٢١ - ١ - ٥٩ - قرر مجلس الوزراء اللبناني انشاء معهد للحقوق بالجامعة اللبنانية يجري التدريس فيه باللغة العربية .

- كشف النقاب عن ان الحكومة البريطانية تؤجل توقيع اتفاق التسوية المالية مع الجمهورية العربية المتحدة بصورة نهائية حتى يتم تعيين ممثلين ديبلوماسيين لبريطانيا في القاهرة تمهيداً لاستئناف العلاقات السياسية بين البلدين .

- اتخذت في دمشق الترتيبات اللازمة لتوزيع الاراضي على الملاكين الجدد يوم ٢١ شباط بمقتضى قانون الاصلاح الزراعي .

٢٢ - ١ - ٥٩ - صرح الرئيس جمال عبدالناصر بأنة لا يرضى بأن تربط المفاوضات المالية المصرية البريطانية بمسألة استئناف العلاقات الديبلوماسية بين البلدين .

- سقطت بالقرب من عمان طائرة ركاب اردنية وعليها ١١ راكباً و ٤ ملاحين .
- ظهرت بوادر تعقد في الازمة المتجددة بين الجمهورية المتحدة وبريطانيا حول التوقيع النهائي لاتفاق التسوية .

٢٣ - ١ - ٥٩ عاد السيد ميكويان الى موسكو من رحلته الى الولايات المتحدة ، وقد دعا الى عقد ميثاق عدم اعتداء بين الشرق والغرب .
- طلبت بريطانيا بأن تمنح بعثتها التي ستشرف على تنفيذ الاتفاق في القاهرة صفة ديبلوسية .

٢٤ - ١ - ٥٩ - شن العقيد المهداوي رئيس المحكمة العسكرية حملة عنيفة على سياسة القاهرة وذلك ابان محاكمة وزير الداخلية في العهد السابق السيد سعيد القزاز .
- سجل اليساريون فوزاً على القوميين في انتخابات نقابة المعلمين .
- وقعت بعض الحوادث المخلة بالامن في منطقة عكار من لبنان .

٢٦ - ١ - ٥٩ - تابع المهداوي رئيس المحكمة العسكرية في بغداد حملته العنيفة على القاهرة وسط مظاهرات يسارية، وقد تولت الرد عليه صحف الجمهورية العربية المتحدة بعنف مماثل.
- افتتح في كراتشي مؤتمر حلف بغداد دون حضور مندوب عن العراق .

٢٧ - ١ - ٥٩ - القى السيد خروشوف رئيس الوزراء السوفياتي خطاباً في المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ايد فيه الرئيسين عبد الناصر وقاسم واشار الى وجود خلافات في وجهات النظر بينه وبين زعماء الجمهورية العربية المتحدة ودافع عن موقف الشيوعيين العرب .
- استمرت الحملات العنيفة على القاهرة من محكمة بغداد العسكرية ، كما تابعت صحف الجمهورية المتحدة حملاتها في الرد عليها .

٢٨ - ١ - ٥٩ - اختتم مجلس وزراء ميثاق بغداد مؤتمره في كراتشي ببلاغ اعرب فيه عن القلق من استمرار جهود الشيوعية الدولية الرامية الى السيطرة على منطقة ميثاق بغداد.

٣٠ - ١ - ٥٩ - وصل الى بيروت الدكتور عبدالمنعم القيسوني وزير الاقتصاد المركزي في الجمهورية العربية المتحدة لاجراء محادثات حول المشاكل الاقتصادية المعلقة بين الجمهورية المتحدة ولبنان . وقد استقبل بحفاوة .
- جدد الجنرال ديغول دعوته للزعماء الجزائريين لاجراء مفاوضات في فرنسا ترمي الى ايجاد حل سلمي للقضية الجزائرية .

٣١ - ١ - ٥٩ - انتهت دورة مجلس الامن الدولي للبحث بقضية حوادث الهدنة بين العرب واسرائيل

دون ان يتخذ قراراً بشكوى اسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة بل اكتفى بالاطلاع على الحوادث وتسجيلها .

ـ عقدت في بيروت الجلسة الاولى بين وفد الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السيد القيسوني وزير الاقتصاد من جهة ووفد لبنان برئاسة السيد رشيد كرامي من جهة اخرى .

ـ قام راديو موسكو بالرد على حملات القاهرة على الشيوعيين العرب ، وقد سافر السيد كيسيلوف السفير السوفياتي في القاهرة الى موسكو وكان قبل ذلك قد قابل الرئيس عبدالناصر مرتين متتاليتين .

٢ ـ ٢ ـ ٥٩ ـ تم توقيع اتفاق تمنح بموجبه بريطانيا قرضاً للسودان يبلغ خمسة ملايين جنيه استرليني على ان يسترد خلال ثلاث سنوات .

ـ شرعت الدول العربية تجري اتصالات فيما بينها لاتخاذ خطوة مشتركة بصدد الهجرة اليهودية الواسعة التي بدأت من اقطار اوروبا الشرقية الى اسرائيل .

ـ اذاع راديو بغداد وقائع محاكمة العقيد عبد السلام عارف بتهمة تدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم ومحاولة اغتيال عبدالكريم قاسم .

ـ رحبت المانيا الغربية بعقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الاربع الكبرى للبحث بالقضية الالمانية .

٣ ـ ٢ ـ ٥٩ ـ انهى السيد القيسوني مباحثاته مع المسؤولين في بيروت ، وصدر بلاغ مشترك يعلن ان الاتفاق قد تم حول مسائل عديدة وان المباحثات ستستكمل في ١٤ الجاري في دمشق .

ـ اعلنت حكومة عدن انه تم التوصل الى اتفاق بين ست من امارات عدن الغربية على تحقيق اتحاد فدرالي بينها وعلى صيغة دستور هذا الاتحاد . والامارات الست هي : بيحان والضالع والعودلي والفضلي واليافعي الاسفل والعوالق العليا .

ـ استمرت حركة الهجرة اليهودية من رومانيا الى اسرائيل .

ـ اوقف الروس قافلة اميركية في برلين ، الامر الذي احدث ضجة في اوروبا .

٤ ـ ٢ ـ ٥٩ ـ عادت الى الاقليم السوري القوة الجوية للجمهورية العربية المتحدة التي كانت ترابط في العراق والتي ارسلت اليه في مطلع الثورة العراقية .

٥ ـ ٢ ـ ٥٩ ـ اعلن ان رئيس وزراء بريطانيا المستر هارولد ماكميلان ووزير خارجيتها المستر سلوين لويد سيزوران موسكو في ٢١ شباط الجاري .

ـ وجه السيد نيكيتا خروشوف رئيس الوزارة السوفياتية دعوة للرئيس ايزنهاور

لزيارة روسيا .

٦ – ٢ – ٥٩ – بدأ في زوريخ المؤتمر الذي قررت تركيا واليونان عقده للبحث بمشكلة قبرص ، وقد حضر المؤتمر رئيسا وزراء البلدين يرافقهما وزيرا الخارجية .

– اشتد تأزم الاتصالات الانكلو مصرية في القاهرة بصدد الاتفاق المالي الموقع بالأحرف الاولى وقفت المحادثات بهذا الشأن بين الجانبين بانتظار نتيجة الاتصالات مع المستر يوجين بلاك مدير البنك الدولي .

– قدمت الجمهورية العربية المتحدة شكوى الى مجلس الامن ضد اسرائيل بسبب اعتداء ارتكبته اسرائيل في منطقة رفح .

٧ – ٢ – ٥٩ – اذيع في بغداد الحكم على العقيد عبدالسلام عارف بالاعدام شنقاً حتى الموت . وقد ادانته المحكمة العسكرية بالشروع في اغتيال اللواء عبدالكريم قاسم وبرأت ساحته من تهمة التآمر لقلب نظام الحكم .

– صدر في بغداد مرسوم جمهوري باعفاء ستة من الوزراء من مناصبهم ، وكان هؤلاء قد اشيع خبر استقالتهم قبل ايام . وقد عين ثمانيةوزراء جدد ليحلوا محلهم

١٠ – ٢ – ٥٩ – اضطر المستر داليس وزير الخارجية الاميركية الى اعتزال منصبه بعض الوقت بسبب المرض .

– وردت انباء من العراق تفيد ان اشتباكات وقعت بين القوميين العربوالشيوعيين

– دعا السيد حسين جميل وزير الارشاد العراقي الجديد الى وقف الحملات بين بغداد والقاهرة والعمل على تحسين العلاقات بين البلدين .

– انتهى مؤتمر زوريخ بين اليونان وتركيا الى اتفاق بينهما حول القضية القبرصية . ويشتمل الاتفاق على ضرورة الحفاظ على استقلال قبرص وعلى مرابطة قوات بريطانية ويونانية وتركية محدودة في الجزيرة .

١١ – ٢ – ٢٩ – استؤنفت الحملات المتبادلة بين صحف القاهرة وصحف بغداد ، وقد اشترك فيها المدعي العام في المحكمة العسكرية العليا في بغداد .

– حدثت في المجلس النيابي اللبناني مشاورات عنيفة اثناء مناقشة مشروع عقوبة الاعدام الذي تقدمت به الحكومة لقطع دابر موجة الاجرام التي تجتاح البلاد .

١٢ – ٢ – ٥٩ – اقر المجلس النيابي اللبناني قانون عقوبة الاعدام للقاتل .

– اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية الايرانية في طهران ان المحادثات السوفياتية الايرانية لتحسين العلاقات بين البلدين قد انقطعت واخفقت .

١٣ - ٢ - ٥٩ - وجه السوفيات تحذيراً الى ايران من عواقب انقطاع المفاوضات الايرانية السوفياتية الرامية الى توقيع معاهدة عدم اعتداء بين البلدين .

- ابرم اتفاق المساعدة السوفياتيه للجمهورية العربية المتحدة الخاص بتنفيذ المرحلة الاولى من مشروع السد العالي .

- أقر مجلس التضامن الافريقي الاسيوي بالقاهرة انشاء منظمة دائمة تدعى المنظمة الدائمة لتضامن الشعوب الافريقية الاسيوية .

١٤ - ٢ - ٢٩ - افتتح بدمشق مؤتمر الترانزيت بحضور مندوبين عن لبنان والاردن والمملكة السعودية والاقليم السوري .

الوثائق

اتفاقية بانشاء المؤسسة المالية العربية للانماء الاقتصادي

ان حكومات :

١ ـ المملكة الاردنية الهاشمية
٢ ـ الجمهورية السودانية
٣ ـ الجمهورية السورية
٤ ـ المملكة العراقية
٥ ـ المملكة العربية السعودية
٦ ـ الجمهورية اللبنانية
٧ ـ المملكة الليبية المتحدة
٨ ـ جمهورية مصر
٩ ـ المملكة المتوكلية اليمنية

رغبة منها في تحقيق ما جاء في ميثاق جامعة الدول العربية بالمادة الثانية خاصاً بتوثيق الروابط الاقتصادية والتعاون فيما بينها على النهوض ببلادها وتنمية مواردها ، قد وافقت على هذه الاتفاقية بنصها الذي وافق عليه المجلس الاقتصادي بقراره رقم (٨٨) بجلسته المنعقدة في يوم الاثنين الخامس من ذي العقدة ١٣٧٦ الموافق الثالث من يونيو ١٩٥٧ .

المادة الاولى :

تنشأ مؤسسة عربية تدعى المؤسسة المالية العربية للانماء الاقتصادي .

القسم الاول

« اغراض المؤسسة »

المادة الثانية :

اغراض المؤسسة هي التنمية الاقتصادية في البلاد العربية الاعضاء في هذه المؤسسة وذلك بتشجيع المشروعات الانتاجية للحكومات والهيئات والافراد على النمو المضطرد سواء باقراضها او ضمان قروضها او المساهمه فيها او اعداد الدراسات الفنية لها على ان يتم ذلك بضمان الحكومات التي تقوم فيها هذه المشروعات ، ولتحقيق هذه الاغراض تقوم المؤسسة بما يلي :

١ ـ المساعدة على تمويل المشروعات الانتاجية التي تساهم في انماء اقتصاديات البلاد الاعضاء سواء كانت تلك المشروعات في مرحلة الانشاء او التوسع او التحسين وذلك بجمع وتوظيف الاموال اللازمة عن طريق الاقراض او المساهمة الجزئية في رأس مال بعض المشروعات .

٢ ـ العمل على توظيف رؤوس الاموال الخاصة ـ الخارجية والداخلية ـ بما يحقق افضل استغلال للامكانيات الاقتصادية في البلاد الاعضاء والاستعانة في ذلك بالخبرة الفنية والادارية

٣ ـ العمل على جذب رؤوس الاموال الخاصة ـ الخارجية والداخلية ـ لاستثمارها في المشروعات الانتاجية في البلاد الاعضاء وعلى تمهيد الظروف المواتية لهذا الغرض .

القسم الثاني

« العضوية ورأس المال »

المادة الثالثة :

اعضاء هذه المؤسسة هم :

١ ـ الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية ويعتبرون اعضاء مؤسسين .

٢ ـ اية دولة عربية او بلاد عربية اخرى يوافق مجلس المحافظين على انضمامها وتوقع هذه الاتفاقية.

المادة الرابعة :

رأس المال :

١ ـ رأس مال هذه المؤسسة ما قيمته عشرون مليونا من الجنيهات المصرية ويقوم الجنيه المصري حسبما

هو محدد له بالقيمة الذهبية لدى صندوق النقد الدولي عند توقيع هذه الاتفاقية .

٢ ـ يقسم رأس المال الى الفي سهم قيمة كل منها عشرة آلاف جنيه .

المادة الخامسة :

زيادة رأس المال :

يجوز للمؤسسة ان تزود رأس مالها بالشروط التالية :

١ ـ تتقرر الزيادة بالاغلبية المطلقة للاصوات المقترعة اذا كانت هذه الزيادة لاصدار اسهم من اجل الاكتتاب المبدئي مقابل حصة بلد عربي حالة انضمامه للمؤسسة .

٢ ـ تتقرر الزيادة باغلبية ثلاثة ارباع الاصوات للمقترعين في جميع الحالات الاخرى الغير المذكورة في الفقرة (١) من هذه المادة

٣ ـ في حالة اقرار زيادة مرخص بها بمقتضى الفقرة (٢) من هذه المادة تعطى لكل عضو فرصة مناسبة للاكتتاب في هذه الزيادة وفق الشروط التي تحددها المؤسسة ولا يجبر العضو على الاكتتاب في هذه الزيادة ، ويكون الاكتتاب في الزيادة بنسبة الاسهم التي اكتتب العضو فيها سابقاً الى مجموع رأس مال المؤسسة ، على انه يجوز تجاوز هذه النسبة بالزيادة او النقص بشرط موافقة الاغلبية المطلقة للمقترعين .

٤ ـ لا يمكن لغير الاعضاء في المؤسسة الاكتتاب في اسهم رأس المال ولا يجوز اعطاء هذه الاسهم الا للاعضاء .

المادة السادسة :

الاكتتاب :

١ ـ يكتتب كل عضو مؤسس في الاسهم بنسبة حصته في ميزانية جامعة الدول العربية اما الاعضاء الآخرون فتحدد المؤسسة حصتهم على الوجه المبين في الفقرة (١) من المادة الخامسة .

٢ ـ تصدر الاسهم التي يكتتب فيها الاعضاء المؤسسون والمنضمون بقيمتها الاسمية .

٣ ـ تسدد ثلاثة ارباع القيم المدفوعة الممثلة الاسهم بالذهب او بعملة قابلة للتحويل الى ذهب بناء على طلب من المؤسسة تعين فيه مكان التسديد ويدفع الربع الآخر بعملة البلد العضو على ان يكون للمؤسسة الحق في طلب تحويل هذه العملات العربية الى عملات اجنبية اذا اقتضى الامر ذلك .

٤ ـ يدفع العضو ربع قيمة اسهمه المكتتب بها كاكتتاب مبدئي عند العمل بهذه الاتفاقية وفقاً لاحكام المادة الحادية والاربعين ويكون تسديده الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالذهب او بالعملات القابلة للتحويل الى الذهب .

٥ ـ في حالة انضمام دولة او بلد عربي الى هذه الاتفاقية بعد تنفيذها يدفع العضو الجديد من حصته المحددة له نسبة توازي ما دفعه باقي الاعضاء .

المادة الرابعة :

المسؤولية :

١ ـ لا يعتبر اي عضو مسؤولاً بحكم عضويته عن التزامات المؤسسة في غير الحدود المرسومة في هذه الاتفاقية .

٢ ـ تبقى مسؤولية كل عضو قائمة بالنسبة للجزء غير المدفوع من اسهمه

المادة الثامنة :

التصرف في الاسهم :

لا يجوز ان ترهن اسهم المؤسسة او ان ترتب عليها التزامات من اي شكل كما لا يجوز نقل ملكيتها الا الى المؤسسة .

المادة التاسعة :

اموال المؤسسة :

. ـ تتألف اموال المؤسسة عدا رأس المال المكتتب به من الاموال الاحتياطية ومن الاموال التي تقترضها المؤسسة عن طريق اصدار سندات وعن طريق فتح اعتمادات من المؤسسات الدولية كالبنك الدولي للانشاء والتعمير او شركة التمويل الدولية او غيرها من هيئات التمويل الاخرى .

٢ ـ تحدد المؤسسة شروط السندات التي تصدرها .

٣ ـ لا يجوز ان تتجاوز قيمة السندات التي تصدرها المؤسسة – في وقت ما ـ ضعف رأس المال الا بأذن خاص من مجلس المحافظين وفي هذه الحاله يجب توافر ثلاثة ارباع الاصوات لاقرار الزيادة .

القسم الثالث

« اعمال المؤسسة »

المادة العاشرة :

الاقراض والمساهمة :

للمؤسسة الحق في القيام بالعمليات الآتية في بلاد الاعضاء المشتركين في رأس المال :

١ ـ اقراض المشروعات الانتاجية التي تقوم بها حكومات او هيئات او افراد البلدان الاعضاء .
٢ ـ اقراض المصارف الانمائية الصناعية أو الزراعية .
٣ ـ المساهمة الجزئية في شركات تقوم باعمال انشائية او انتاجية على نطاق اقليمي او محلي واسع بشرط الا يزيد مجموع ما تسهم به المؤسسة في المشروعات المختلفة في اي وقت عن عشرين في المائة من مجموع المبالغ المستغلة في القروض .

المادة الحادية عشرة :

عمليات متنوعة :

للمؤسسة الحق في القيام بالعمليات الآتية :

١ ـ اقتراض الأموال من الغير وتقرير الضمان الخاص اللازم لهذه القروض اذا احتاج الأمر وذلك في الاسواق الداخلية والخارجية .
٢ ـ ضمان الاوراق التي وظفت المؤسسة اموالها فيها بقصد تسهيل بيعها .
٣ ـ بيع وشراء الاوراق المالية التي اصدرتها او ضمنتها او وظفت اموالها فيها .
٤ ـ توظيف الاموال التي لا تحتاج اليها في الاوراق المالية التي تختارها وتوظيف ما لديها من اموال الادخار والتقاعد او لاغراض مماثلة في اوراق مالية من الدرجة الاولى دون ان تكون المؤسسة خاضعة للقيود المفروضة في غير هذه الفقرة من هذه المادة على العمليات الاخرى .
٥ ـ ممارسة اية عمليات اخرى تتعلق باغراض المؤسسة المنصوص عليها في المادة الثانية .
٦ ـ تنشىء المؤسسة دائرة للابحاث الاقتصادية والفنية تخدم اغراضها وتساعد البلاد الاعضاء على استيفاء درس اقتصادياتها وتنسيق التنمية بينها .

المادة الثانية عشرة :

الضمان :

١ ـ جميع عمليات الاقراض التي تقوم بها المؤسسة لصالح حكومة او هيئة او افراد يجب ان تكون مضمونة من حكومة الدولة او البلد الذي يقوم المشروع فيها .
٢ ـ للمؤسسة الحق في حالة تمويل مشروع غير حكومي ان تطلب ضمانات خاصة علاوة على الضمان الحكومي المنصوص عليه في الفقرة (١) من هذه المادة .

المادة الثانية عشرة :

حدود التمويل :

١ ـ لا يجوز ان تباشر المؤسسة عملية تمويل ترى انه من الممكن انتتم عن طريق رؤوس الاموال

الخاصة في الدولة او البلد ذات الشأن بشروط معقولة .

٢ - لا تقوم المؤسسة بتمويل مشروع في اراضي اي عضو الا بأذن من حكومة العضو .

٣ - يحق للمؤسسة ان تشترط انفاق المال في الغرض المحدد له .

٤ - لا يجوز للمؤسسة ان تتحمل ادارة اي مشروع توظف مالها فيه .

٥ - تقوم المؤسسة بعملية التمويل بالشروط التي تراها مناسبة آخذة في الاعتبار مقتضيات المشروع والمخاطر التي تتحملها المؤسسة والشروط التي يحصل عليها عادة المستثمرون الافراد عند قيامهم بعمليات تمويل مماثلة .

٦ - على المؤسسة ان تتحقق من نجاح اي مشروع قبل تمويله بواسطة خبرائها الفنيين .

٧ - على المؤسسة ان تسعى في استمرار دوران اموالها ببيع مستثمراتها الى الافراد كلما امكن ذلك وفقاً لشروط مرضية .

٨ - يصح للمؤسسة ان تطرح قروضا في اي بلد عضو لتمويل احدى العمليات المنصوص عليها في هذه الاتفاقية بعد الحصول على اذن من حكومة البلد العضو ، فاذا كان المشروع في بلد عضو آخر فيلتزم العضو الذي يطرح القرض في بلده بنقل هذه الاموال الى بلد العضو الذي يقوم المشروع فيه اذا ما طلبت المسسة ذلك .

المادة الرابعة عشرة :

العملات التي تمنح بها القروض :

١ - تدفع المؤسسة للمقترض قيمة القروض بعملة غير عملة الدولة او البلد المقترض وتبعاً لحاجته لتنفيذ المشروع الذي يمنح القرض من اجله .

٢ - يجوز ان تقدم المؤسسة قرضاً بعملة البلد العضو الذي يقوم المشروع فيه اذا كان المقترض مؤسسة انماء اقتصادي حكومية كانت ام غير حكومية وذلك بعد التأكد من صعوبة توفير المال اللازم محلياً .

المادة الخامسة عشرة :

التصرف في تحويل العملات :

١ - للمؤسسة الحق في التصرف في الذهب والاموال التي تحت يدها وكذلك الاموال التي تحصل عليها نتيجة الارباح وتكاليف القروض والاستهلاكات المستندية (اطفاءات ، اندثارات) والعمولة والرسوم والاتعاب وذلك بشراء عملات اجنبية او شراء سبائك ذهبية دون اعتراض من الدول الاعضاء وحسبما ترى المؤسسة انه الاصلح بالنسبة لها .

المادة السادسة عشرة :

وفاء الدين :

تنظم عقود القروض التي تمنحها المؤسسة طرق الوفاء على الوجه التالي :

١ ـ تحدد المؤسسة تكاليف القروض التي تمنحها والعمولة وطرق وفاء الدين ومواعيد الاستحقاق والسداد والشروط المتعلقة بكل ذلك .

٢ ـ يجب ان ينص في عقد القرض على العملة التي تؤدى بها الدفعات المستحقة للمؤسسة على انه يجوز للمقترض ان يوفي بما عليه بالذهب او بعملة اخرى غير منصوص عليها في عقد القرض وذلك بشرط موافقة المؤسسة . وتراعي المؤسسة بقدر الامكان ان تسترد قروضها بنفس العملات التي اقرضت بها.

٣ ـ يجوز للمؤسسة ان تغير الشروط الواردة في عقد القرض بناء على طلب المقترض اذا اقتنعت بوجاهة الطلب ودون الاضرار بمصلحة المؤسسة أو الاعضاء الآخرين بشرط موافقة الحكومة الضامنة .

٤ ـ يجوز للمؤسسة ان تعدل من شروط وفاء القرض او مد اجله بموافقة المقترض بشرط موافقة الحكومة الضامنة .

المادة السابعة عشرة :

تقويم العملات :

١ ـ اذا لم يكن البلد العضو منضما الى صندوق النقد الدولي فتقوم عملته عند الاكتتاب منسوبة الى الذهب بقرار يصدر من مجلس المحافظين .

٢ ـ اذا انخفضت قيمة التعادل منسوبة الى الذهب لعملة احد الاعضاء بما يزيد عن ٥ ٪ فيدفع العضو الى المؤسسة في بحر مدة تحددها المؤسسة مبلغاً اضافياً عن عملته يعوض به النقص الطارىء على قيمة عملاته التي تحوزها المؤسسة

٣ ـ واذا ارتفعت قيمة التعادل منسوبة الى الذهب لعملة احد الاعضاء بما يزيد عن ٥ ٪ فتدفع المؤسسة الى العضو في بحر مدة يتفق عليها مع المؤسسة مبلغاً من عملته يعادل الزيادة الطارئة على القيمة الاصلية لهذه العملة التي تحوزها المؤسسة .

المادة الثامنة عشرة :

تحريم النشاط السياسي :

لا يجوز للمؤسسة او للموظفين الذين يتولون ادارتها التدخل في الشؤون السياسية لأي عضو كما لا يجوز ان تتأثر ادارة المؤسسة وموظفوها في قراراتهم بالاتجاهات السياسية للعضو او الاعضاء الذين لهم علاقة بهذه القرارات ويجب ان تكون الاعتبارات الاقتصادية وحدها محل النظر وفصل الحكم عند اصدار كل القرارات كما يجب ان توزن هذه الاعتبارات بميزان محايد قوامه تحقيق اغراض المؤسسة.

القسم الرابع

« التنظيم والادارة »

المادة التاسعة عشرة :

التكوين الاداري :

تتكون المؤسسة من مجلس والمحافظين والمدير العام رئيس مجلس الادارة ومجلس الادارة والهيئة الدائمة للمستشارين ولجان القروض والموظفين اللازمين للقيام بالاعمال التي تحددها انظمة المؤسسة.

المادة العشرون :

مجلس المحافظين :

١ - يتكون مجلس المحافظين من محافظ ونائب محافظ يعينهما كل عضو من اعضاء المؤسسة وتكون مدة خدمة كل منهما خمس سنوات ما لم ير العضو ابدال اي منهما خلال مدة الخدمة ويجوز اعادة تعيينهما وليس لنائب المحافظ ان يصوت الا في حالة غياب المحافظ وينتخب المجلس من بين اعضائه احد المحافظين رئيسا له كل سنه .

٢ - يعتبر مجلس المحافظين بمثابة الجمعية العمومية للمؤسسة وله جميع سلطات الادارة ، كما ان له ان يفوض مجلس الادارة في ممارسة اي سلطة من سلطاته ما عدا :

أ) قبول الاعضاء الجدد .

ب) زيادة رأس المال .

ج) ايقاف احد الاعضاء .

د) البت في الاعتراضات الواردة على تفسير احكام هذه الاتفاقية .

ه) عقد اتفاقات بقصد التعاون مع الهيئات الدولية الاخرى عدا الاتفاقات غير الرسمية ذات الصبغة المؤقتة الادارية .

و) وقف عمليات المؤسسة نهائياً وتوزيع اصولها .

ز) تحديد توزيع الدخل الصافي للمؤسسة .

٣ - يعقد مجلس المحافظين اجتماعاً سنويا على الاقل ، وكذلك ينعقد المجلس بناء على طلب مجلس الادارة او اذا طلب ذلك ثلاثة من اعضائه يحوزون ربع عدد الاصوات .

٤ - يصبح عدد اجتماع المجلس قانونيا اذا حضرته اغلبية تمثل ثلثي الاصوات على الاقل .

٥ - يجوز لمجلس المحافظين - اذا ارتأى مصلحة في ذلك - ان يضع القواعد اللازمة التي تخول لمجلس الادارة ان يحصل على موافقة اعضاء مجلس المحافظين في موضوع معين دون دعوته الى اجتماع .

٦ - لمجلس المحافظين ولمجلس الادارة - كل في حدود اختصاصه - ان يضعا القواعد والتعليمات واللوائح اللازمة لادارة شؤون المؤسسة .

٧ - يقوم مجلس المحافظين ونوابهم بأداء وظائفهم دون ان تدفع لهم المؤسسة مقابلاً مادياً على ان تدفع لهم المؤسسة المصروفات المناسبة التي يتحملونها في حضور هذه الجلسات .

٨ - يحدد مجلس المحافظين مكافأة اعضاء مجلس الادارة ونوابهم وكذلك مرتب المدير العام رئيس مجلس الادارة ، وشروط التعاقد معه .

المادة الحادية والعشرون :

التصويت :

١ - يحتسب عند التصويت في مجلس المحافظين ٢٥ صوتاً لكل عضو بصرف النظر عما يملكه من الاسهم ثم يضاف الى ذلك صوت عن كل سهم يملكه العضو .

٢ - تتخذ القرارات في جميع ما يعرض على المجلس بالاغلبية المطلقة للاصوات ما لم ينص على خلاف ذلك .

المادة الثانية والعشرون :

المدير العام رئيس مجلس الادارة والموظفين :

١ - يعين مجلس المحافظين مديراً عاماً للمؤسسة من غير المحافظين او نوابهم او اعضاء مجلس الادارة او نوابهم في حالة غياب المدير العام بصفة مؤقتة يعين مجلس المحافظين من ينوب عنه مدة غيابه .

٢ - يتولى المدير العام رئاسة جلسات مجلس الادارة ولا يجوز له التصويت الا في حالة تساوي الاصوات وحينئذ يكون صوته مرجحاً كما ان له ان يحضر جلسات مجلس المحافظين وان يشترك في مناقشاته دون ان يكون له حق التصويت .

٣ - المدير العام هو الرئيس الاعلى لموظفي المؤسسة والمشرف المسؤول عن تسيير دفة كافة الاعمال تحت اشراف مجلس الادارة . ويقوم بالتنظيمات الفنية والادارية داخل المؤسسة وله حق تعيين وفصل الخبراء والموظفين طبقاً لنصوص انظمة المؤسسة .

٤ - يراعى ان يكون ولاء المدير العام للمؤسسة وموظفيها خالصاً للمؤسسة وان يمتنعوا عن التأثير في سير اعمالها بأي دافع آخر او ان يتحيزوا لاي جهة او قومية .

٥ ـ على المدير العام ان يتحرى ما امكن عند تعيين الموظفين ان يكونوا من مختلف البلاد الاعضاء في المؤسسة وذلك بشرط عدم الاخلال بمبدأ وجوب توافر الكفاية والخبرة اللازمة لحسن سير العمل .

المادة الثالثة والعشرون :

مجلس الادارة :

١ ـ يتولى مجلس الادارة ادارة جميع اعمال المؤسسة بوجه عام ويباشر السلطات المخولة له من قبل مجلس المحافظين

٢ ـ يتكون مجلس الادارة من اربعة مديرين متفرغين ينتخبهم مجلس المحافظين ويشترط ان يكونوا من العرب المشهود لهم بالخبرة والكفاية ويكون انتخابهم لمدة سنتين قابلتين للتجديد .

٣ ـ يتم انتخاب اعضاء مجلس الادارة على الوجه التالي :

أ) يرشح كل محافظ مديراً واحداً ونائباً للمدير .

ب) ينتخب مجلس المحافظين من بين المرشحين اربعة مديرين ونائباً لكل منهم باكثرية الاصوات.

جـ) يعطى كل محافظ واحد من المديرين المنتخبين الاصوات التي يمثلها في مجلس المحافظين .

د) يكون لكل مدير في اجتماعات مجلس الادارة اصوات البلاد التي نالها من مجلس المحافظين.

٤ ـ يعاون النواب المديرين في اعمالهم ولهم حق حضور جلسات اجتماعات مجلس المديرين ولا يكون لنائب المدير حق التصويت الا في حالة غياب المدير الذي ينوب عنه .

٥ ـ يستمر اعضاء مجلس الادارة ونوابهم في وظائفهم الى ان ينتخب من يخلفهم ، فاذا خلت وظيفة احدهم لفترة اقصاها تسعون يوماً فينتخب المحافظون الذين يمثل اصواتهم المدير السابق ، خلفاً له للمدة الباقية على ان يوافق مجلس المحافظين على هذا الاختيار ، للخلف نفس مركز السلف من حيث مدى تمثيله للاصوات .

٦ ـ تصح اجتماعات مجلس الادارة بحضور رئيس مجلس الادارة او نائبه وعضوين على الاقل بشرط ان تتوافر لها اغلبية ثلثي مجموع الاصوات .

٧ ـ تصدر قرارات مجلس الادارة بالاغلبية المطلقة للمقترعين ما لم يكن هناك نص بخلاف ذلك .

المادة الرابعة والعشرون :

الهيئة الدائمة للمستشارين :

١ ـ تنشأ هيئة دائمة للمستشارين تكون مبدئياً من ثلاثة اعضاء يختارهم مجلس المحافظين بعد استشارة

مجلس الادارة ، ويراعى في اختيارهم ان تتنوع اختصاصاتهم ، ولمجلس المحافظين الحق في ان يزيد عددهم اذا اقتضى الامر ذلك .

٢ - يعين المستشارون بعقد لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات قابلة للتجديد وينوب رئيس مجلس المحافظين في التعاقد معهم .

٣ - تعقد هيئة المستشارين جلساتها برئاسة المدير العام رئيس مجلس الادارة او من ينيبه عنه من المديرين ويحضر اعضاؤها اجتماعات مجلس الادارة بدعوة منه ، ويشتركون في مناقشاتها دون ان يكون لهم حق التصويت .

المادة الخامسة والعشرون :

لجان القروض :

١ - تتكون لجان تقوم بتقديم التقارير اللازمة عن ملاءمة القروض المطلوبة طبقاً لاحكام هذه الاتفاقية.

٢ - تضم كل لجنة خبيراً يختاره المحافظ الذي يمثل العضو الذي يقوم المشروع في اراضيه وعضواً او اكثر من الفنيين الموظفين بالمؤسسة يعينهم رئيس مجلس الادارة .

المادة السادسة والعشرون :

مقر المؤسسة :

تكون مدينة القاهرة هي المركز الرئيسي للمؤسسة ويجوز ان تنشىء فروعاً لها او وكالات في اية بلد آخر حسب الحاجة ويكون ذلك بقرار من مجلس المحافظين .

المادة السابعة والعشرون :

التقارير والبيانات :

تصدر المؤسسة تقريراً سنوياً يحتوي على بيانات بحساباتها كما لها ان تصدر تقارير عن نشاطها في المشروعات المختلفة او اية تقارير اخرى تتعلق بتنفيذ اغراضها وتوزع هذه التقارير والبيانات على جميع الاعضاء .

المادة الثامنة والعشرون :

توزيع الارباح :

١ - تخصص من صافي الربح السنوي للمؤسسة نسبة عشرة من المائة لحساب الاحتياطي العام ولمجلس المحافظين ان يقرر نسبة اخرى لتكوين احتياطي اضافي وما تبقى بعد ذلك يوزع على الاعضاء

بنسبة ما يملكون من الاسهم .

٢ ـ تدفع المؤسسة لكل عضو حصته من الربح بعملته ، فاذا لم تتوافر لديها هذه العملة ، بعضها او كلها فتدفع الحصة بعملة اخرى يرتضيها العضو .

القسم الخامس

« الانسحاب »

ايقاف العضوية – ايقاف الاعمال

المادة التاسعة والعشرون :

انسحاب الاعضاء :

لا يحق لاي عضو ان ينسحب من عضوية المؤسسة قبل انقضاء خمس سنوات على عضويته ويكون الانسحاب بارساله اشعاراً كتابياً بذلك الى مركز المؤسسة الرئيسي ، ويصبح الانسحاب نافذاً من تاريخ استلام المؤسسة للاشعار .

المادة الثلاثون :

ايقاف العضوية :

١ – اذا اخل احد الاعضاء بأي التزام نحو المؤسسة جاز لها ايقاف عضويته بقرار تصدره بأغلبية مجلس المحافظين وتزول عن العضو الموقوف صفة العضوية نهائياً بعد مرور سنة من تاريخ الايقاف الا اذا صدر قرار آخر باغلبية الاصوات لاعادة العضوية اليه .

٢ ـ لا يحق للعضو خلال مدة ايقافه ممارسة الحقوق المنصوص عليها في هذه الاتفاقية فيما عـــدا حق الانسحاب ، ولكنه لا يعفى من التزاماته وذلك في حدود المادة الحادية والثلاثين .

المادة الحادية والثلاثون :

حقوق وواجبات الاعضاء الذين زالت عنهم العضوية :

١ ـ عندما تزول العضوية عن احدى الحكومات الاعضاء ، يبقى العضو مسؤولاً عن جميع الالتزامات قبل المؤسسة طالما ان اي جزء من القروض او الضمانات التي حصل التعاقد بشأنها قبل انتهاء عضويته ما زال قائماً . ولا يتحمل العضو اية مسؤوليات خاصة بقروض او ضمانات تقوم بهـــا المؤسسة كما لا يساهم في ارباحها او مصروفاتها بعد زوال عضويته .

٢ - عندما تزول العضوية عن احدى الحكومات تقوم المؤسسة بشراء اسهم هذه الحكومة وتسديد حساباتها ويكون سعر الشراء هو القيمة المبينة في دفاتر المؤسسة او قيمتها المدفوعة ايهما أقل .

٣ - تدفع قيمة الاسهم التي يجري اعادة شرائها طبقاً لهذه المادة بالشروط الآتية :

أ) تحجز المؤسسة لديها كل مبلغ مستحق للحكومة عن أسهمها ما دامت هذه الحكومة او اية هيئة او افراد في بلدها لا تزال مسؤولة قبل المؤسسة بصفتها مقترضة او مضمونة من المؤسسة، وللمؤسسة الحق في ان تستولي على المبلغ المحجوز تحت يدها نظير اي من القروض والالتزامات المذكورة في هذه الفقرة ، ولا تدفع المؤسسة بأي حال اي مبلغ يستحق للعضو نتيجة اعادة شراء اسهمه الا بعد مرور ستة اشهر على الاقل من تاريخ زوال العضوية عنه .

ب) يجوز للمؤسسة ان تدفع للحكومة لقاء اسهمها جزءاً من المالي المحجوز لديها بقدر ما تستوفي من حقوقها .

ج) يكون الدفع بعملة البلد التي زالت عنه العضوية او بالذهب او بعملة قابلة للتحويل الى الذهب حسبا تراه المؤسسة .

د) اذا تحملت المؤسسة خسارة ما نتيجة للعمليات التي قامت بها بمقتضى هذه الاتفاقية والتي لا تزال قائمة في تاريخ انفصال حكومة من العضوية ، وكان مقدار هذه الخسارة يزيد على مقدار الاحتياطي المخصص لمقابلتها في ذلك التاريخ ، وجب على هذه الحكومة ان تسدد عند الطلب المبلغ الذي كان يجب خصمه من ثمن اعادة شراء اسهمها لو ان هذه الخسارة اخذت في الحساب عند تحديد ثمن اعادة الشراء .

المادة الثانية والثلاثون :

الايقاف : وقف عمليات المؤسسة وتصفية اموالها :

١ - يجوز لمجلس الادارة في الاحوال الاستثنائية وقف عمليات القروض والضمانات والمساهمة بصفة مؤقتة وذلك الى ان يتاح لمجلس المحافظين فرصة بحث الاسباب الداعية الى هذا الايقاف واتخاذ قرار بشأنه .

٢ - يجوز للمؤسسة ان توقف اعمالها بصفة دائمة ويكون ذلك بقرار صادر بأغلبية ثلاثة ارباع الاصوات في مجلس المحافظين ويجب على المؤسسة ان تتوقف فوراً بعد صدور هذا القرار عن متابعة كل نشاط لها باستثناء الاعمال والاجراءات اللازمة لتحقيق وحفظ وصيانة موجوداتها واصولها .

وتبقى المؤسسة قائمة كما تبقى جميع الحقوق والوجبات المتبادلة بين الشركة واعضائها بمقتضى هذه الاتفاقية وذلك الى ان تتم التسوية النهائية لالتزاماتها وتوزيع موجوداتها ، وفي هذه الاثناء لا يجوز ايقاف او انسحاب اي عضو كما لا يجوز توزيع اي من الاصول على الاعضاء الا بمقتضى نصوص

هذا القسم من الاتفاقية .

٣ ـ لا يجوز اجراء اي توزيع لاصول المؤسسة على الاعضاء نظير اكتتاباتهم في رأس مال المؤسسة حتى يتم تسديد جميع حقوق الدائنين ويكون توزيع موجودات المؤسسة على اعضائها بنسبة ما يملكه كل عضو من اسهم ، ويتم هذا التوزيع نقداً او بموجودات اخرى في الاوقات وبالعملات التي تراها المؤسسة مناسبة ، وليس من الضروري ان تكون حصص الاعضاء من التوزيع واحدة من حيث نوع الموجودات الموزعة او العملات المدفوعة بها .

٤ ـ يحل العضو الذي يحصل على موجودات وزعتها المؤسسة بمقتضى احكام هذا القسم (الخامس) محل المؤسسة في جميع الحقوق التي كانت تتمتع بها المؤسسة ازاء هذه الموجودات قبل توزيعها .

القسم السادس

« الوضع القانوني للمؤسسة »

« الحصانات والامتيازات »

المادة الثالثة والثلاثون :

الشخصية القانونية :

١ ـ يكون للموسسة شخصية قانونية ولها بوجه خاص :

أ) حق التعاقد .

ب) الحق في تملك الاموال الثابتة والمنقولة والتصرف فيها .

ج) حق التقاضي والقيام بكافة الاجراءات القانونية .

٢ ـ تكون جهة التقاضي امام المحاكم المختصة حيث مقر المؤسسة على انه يجوز رفع الدعوى من قبل الهيئات والافراد في محل النزاع اذا وجد به للمؤسسة مكتب او وكيل مأذون له بقبول الدعاوى والاعلانات .

٣ ـ لا تجوز اقامة اية دعوى قضائية على المؤسسة من قبل الاعضاء او من قبل اشخاص يعملون لحساب الاعضاء او يطالبون بحقوق .

٤ ـ تتمتع جميع املاك المؤسسة وموجوداتها في البلاد الاعضاء بحصانة ضد جميع انواع الحجز او التنفيذ قبل صدور حكم نهائي ضد المؤسسة اينما وجدت هذه الاملاك والموجودات واياً كان حائزها.

٥ ـ تتمتع املال المؤسسة وموجوداتها في اراضي الاعضاء ، وفي حوزة اي كان ، بالحصانة ضد

التفتيش والاستيلاء والمصادرة ونزع الملكية ، او اي نوع آخر من الاستيلاء يصدر عن سلطة تنفيذية او تشريعية .

٦ - تتمتع اوراق المؤسسة وسجلاتها ووثائقها بالحصانة الكاملة .

المادة الرابعة والثلاثون :

اعفاء اموال المؤسسة :

تعفي جميع اموال المؤسسة وموجوداتها في حدود الضرورة التي تقتضيها الاعمال المنصوص عليها في هذه الاتفاقية وطبقاً لنصوصها من جميع القيود والانظمة والمراقبات وقرارات تأجيل دفع الديون مهما كان نوعها .

المادة الخامسة والثلاثون :

يعامل الاعضاء مراسلات المؤسسة بنفس معاملاتهم للمراسلات الرسمية الخاصة بالاعضاء الآخرين .

المادة السادسة والثلاثون :

حصانة موظفي المؤسسة ومستخدميها وامتيازاتهم :

جميع المحافظين ونوابهم والمديرين وموظفي المؤسسة ومستخدميها :

١ - يتمتعون بالحصانة ضد الاجراءات القضائية فيما يتعلق بالاعمال التي يقومون بها بصفتهم الرسمية .

٢ - اذا لم يكونوا من رعايا الدولة التي يمارسون وظائفهم فيها فانهم يمنحون فيما يتعلق بقيود الهجرة واجراءات التسجيل الخاصة بالاجانب وواجبات الخدمة العسكرية وقيود القطع ، نفس الحصانات والامتيازات التي يتمتع بها موظفو الامانة العامة للجامعة العربية .

٣ - يتمتعون - فيما يتعلق بتسهيلات السفر - بنفس المعاملة التي يتمتع بها موظفو الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

المادة السابعة والثلاثون :

الاعفاء من الضرائب في بلاد الاعضاء :

١ - تعفى المؤسسة وموجوداتها واملاكها ودخولها وعملياتها وصفقاتها التي تنص عليها هذه الاتفاقية من جميع الضرائب والرسوم الجمركية وتعفى المؤسسة ايضاً من مسؤولية تحصيل او دفع اية رسوم او ضرائب .

٢ - يتمتع المدير العام رئيس مجلس الادارة واعضاء مجلس الادارة ونوابهم والموظفون والمستخدمون

فيما يختص بالضرائب بجميع الامتيازات التي يتمتع بها موظفو الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

٣ ـ تعفى اسهم المؤسسة عند اصدارها وتداولها من جميع الضرائب والرسوم .

٤ ـ لا تفرض اية ضريبة مهما كان نوعها على اي سند او ورقة مالية تصدرها المؤسسة او تضمنها بما في ذلك الارباح والعمولات وما شابهها الناتجة عنها ايا كان مالكها وذلك :

أ) اذا كانت الضريبة لم تفرض على هذا السند او الورقة المالية الا لمجرد صدور اي منها عن المؤسسة او لانها ضامنة لها .

ب) او كان الاساس القانوني الوحيد لهذه الضريبة هو العملة التي اصدرت او دفعت بها السندات او الاوراق المالية ، او المكان الذي اصدرت او دفعت او يمكن ان تدفع فيه او موقع اي مكتب او مركز لأعمال المؤسسة .

المادة الثامنة والثلاثون :

تعديل نصوص الاتفاقية :

١ ـ يحق لاي عضو او محافظ او عضو مجلس ادارة ان يقترح تعديلات على هذه الاتفاقية وذلك بتبليغه اقتراح التعديل الى رئيس مجلس المحافظين الذي يعرض الاقتراح على المجلس في اقرب فرصة ، فاذا حاز الاقتراح موافقة المجلس فعلى المؤسسة ان تطلب رأي جميع الدول الاعضاء بشأنه وفي حالة موافقة ثلاثة ارباع اصوات الاعضاء تسجل المؤسسة التعديل ببلاغ رسمي توجهه الى جميع الاعضاء ويسجل التعديل في الامانة العامة .

٢ ـ استثناء من الفقرة (١) من هذه المادة يجب موافقة جميع الاعضاء في حالات التعديل التي تغير من :

أ) الحق في الانسحاب من المؤسسة طبقاً للمادة التاسعة والعشرين من هذه الاتفاقية .

ب) الحد من مسؤولية الاعضاء بالنسبة للجزء غير المدفوع من اسهمهم طبقاً للمادة السابعة من هذه الاتفاقية .

جـ) حالة اقرار زيادة لرأس المال مرخص بها وفقاً للفقرة (٣) من المادة الخامسة من هذه الاتفاقية.

٣ ـ تصبح التعديلات المقررة نافذة المفعول من قبل جميع الاعضاء بعد انقضاء ثلاثة اشهر من تاريخ البلاغ الرسمي الذي تصدره المؤسسة الا اذ حدد مجلس المحافظين فترة اقصر .

القسم السابع
« التفسير والتحكيم »

المادة التاسعة والثلاثون :

١ ـ تحال الى مجلس المحافظين جميع الخلافات التي تقع بين اي عضو وبين المؤسسة او بين الاعضاء فيما

بينهم بشأن تفسير نصوص هذه الاتفاقية ويعتبر القرار الذي يتخذه مجلس المحافظين في موضوع الخلاف نهائياً .

٢ ـ اذا اتخذ مجلس الادارة قراراً بشأن تفسير نص من نصوص هذه الاتفاقيـة يمكن لاي عضو ان يستأنفه امام مجلس المحافظين الذي يصدر قراراً نهائياً في موضوع الخلاف . على انه يجوز للمؤسسة العمل بقرار مجلس الادارة خلال فترة الاستئناف .

المادة الاربعون :

التحكيم :

اذا حصل خلاف بين المؤسسة وبين دولة او بلد زالت عنه العضوية او بين المؤسسة وعضو خلال تصفية اعمال المؤسسة بصورة نهائية ينظر هذا الخلاف امام هيئة تحكيم مؤلفة من ثلاثة محكمين تعـين المؤسسة احدهم ويعين العضو الطرف في الخلاف المحكم الثاني ويختار المحكمان المذكوران محكما ثالثاً يتفقان عليه ويكون قرار هذه الهيئة نهائياً .

وفي حالة عدم الوصول الى اتفاق بين المحكمين بشأن اختيار المحكم الثالث فيرجع الى ممثل الشرق الاوسط في محكمة العدل الدولية الذي يمكن ان يكون بنفسه حكماً ثالثاً او يختار الحكم الثالث دون اعتراض من الطرفين .

القسم الثامن

« احكام ختامية »

المادة الحادية والاربعون :

يعمل بهذه الاتفاقية بعد شهر من ايداع وثائق تصديق دول لا يقل مجموع اكتتاباتها عن ٧٥ ٪ من رأس المال المنصوص عليه في المادة الرابعة من هذه الاتفاقية .

المادة الثانية والاربعون :

التصديق والايداع والانضمام :

١ ـ يصدق على هذه الاتفاقية من الدول الموقعة عليها طبقاً لنظمها الدستورية في اقرب وقت ممكن وتودع وثائق التصديق لدى الامانة العامة لجامعة الدول العربية التي تعد محضراً بايداع وثيقـة تصديق كل دولة وتبلغه الدول المتعاقدة الاخرى .

٢ ـ يجوز لدول الجامعة العربية الاخرى غير الموقعة على هذه الاتفاقية ان تنضم اليها بعد موافقـة

مجلس المحافظين طبقاً للمادة الثالثة بإعلان يرسل منها الى الامين العام لجامعة الدول العربية الذي يبلغ انضمامها الى الدول الاخرى المرتبطة بها .

المادة الثالثة والاربعون :

تصبح كل حكومة عضو في هذه المؤسسه من تاريخ ايداعها وثائق التصـديق او الانضمام لدى الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

المادة الرابعة والاربعون :

تدفع كل دولة موقعة على هذه الاتفاقية عند ايداع وثيقة تصديقها ١٠ ٪ من قيمــة الاسهم التي اكتتبت بها على ان يحتسب هذا القدر من اصل الربع الواجب الاداء بمقتضى الفقرة الرابعة من المادة السادسة من هذه الاتفاقية . وعلى الامانة العامة ان ترد هذه المبالغ الى الجهة التي يحددهـــا مجلس المحافظين في اول اجتماع يعقده .

المادة الخامسة والاربعون :

يوجه الامين العام لجامعة الدول العربية الدعوة الى الاجتماع الاول لمجلس المحافظين .

وتأييداً لما تقدم قد وقع المندوبون المفوضون المبينة اسماؤهم بعد هذه الاتفاقية نيابة عن حكوماتهم وبأسمائها .

عملت هذه الاتفاقية بمدينة القاهرة في يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة سنة ١٣٧٦ الموافق الثالث من يونيو سنة ١٩٥٧ . من اصل واحد باللغة العربية يحفظ في الامانة العامة لجامعـة الدول العربية وتسلم صورة مطابقة للاصل لكل دولة من الدول الموقعة على الاتفاقية او المنضمة اليها .

كتب جديدة

سنحاول ان نعرف القراء الى بعض الكتب الممتعة المفيدة التي تدور مواضيعها حول الشرق العربي او ما يهم الشرق العربي . وسيكون هذا التعريف مقتضباً اذ ان الغاية لفت النظر الى هذه الكتب ، وعليه لا ينتظر القارىء مراجعة مسهبة .

رئاسة التحرير

Walter Z. Laqueur, Editor . *The Middle East in Transition* (London: Routledge and Kegan Paul, 1958) , 513 pp.

الشرق الاوسط في مرحلة انتقال – تحرير والتر ز. لاكور

(لندن : روتلادج وكيفان پول ، ١٩٥٨) ٥١٣ ص.

قام بجمع هذه البحوث مؤلف كتاب «الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط» من مصادر انكليزية وفرنسية وعربية وروسية تمثل وجهات نظر متعددة ومختلفة .

بالاضافة الى ان هذه البحوث تمثل وجهات نظر لمختلف الشعوب المهتمة في هذه البقعة من العالم ، يحتوي الكتاب على بحوث وموضوعات متنوعة وعلى مستويات متعددة . اذ نجد مقالاً عاماً ل هـ. أ. ر. جيب حول « الاصلاح الاجتماعي : العامل س» الى جانب مقال آخر وعلى مستوى اضيق لمورو بيرجر حول « الطبقة المتوسطة في العالم العربي » وفي الحقل السياسي نجد عرضاً « للتيارات السياسية في الهلال الخصيب» بقلم وليد الخالدي الى جانب بحث لجبران مجدلاني يدور حول «الحركة الاشتراكية العربية » . ويختص الاقتصاد بقسم بارز من الكتاب ، مع ان النطاق الجغرافي الذي تدور ضمنه هذه المعالجة الاقتصادية نطاق ضيق . فهناك بحثان في الاقتصاد واحد عن التطور في العراق بقلم هول هرمان

ومقال ثان أخذ من مجلة ال The Economist . وفي رأيي ان المقـال الثاني يستعرض الشؤون الاقتصادية بشكل اعمق من المقال الاول وهناك بحثان آخران في الاقتصاد الاول لشارلز عيساوي حول «الاسس الاقتصادية والاجتماعية للديمقراطية في الشرق الاوسط» والآخر لسعيد حمـاده حول « اليقظة الاجتماعية والنمو الاقتصادي في الشرق الاوسط » الى جانب هذا فقد نالت الشيوعية المحلية والسياسة السوفياتية اهتماماً واسعاً في الكتاب . واعتقد انـه من المناسب ومن الضروري في هذا المجال ، ضم بحث برنارد لويس في « الشيوعية والاسلام » الى بحوث الكتاب . كما انـه من المناسب ضم اراء ل.ن. فاتولينا وف. ب. لوتسكي حول السياسة السوفياتيه .

ان مراجعة كتاب يتضمن مختارات من هذا النوع ليستدعي بعض النقد بطريقة اختيار البحوث ، خاصة وان احوال الشرق الاوسط هي من التحول والتغير بحيث تستدعي اهتماماً زائداً من قبل الناشر عند اختيار البحوث . فما يظهر بالامس آراء يصح اعتمادها في المستقبل ينقلب اليوم الى مجرد تكهنات لا تخلو من التنبؤ . وبكلمة اخرى ان مهمة الناشر حين ينتقي بحوثاً لجمعها في كتاب حول موضوع معين ان يتوخى قيمة هذه البحوث بالنسبة للمستقبل ، في حين تكن مهمة المراجع الذي يستطيع التبصر بالماضي في ان يشير الى مواضيع الضعف في اختيار الناشر لبحوثه . واني لا ارغب في الاستفادة من مثل هذه الفرصة .

غير انه لا يسع المراجع الا ان يتساءل فيما اذا كان الناشر قد توخى التوازن بين بحوث الكتاب اذ خصص اقل من نصفها للمسائل الشيوعية والاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط. ولكن نظرةاخرى الى الموضوع تعطي القارىء شعوراً بان لاكور قد حاول ان يقيم مثل هذا التوازن بين البحوث . واخيراً يمكن للقارىء ان يتهم الناشر بان الكتاب لا يكشف عن اشياء جديدة للخبير في الحقول التي تتطرق اليها البحوث ، في حين انها تؤدي الى بلبلة افكار المبتدىء في هـذه الحقول . والجواب على هذا هو ان هناك فئة ثالثة من القراء ليست بالخبيرة بالموضوع ولا بالمبتدئة ، وهذه الفئة تستطيع ، لا ان تتبين ما مر عليه الزمن من مواضيع الكتاب فحسب ، بل ان تستفيـد من المواضيع الاخرى في الكتاب كذلك .

تشارلز ف ستيورت

GUNNAR MYRDOL, Rich Lands And Poor — the Road to World Prosperity

البلاد الغنية والفقيرة — او الطريق الى رخاء عالمي

هو النسخة المنقحة لسلسلة المحاضرات التي القاها الاقتصادي السويدي جونار ميردال برعاية البنك الاهلي المصري عام ١٩٥٥ والتي سبق ونشرها البنك المذكور عام ١٩٥٦ تحت عنوان :

Development and underdevelopment : A note on the Mechanism of National and International Economic Inequality

يركز المؤلف اهتمامه في هذا الكتاب على معالجة التباين الاقتصادي الكبير والمتزايد بين الدول

المتقدمة والدول المتخلفة اقتصاديا فيبحث في اسباب هذا التباين وكيف نشأ وما هي العوامل التي تدفعه الى الازدياد ثم كيف يمكن عكس هذا الاتجاه . ثم يلي ذلك شرح للاسس الفلسفية والاجتماعيــة التي بنيت عليها النظريات الاقتصادية في القرنين الثامن والتاسع عشر وبعد هذه النظريات – في اعتقاد المؤلف – عن مواجهة الواقع بتبنيها مبدأ المساواة في الظاهر وتحاشيها ادراج المبدأ في صلب النظريات التي تعاقبت .

ويلاحظ المؤلف ان من مميزات التباين الاقتصادي بين مختلف البلدان اطراد النمو والتقــدم في المدى الطويل في البلدان المتقدمة في حين ان جميع الدلائل تشير الى انخفاض في جميع الرساميل والانتاج والدخل في البلاد المتخلفة وعليه فيمكن القول بان الفوارق بين الفئتين من البــلدان هي بازدياد مستمر . وظاهرة اخرى هي انه في حين ان نسبة التفاوت بين البلدان المتقدمة مع بعضها البعض هي في طريق النقصان نجد في البلدان الفقيرة احتفاظاً بالتباين بين الافراد ومجموعات السكان والقطاعات . ونتيجة لاستمرار الفوارق بين البلاد الغنية الفقيرة نشأ شعور متزايد بهذه الفوارق بين سكان البلاد الفقيرة ومحاولة تبرير ذلك بوضع اللوم لحالة الفقر المدقع التي يعانون منها على البــلدان المتقدمة ، كما تبع ذلك ظهور نوع من القوميــة تطالب بالتحرر وبتحقيق المساواة في الفرص لجميع الشعوب .

وفي السعي لايجاد تفسير لهذا التباين يعالج المؤلف النظريات الاقتصادية المتوارثة لمعرفــة ما اذا كانت تعطي التفسير اللازم للمشكلة ثم يتوصل الى القرار بان لا نظرية التجارة الخارجية ولا النظريات الاقتصادية العامة بنيت بقصد تفسير حقيقة النمو او التخلف الاقتصادي . فمبدأ التوازن الذي استندت اليه النظرية الاقتصادية الكلاسيكية وعدم التعرض للعوامل غير الاقتصادية قد جعلا من الجهاز التحليلي الاقتصادي جهازاً نظريا غير واقعي .

من هنا يحاول المؤلف ان يقدم لنا تفسيراً لاطراد النمو او التخلف الاقتصادي بما يسميه العملية الدورية التراكمية التي تدفع البلدان المتقدمة دوماً الى مرتبة اعلى في حين انها تدفع البلدان المتخلفة الى مستوى ادنى ، وهو يؤكد لنا ان رجل الاعمال الناجح غالباً ما يتوصل الى ايجــاد التفسيرات الحقيقية الكامنة وراء العوامل الدناميكية والعمل بموجبها دون الالتفات للتفسيرات النظرية التي يقدمها له الاقتصاديون .

ثم يتدرج الكاتب للقول بانه لو ترك للعوامل الاقتصادية ان تسير في مجراها الطبيعي دون تدخل فسيكون من جراء ذلك زيادة الفوارق لا انخفاضها بين المقاطعات في البلد الواحد وبين بلد وآخر . وهو يعزو ذلك الى ان كل عملية نمو اقتصادي لها نوعين من الآثار : النوع الاول هو عملية امتصاص لليد العاملة والرساميل والسلع والخدمات من المناطق المتخلفة للمنطقة النامية وهذه تزيد في التبــاين والنوع الثاني يشكل آثاراً توسعية تنتقل من المناطق المزدهرة للمناطق الاخرى خصوصاً فيما يتعلق، بايجاد اسواق للمحاصيل الزراعية والمواد الخام .

وكلما ارتفع مستوى التقدم الاقتصادي في البلد المتأخر كلما كانت الآثار التوسعية اكثر فعالية ؛

لكن واقع الحال في البلاد المتخلفة هو مما يجعل عمليات الامتصاص اكثر طغيانا من عمليات النمو وهذا يعني انه اذا تركت الامور تسير في مجراها الطبيعي دون تدخل الدولة فذلك يعني اتساع شقة التباين بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة اقتصاديا . هذا وقد ساعد تبني الدول المتقدمة اقتصاديا لمبدأ Welfare State – وهو ما لا يمكن للبلدان المتأخرة ان تطبقه – العوامل التوسعية ان تطغى على عوامل الامتصاص في بلادها فمهدت بذلك السبيل لتبني مبدأ المساواة والديموقراطية .

من هنا يتدرج المؤلف للمناداة بضرورة مساهمة الدولة في البلدان المتخلفة مساهمة فعالة في الحد من تأثير العوامل الاقتصادية التي اوجبت بقاءها متخلفة حتى الآن وذلك باتباع سياسة الاقتصاد الموجه ساعية وراء رفع المستوى الاقتصادي العام وتحقيق مساواة في الفرص تقارب بينها وبين بقية العالم ومن رأي الكاتب ان على الدول الفقيرة ان تزيد من تعاونها مع بعضها البعض وتنسق سياستها الجماعية ليقوى مركزها بالنسبة لمراكز البلدان المتقدمة كما يصبح التعاون الدولي اكثر فعالية . كذلك يعتقد الكاتب ان نظام الائتمان لا يصلح اساساً للتخطيط القومي لان الاهداف القومية ووسائل تحقيقها تقتضي اتخاذ قرارات مستوحاة من الصالح العام كما يقرها البرنامج السياسي .

وخلاصة القول ان هذا الكتاب جدير باهتمام الاخصائيين والمختصين بشؤون الدول المتخلفة ونموها الاقتصادي فقد رسم لهم الكاتب في اي الاتجاهات يجب تركيز الاهتمام للقضاء على الغبن الفاحش في توزيع الثروات ومستوى المعيشة بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة اقتصادياً .

التربية ونهضة الريف العربي

الحلقة الدراسية الرابعة لدراسة المشكلات التربوية في البلدان العربية .
باشراف دائرة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت .

بيروت – ١٩٥٨

تنطلق فكرة هذا الكتاب من شعور يخالج اذهان المربين العرب وهو ان الريف العربي باعتباره يضم ما يتراوح بين ٧٥ - ٨٠ ٪ من شعوب العالم العربي هو عصب الحياة لهذه الشعوب ، وان اية دعوة اصلاحية تقوم في البلدان العربية تتغافل عن هذه الحقيقة لن تبلغ اهدافها الاخيرة .

انطلاقاً من هذا الايمان قام اعضاء الهيئة الدولية للتعليم الريفي في البلدان العربية برئاسة الدكتور حبيب كوراني برحلة حول العالم اطلعوا خلالها على المشروعات الاصلاحية للريف في الدنمرك والسويد واسكتلندا وبورتوريكو والولايات المتحدة والهند والفلبين كما زاروا البلدان العربية واطلعوا على نواحي النهضة الريفية فيها . وكانت الخطوة الثانية ان دعت دائرة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت الى حلقة دراسية عقدت في سوق الغرب – لبنان ، استمرت من ٢٦ الى ٣٠ آب سنة ١٩٥٧ جرى خلالها تقديم تقارير اعضاء الهيئة الدولية ومناقشة هذه التقارير وتبادل وجهات النظر حولها . وقد حضرت هذه الحلقة وفود من الاردن والسودان وسورية والعراق ولبنان ووفد يمثل الجامعة

العربية . وانتهت بتوصيات ذات شقين : الاول يتناول الاهداف والوسائل التي تتصـــل بالظروف الاجتماعية والاقتصادية العامة في البلدان العربية ، والثاني يتناول الاهداف والوسائل التي تتصل بالتربية الريفية في هذه البلدان . والقصد من تفصيل هذه التوصيات بهذا الشكل هو تمكين المعنيين بشؤون الاصلاح الريفي من الاحاطة بمشكلات الريف العامة اولاً ثم بالمشكلات التربوية التي تنبثق عنها .

تشكل تقارير الهيئة الدولية للتعليم الريفي العمود الفقري للكتاب،فالتقرير الاول يتضمن انطباعات اعضاء الهيئة عن رحلتهم حول العالم . وبعد هذا يلي تقرير عن المشكلات التي تواجه الريف العربي ثم تقرير ثالث عن مشاريع الاصلاح في البلدان العربية ، والتقريران هذان مدعمان بالاحصاءات التي تتناول النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية في هذه البلدان . وتعتبر هذه التقارير الثلاثة بمثابة مقدمة ضرورية لا يمكن التطرق الى موضوع التربية بدونها ، فتأتي التقارير الاخرى لتعالج واقـع التعليم الريفي في البلدان العربية والعلاقة بين التربية والنهوض بالريف والاصلاح الريفي من الناحيـة الادارية ، وثم بعض الاجراءات الضرورية للنهوض بالريف وبعض الحلول القريبة المدى لانعـــاش التربية الريفية في البلدان العربية .

ان النظرية التي تعتمد عليها بحوث الكتاب وتستمد منها مختلف ابعادها هي ان المدرسة الريفية هي محور الاصلاح الريفي . انها المحور الذي تلتقي حوله وتنطلق منه مختلف النشاطات العاملة لخير المجتمع الريفي . ذلك لانه لا بد ، عند التخطيط لعملية اصلاح مهما كان نوعها من تحديد نقطة الانطلاق . لا بد من مكان يبتدىء منه الاصلاح . واعضاء الهيئة متفقون على ما يظهر من مقال للدكتور حبيب كوراني بعنوان التربية ونهضة الريف، ان المدرسة الريفية هي المؤسسة المؤهلة لتكون نقطة الانطلاق. يمكن في هذا المجال القول ان الحركة الاصلاحية التي تبتدئ في المدرسة الريفية لا تنطلق في اتجاه واحد وانما هي كاتساع فقاعة الصابون ، ان جاز التشبيه ، تمتد في جميع الاتجاهات حتى تتسنى لها ان تشمل المجتمع الريفي كله بمختلف مناحي النشاط فيه .

ولا شك ان هذا الرأي يستند الى ملاحظات الهيئة ودراساتها لاحوال الريف والاصلاح الريفي في مختلف انحاء العالم . غير ان القارىء العادي لا يمكنه ، عندما يراجع تاريخ نهضات الشعوب ، الا ان يتساءل عن الدور الذي لعبته المدرسة الريفية في انهاض الريف ، او بكلمة اخرى فيما اذا كانت النهضات القائمة اليوم في الدنمرك او البورتوريكو مدينة في اسباب قيامها الى نشوء المدارس الريفيـــة فيها ام ان هذه المدارس بالذات جاءت نتيجة لتغيرات سابقة في الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ان الاطار الذي رسمته الهيئة لنفسها في معالجتها موضوع التربية الريفية قد لا يضطرها الى الاجابة على مثل هذا السؤال ، ذلك ان معالجة المشكلات السياسية او الاقتصادية تقع خارج اختصاصهم . غير ان فهماً عميقاً للاسس التي تعتمدها الهيئة من كتابها لانعاش الريف والمبادىء التي تدعم هــذه الاسس يظهر كيف ان التربية الريفية بامكانها ان توصل العالم العربي الى مرحلة من الرقي والازدهار قد يصعب التوصل اليها عن طريق الحلول الاقتصادية والسياسية وحدهـا ، وذلك بالرغم من الزمن الطويل الذي تقتضيه عملية تربوية كهذه . والسبب في ذلك يعود الى ان اصلاح الريف على الأسس

المعتمدة في كتاب « التربية ونهضة الريف » تتوخى مبدأ ان يأتي هذا الإصلاح عن طريق الريفيين انفسهم ، فيكون اساساً لأي اصلاح سياسي او اقتصادي قد يأتي من فوق ان لم يأت من الريفيين انفسهم .

يبقى ان الحالة المثلى هي حين تتآلف جميع هذه الاتجاهات الإصلاحية – التربوية منها والسياسية والاقتصادية – وعندها يصبح الكتاب الذي بين ايدينا مصدراً رئيسياً من المصادر التي لا غنى عنها لإصلاح الريف العربي – الذي يضم غالبية الشعوب العربية – بحيث يصبح هذا الريف عمود النهوض القومي في المجتمع العربي باكمله .

منير بشور

SYRIA : A SHORT HISTORY

Philip K. Hitti, London, Macmillan, 1959, ix 271 (21/-)

سورية : تاريخ مختصر

الدكتور فيليب حتي – نشر مكميلان بلندن ١٩٥٩

صفحاته ٩ + ٢٧١ (٢١ شلناً)

قبل نحو ربع قرن من الزمان نشر الدكتور حتي تاريخ العرب بالانكليزية ، فاستقبله العلماء والمؤرخون بالترحيب الكبير . وقد طبع الكتاب ست طبعات ولا يزال موضوع الحفاوة ، وغوث المحتاج لمن يهمه تاريخ العرب . لكن الكتاب بما فيه من تحقيق وتفصيل وتوضيح لم يكن مما يمكن لعامة المثقفين ان يفيدوا منه لذلك اصدر مؤلفه الفاضل مختصراً له ، فشفي الغليل في اللغات التي صدر فيها .

وفي سنة ١٩٥١ ظهرت الطبعة الاولى من كتاب تاريخ سورية للدكتور فيليب حتي (ظهرت الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧) . والكتاب ، من حيث التحقيق والتدقيق والمعرفة والعرض، مثل الكتاب الاول . وقد اقتعد «تاريخ سورية» مكانه من مكتبات اهل الاختصاص الى جوار «تاريخ العرب» . لكن حاجة عامة المثقفين الى مختصر كانت ملحة . وزاد في الحاجة الى الكتاب الاحداث الكثيرة التي تعرض لها الشرق الاوسط ، فقام الدكتور حتي بمساعدة تلميذه وزميله هري هازارد بتلخيص تاريخ سورية ، فكان منه هذا المجلد اللطيف الذي نقدمه لقراء الابحاث .

الا ان الدكتور حتي لم يكتف بالتلخيص بل اعاد كتابة الفصل الاخير من كتابه الكبير وجعله اربعة فصول للكتاب المختصر . وبذلك اصبح باستطاعة من يكتفي بالمختصرات (بالانكليزية) ان يقتني سورية : تاريخ مختصر ، كما اقتنى من قبل العرب: تاريخ مختصر (وهذا يمكن الحصول عليه بالعربية ايضاً).

وحري بالذكر ان تاريخ العرب (المطول) عرفه القراء بالعربية منذ سنوات ، وتاريخ سورية (المطول ايضاً) ظهر منه في العربية جزء والثاني في الطريق . اما تاريخ لبنان ، وهو الكتاب الثالث في مثلث الدكتور حتي فقد نقل الى العربية ، وهو على وشك ان يطبع .

ن. ز.

رسالة عن الامام جعفر الصادق
الدكتور عبدالرحمن الكيالي

حلب – ١٩٥٨ (١٩ صفحة)

رسالة مقتضبة تناول صاحبها الامام جعفر الصادق في اطار قصد منه بنيان فضله الكبير ، وموضع آل البيت من حياة المسلمين ومن الاسلام ، واثر الاسلام خاصـــة والدين عامة في صقل النفوس وتهذيب الاخلاق .

ن. ز.

شريعة حمورابي : اقدم الشرائع العالمية
الدكتور عبدالرحمن الكيالي

مطبعة الضاد ، حلب ١٩٥٨ (ص١٩١)

هذه دراسة جديدة عن شرائع حمورابي يقدمها الدكتور الكيالي الى قراء العربية . ولعلّ خير ما يمكن ان يقال عن الكتاب تقديماً له هو ما قاله الدكتور الكيالي نفسه . فقد جاء في ص٦ ما يأتي:

« عندما اطلعت على كتاب اقدم شرائع العالم لمؤلفـــه الاستاذ « ادوارد شيلبريك » Edward Chilpreric » وقرأت نص الشريعة التي حواها كتابه ، كما قرأتها في المجـــلد الاول من (تاريخ التواريخ) ودرست الملاحظات التي اوردها هو عن الشريعة المذكورة ، والمقارنة التي قارن بينهـــا وبين شريعة موسى ، وقرأت ما كتبه التاريخ المذكور ، وما كتبه المستر « وولي – Wooly » في مجلديه عن بلاد بابل وآشور ، وكتاب « جورج كونتيننو – George Continenu » عن حيـاة البابليين اليومية ، ورأيت فيما قرأته او اطلعت عليه ، الفوائد الكثيرة التي لا يجوز كتمها عن ابناء امتي العربية ، قررت ان انقل الشريعة المذكورة الى العربية كما هي ، مع بعض شروحات واضافات تزيد الموضوع وضوحاً وتنير بعض الغوامض الواردة فيهـــا . ويسرني ان اقول ان الاستاذ حسن الزيات ، كان اسبق مني الى ترجمة الشريعة المذكورة ، وله الفضل في ذلك ، ولكني لم اكن اطلعت على ترجمته الا بعد فراغي من الترجمة الانكليزية عن كتاب المستر ادوارد، وعن دائرة المعارف البريطانية، وعن كتاب تاريخ التواريخ الذي اشرت اليه ، ولذا ابقيت ما ترجمته كما هو ، لانني بالمقابلة لم اجد فرقاً كبيراً بينها، الا في بعض الالفاظ الاصطلاحية. وعلاوة على ترجمة الشريعة الحمورابية، رأيت ان اكتب هذه المقدمة ، واضيف اليها شيئاً عن تاريخ بابل السياسي، وشيئاً موجزاً عن مدنيتها، ليتمكن القارىء من الاحاطة بواقع حال تلك الامة العريقة في القدم والمدنية وبشيء مختصر عن البواعث التي ادت الى وضع الشريعة المذكورة . واتماماً للغاية ، نقلت الملاحظات التي ابداها مؤلف كتاب اقدم الشرائع

العالمية والمقارنات التي ذكرها لانها ذات فوائد جزيلة ، واضفت اليها ما كتبته عن سورية بنظر التاريخ وعلم الآثار لما كان لأقوام سورية علاقة بالبابليين . »

فللمؤلف الفاضل شكر القراء على هذا الكتاب .

ن . ز .

منشورات حديثة للامم المتحدة

يمكن شراؤها من وكلاء بيعها في العواصم العربية

القاهرة : مكتبة لارانساس داجيبت

بغـداد : مكتبة مكنزي

بيروت : المكتبة العمومية

Yearbook of International Trade
Statistics 1957 Vol. I and II
United Nations Publications. Sales No. 1958. XVII 2 Vol. $ 6.00 and $ 1.50.

الكتاب السنوي الاحصائي للتجارة الخارجية ١٩٥٧
المجلد الاول والثاني

هذه هي النشرة الثامنة من نوعها . وقد قسمت كما في السنة السابقة الى مجلدين : الاول يحتوي على احصاءات لكل بلد على حدة وجداول اساسية تظهر اسهام كل بلد في تجارة الاقليم الذي ينتمي اليه وفي تجارة العالم ، مع تحليل لمجرى التجارة بين البلدان وبيان لتقلبات الاسعار .

ويحتوي المجلد الثاني على جداول تلخص التجارة الدولية ، وهي تهم الاشخـاص الذين يعنون بالنواحي الاقتصادية الواسعة للتجارة الخارجية. وقد بلغ مجموع تجارة البلدان التي تتوفر فيها الاحصاءات في سنة ١٩٥٧ ١٠٨ ٦٠٠ مليون دولار .

Demographic Yearbook 1957
United Nations publications. Sales No. 1057. XIII. 1 $ 6.50

الكتاب السنوي للاحصاءات الحياتية ١٩٥٧

هذه النشرة هي التاسعة من السلسلة التي ينشرها مكتب الاحصاءات للامم المتحـدة وهي النشرة الثانية التي تعنى بصورة خاصة باحصاءات الوفيات . وقد تناولت نشرة ١٩٥١ لأول مرة احصاءات الوفيات وللمدة بين ١٩٣٦ و١٩٥٠ . وقد تناولت هذه النشرة احصاءات الوفيات حتى سنة ١٩٥٦

بحيث تجمع احصاءات لعشرين سنة خلت . وفيا عدا احصاءات الوفيات تحتوي هذه النشرة على جداول عن المهاجرة وعلى تقديرات حديثة لعدد سكان كل مدينة يزيد عدد سكانها عن ١٠٠٠٠٠ ، وكذلك احصاءات سكان كل بلد ومساحته وكثافة سكانه ، ونسبة الزيادة السنوية بين سنة ١٩٥٣ و١٩٥٦ .

Yearbook of National Accounts Statistics
United Nations Publication.
Sales No. 1958. XVII. 3. $ 2.50

الكتاب السنوي لاحصاءات الدخل الوطني

تحوي هذه النشرة تقديرات مفصلة عن الدخل الوطني لسبعين بلد من بلدان العالم وهذه التقديرات مبيّنة في جداول موحدة التصنيف بالقدر الممكن ، لكي تسهل المقارنة بين بلد وبلد آخر .

وتظهر النشرة ان كمية الإنتاج من البضائع والخدمات ، اي الدخل الحقيقي ، قد زاد منذ سنة ١٩٥٠ في معظم اقسام العالم ، وان معدل الزيادة قد انخفض في اواخر المدة بين ١٩٥٠ و١٩٥٦ ويلاحظ ان نسبة زيادة معدل الدخل للشخص الواحد كانت على العموم اقل من نسبة زيادة مجموع الدخل ، وذلك بسبب الزيادة الكبيرة في عدد السكان في هذه المدة .

The Development of manufacturing Industry
in Egypt Israel and Turkey
United Nations Publication . Sales No. 1958 II B. 4. $ 1.50

تقدم الصناعة في مصر واسرائيل وتركيا

تبحث هذه النشرة في التقدم الصناعي في مصر واسرائيل وتركيا . وهذا البحث هو جزء من برنامج الأبحاث الإقتصادية عن الشرق الأوسط الذي اقترحه الأمين العام للامم المتحدة ووافقت عليه الجمعية العمومية للامم المتحدة .

ويظهر من هذه النشرة ان الصناعة في هذه البلدان الثلاثة قد تقدمت كثيراً . وقد ذكر ان النشرة لم تتناول التقدم الصناعي في بلدان الشرق الاوسط الاخرى اما لقلة الاحصاءات او لأن صناعاتها ما تزال في بدء التقدم .

والغرض العام من هذا البحث هو تحليل مجرى تقدم الصناعة وطابعه ومساهمته في النمو الإقتصادي في كل من هذه البلدان ، والمشاكل التي تجابه الصناعة في كل منها .

International Tax Agreements Volume VII
United Nations Publication. Sales No. 1958 XVI. 1 $ 2.50

الاتفاقات الضرائبية الدولية

تحوي هذه النشرة قائمة بالإتفاقات الدولية المتعلقة بالضرائب مدونة حسب التاريخ التي تمت فيه ومصنفة حسب الموضوع ، ونصوص هذه الإتفاقات . وهي السابعة في سلسلة الإتفاقات الضرائبية التي تهدف الى ازالة تكرر الضرائب ومنع التهرب من الضرائب .

السنة ١٢ - الجزء ٣ ايلول ١٩٥٩



مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

رئيس التحرير : سعيد حماده

فهرس



الناشرون

دار الكتاب

بيروت - لبنان

«الابحاث» مجلة تصدرها جامعة بيروت الاميركية في اربعة اجزاء في السنة. وهي منبر حر للمفكرين بصرف النظر عن النزعة الفكرية التي يمثلونها. ولهذا فان لجنة التحرير لا تتقيد في اختيارها للمقالات الا بالاعتبارات العلمية الصرفة؛ فهي تنظر الى الابحاث من حيث مستواها العلمي ولاتتبنى آراء مؤلفيها الذين يتحملون وحدهم مسؤولية مايكتبون. وهي تدعو رجال الفكر والاختصاص للتعاون معها في جعل هذه الابحاث خير ما ينتجهُ الفكر في الشرق العربي.

لجنة التحرير

سعيد حماده (رئيس التحرير) ، **جبرائيل جبور ، نبيه فارس ، حبيب كوراني ، انيس فريحة ، زكن شخاشيري ، جان موهج ، نقولا زياده** ، (اعضاء) .

عنوان المخابرات

المخابرات التحريرية : **الدكتور انيس فريحة**
الجامعة الاميركية ، بيروت — لبنان

المخابرات الادارية والمالية : **دار الكتاب**
ص. ب. ١٢٨٤ — بيروت — لبنان
شارع الحمراء — تلفون : ٢٥١٠٢

بدل الاشتراك السنوي

في لبنان وسوريا : ٩ ليرات
في الخارج : جنيه استرليني او ما يعادله



مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

السنة ١٢ - الجزء ٣ رئيس التحرير: سعيد حمادة ايلول سنة ١٩٥٩

ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة السنة الاخيرة من دراسة التاريخ العربي وغيره في عصر المماليك

للدكتور نقولا زيادة

يستغرب الباحث في عصر المماليك الاهمال الذي لقيته هذه الفترة من التاريخ الاسلامي على ايدي المشتغلين بالتاريخ في العقود الاخيرة . فنحن نجد عشرات من المؤرخين والجماعين تناولوا العصور الاسلامية الاولى في كتب ومقالات وتراجم ، ولكن العصر المملوكي ظل على هامش تفكيرنا التاريخي. ولسنا ندري ما الذي ادى الى هذا الاهمال او التهاون ! اهو نفور من التسمية ؟ ام هو اعتقاد الكثيرين ان هذه الفترة كانت فترة تأخر وانحطاط، واذن فلا حق لها ان يعنى بها ؟ على اننا نود ان نشير هنا الى الجهد الكبير الذي بذله المستشرقون في درس تاريخ مصر وديار الشام في عصر المماليك . ونود ان ننوه بفضل المشتغلين بالآثار ، وخاصة بالفن

ومـل ـ

الاعشى او نهاية الارب وم ...

تاريخاً وحسب ، ولكنها من كل شيء وفي س ي

المملوكي في ثلاثة امور – الوثائق التي حفظتها لنا ، وما تقدمه من م .

واقتصادية اذا تمكنا من تنقيتها مما يخص قروناً خلت قبل المماليك، ووصف النظام

السياسي الذي عاصره المؤلف . ومع ذلك فقد تركناها جانباً ، الا حين يقتضي

الحال تقديم المثل .

- ٢ -

فاذا انتقلنا ، في حدود هذا الاطار الذي رسمناه لانفسنا، الى المصادر الاصلية التي نشرت نشراً **علمياً** لوجدناها ، على قلتها ، على ثلاثة انواع. فالنوع الاول منها حظي بمن بذل من الجهد اكثره ، ومن الاناة اطولها ، ومن المقدرة العلمية اعمقها ، فخرجت الكتب من بين يديه وهي على خير ما يمكن ان تخرج ، وان كان فيها ثمة اخطاء ، فانما هي الاخطاء التي لا بد ان تعرض لها اعمال من هذا النوع ، او انها امور تختلف فيها وجهات النظر. ومن هذا النوع **السلوك للمقريزي وابن الفرات والنجوم الزاهرة والتعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً وتاريخ بيروت لصالح بن يحي** . والنوع الثاني قيض له اناس من اهل الغيرة على العلم ، والمعرفة برجال الفترات التي يدرسون ، ولكنهم لم يكونوا ممن حذق اساليب التحقيق الحديث ، او درب على سبل النشر العلمي الصحيح . فجاءت الكتب التي نشرت على ايديهم صحيحة المادة اصلا ، ولكن ينقصها ما يمكن ان يأتي من الدربة المنظمة من مقارنة النسخ ، ومقابلة المادة بما يضارعها من كتب التاريخ ، كما خلت هذه الكتب من نتاج البحث الجغرافي العلمي الذي يساعد على توضيح التاريخ. ومن هذه **ذيل الروضتين** الذي نشر في القاهرة باسم تراجم رجال القرن السادس والسابع. اما النوع الثالث من هذه الكتب ما قبله ناشره على علاته فلم يخلص الاصل من الاضافات والتعليقات لاسباب قد لا ندريها . ولعلنا قد نظلم العاملين ان نحن تأولنا اسبابها. ومن هذه كتاب **الدر المنتخب في تاريخ ملكة حلب** لابن الشحنة.

- ٣ -

ونود ان نبدأ **بالدر المنتخب** . نريد ان نبدأ به لانه من اقدم هذه الكتب من حيث تاريخ نشره ، اذ ان ذلك كان سنة ١٩٠٩ . والكتاب وضعه اصلا ابن الشحنة المتوفي سنة ١٤٨٥ . ولكن البيروني الذي كان مدرسا في مدرسة خسرو

باشا في اوائل القرن السابع عشر اضاف اليه زيادات كثيرة ، اصبحت جزءاً من النص بتوالي الزمن . فلما جاء يوسف اليان سركيس ونشر الكتاب لم يفصل بين ما كتبه ابن الشحنة ، وما زيد في الكتاب . بل انه تجنب امراً آخر وهو محاولة الاهتداء الى مصادر ابن الشحنة نفسه . ولعله لم يكن يعرف **الاعلاق الخطيرة** لابن شداد ، فلم يستطع ان يقابل المادة المنقولة عنه بالمادة التي زادها ابن الشحنة . فالدر المنتخب الذي بين ايدينا هو في الواقع ثلاث طبقات من المعرفة . الطبقة الاولى من الاعلاق لابن شداد ، والطبقة الثانية ما كتبه ابن الشحنة عن حلب في ايامه ، مع ما زودنا به عن تطور البلد والجوار — فالكتاب ليس تاريخاً لحلب وحدها — بين ايام ابن شداد وايامه . والطبقة الثالثة هي ما اضافه البيروني . ولم يهتم سركيس بان يعرفنا بالاماكن التي تغيرت اسماؤها او اختفت معالمها على توالي الزمن ، الا فيما ندر . وسبيلنا الى معرفة الفرق بين النشر العلمي الدقيق الصحيح هو ان نقابل الترجمة الفرنسية لمدر المنتخب التي نشرها سوفاجيه باسم Les Perles (بيروت ١٩٣٣) بالطبعة العربية . — التحقيق والتدقيق والتعليق والفصل بين الاصل والزيادات ومجاراة تطور المعرفة بين زمن وزمن .

على اننا ، ونحن نعترف لسوفاجيه بالسبق العلمي ، نود ان نذكر انفسنا بان سركيس نشر الكتاب في اوائل هذا القرن ، وهو ولا شك زمن كان فيه النشر المنظم المرتب ، لا العلمي ، في دور التجارب والاختبار . يوم كان الناشرون العرب والمطابع العربية تتحسس طريقها للطبع ، بله التحقيق العلمي والنشر الصحيح . ولكي نرى بعض الفضل حتى في كتاب مثل هذا الذي نتحدث عنه يجب ان نقارنه ببعض اقسام من **صبح الاعشى** الذي اتيح له ما لم يتح لمدر ، او بالطبعات المختلفة لكتب التاريخ وغيرها التي طبعت في القاهرة حول ذلك الوقت .

والذي نود ان نقوله هو ان هذه الفترة التي كانت فترة تجارب واختبارات ، كان يعهد فيها ، حتى في المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية ، الى اهل المعرفة باللغة اصلاً النظر في الكتب وتعهد تحريرها ونشرها . اذ كان المهم ان تضبط الفاظ الكتاب . والضابط الاصلي هو القاموس : قاموساً وعروساً وجاسوساً ومحيطاً وصحاحاً .

وقد يعرج المصحح على ياقوت مسترشداً او مستعجماً . ولذلك لا نستغرب ، ولا يجوز ان نستغرب ، ترك المصحح ، ولا نستطيع ان نسميه المحقق ، اسماء بعض الاعلام — رجالا واماكن — بتراء اي مصورة بدون نقط . فالمصحح الذي لم يتبين معنى « البعنة » وهو يتحدث عن مملكة صفد يصورها في **صبح الاعشى** «البعنة» ويترك للقارىء اللبيب ادراك كنهها .

— ٤ —

وقد كان حظ بيروت في ناشر **تاريخها** لصالح بن يحيى خيراً من حظ حلب في ناشر **درها** ، ولو كان منتخباً . فقد تم النشر سنة ١٩٢٦ ، وعامل الزمن هنا كان في مصلحة الكتاب ومحققه . ونشر الكتاب على يد لويس شيخو بعد ان كان قد عانى الكثير من قراءة النصوص والتعرف على البلاد وتفهم الجو التاريخي الذي وضع فيه صالح بن يحيى **تاريخ بيروت** . وانما اخترنا هذا الكتاب كما اخترنا **الدر المنتخب** ، رغم اننا اعتبرنا تواريخ المدن مما يخرج عن نطاق بحثنا ، لاننا اردنا ان نتتبع تطور النشر في ناحية ضيقة مقيدة لتبيان ما طرأ على هذا النوع من العمل العلمي من تطور . **فتاريخ بيروت** يعتمد ، من حيث مصادره ، على وثائق بيتية ، اذ انه تاريخ لآل بحتر امراء الغرب. ومع ذلك فقد جرب لويس شيخو ان يشرح الكتاب ليرى فيما اذا كان ثمة ما يمكن ان يرجع الى مصدر آخر . وهكذا فبينما نرى سركيس يتجنب هذه المشكلة اطلاقاً وهي تعرض نفسها بين يديه — الا فيما استعمله من خط صغير وخط كبير — نجد شيخو يثيرها اثارة قوية.

ومع ذلك فلم يسلم شيخو من اخطاء . ومن احب ان يرى مدى ذلك فليراجع تصويبات سوفاجيه المنشورة في (IFD, Vols. VII-VIII, 1937-8, pp. 65-82).

ونحب ان نشير هنا الى ان نشر الدكتور سامي الدهان لابن العديم **زبدة الحلب من تاريخ حلب** (صدر منه الآن جزءان — دمشق ١٩٥١ — ١٩٥٤) يمكن ان يعتبر من خير ما نشر في تواريخ المدن . الا ان ابن العديم توفي سنة ١٢٦٠ ، ولذلك فهو لا يؤرخ للفترة التي نحن معنيون بها الآن .

وقد سلخ صديقنا الدكتور محمد مصطفى زياده سنوات طوالا من عمره وهو مكب على تحقيق **السلوك في تاريخ دول المملوك** المقريزي. والمقريزي يكاد يكون مؤرخ هذه الفترة ، وهو الذي وضع فيها **الخطط والسلوك واغاثة الامـة** . وقد نشر القسم الاول من الجزء الاول من السلوك سنة ١٩٣٤ ، وظهر القسم الثالث من الجزء الثاني سنة ١٩٥٨ ، ومعنى هذا ان ربع قرن من الزمان مر بين اول قسم وآخر قسم . ونحن عندما نساير الدكتور مصطفى زياده في هذا التحقيق والنشر العلمي نجد انه افاد من اخطائه واخطاء غيره ، وتحس الحاجة تدريجاً الى ما يجب ان يضاف او يحذف . فهو بعد ان عرف بيسان في القسم الاول من الجزء الاول بانها « مكان بين الشام وعسقلان » ، ناقلاً ذلك عن ياقوت ومعترفاً له بذلك نجده اكثر دقة فيما بعد . ولسنا نعزو مثل هذا الى تقاعس قعد بالاستاذ عن اللحاق ببيسان ، ولكن الشيء الذي يمكن ان يعزى اليه بعض السبب هو ان الدكتور مصطفى زياده لم يزر ديار الشام وهي البلاد التي يقع كثير من حوادث السلوك فيها ، ولعله لم تصل يده الى خرط دقيقة للمنطقة آنذاك ، فاعتمد ياقوت . لكن الاقسام المتأخرة من الكتاب تدل ، ان دلت على شيء ، على ان هـذه السنوات الطوال التي انفقها الاستاذ في تحقيق السلوك ونشره لم تذهب سدى بل كانت نعمة وبركة على المشتغلين بتاريخ العصر المملوكي . ونود بهذه المناسبة ان نذكر ان كثيرين ممن يجهلون او يتجاهلون هذه الخدمة وهذا الفضل ينالون من الدكتور مصطفى زياده، او يخيل اليهم انهم ينالون منه ، اذ يقولون عنه انه لم يؤلف (وقـد سمعنا بانفسنا البعض يرميه بمثل هذا غير مرة) . ولو انهم انصفوا لما تشدقوا بذلك ولاعترفوا بالفضل لصاحبه . فرب تحقيق رسالة صغيرة ، بله الكتاب الكبير الضخم ، اقطع للوقت واذهب للجهد واحوج الى البصر ، من وضع كتاب .

والذين قرأوا السلوك في حلته العلمية الجديدة وقابلوه بالترجمة الفرنسية والتعليقات التي وضعها كاترمير (Quatermere – باريس ١٨٤٥) ، ادركوا ما كسبناه لان

الدكتور مصطفى زياده انصرف الى السلوك فنشره . فقـــد ضبط النص وزاد الحواشي ونقل النصوص المساعدة وضمها الى الكتاب في ملاحق .

— ٦ —

وشغف الدكتور قسطنطين زريق في اول عهده بالتعليم في الجامعة الاميركية بعصر المماليك ، فادار نظره فيما حوله ، فرأى ابن الفرات يتشوق الى الخروج الى العالم ، فلبى نداءه . وبدأ ، على غير عادة غالب المحققين والناشرين ، فنشر الجزء الاخير من الكتاب (التاسع) اولا (بيروت ١٩٣٦) ، ثم تلاه الجزء الثامن ثم السابع (صدر الاخير سنة ١٩٤٢) ، ثم حالت ظروف دون اتمام العمل . وها هو قد عاد الى حقل التعليم ونحسب ان اتمام نشر ابن الفرات يراوده ، ونأمل ان يعود الدكتور زريق الى غرامه القديم فيتحفنا بالاجزاء التاليـة من الكتاب ، او بعضها على الاقل . فنحن نستطيع ان نستغني عن تاريخ العصور المتقدمة ، المأخوذة بكاملها عن الطبري ومعاصريه ، ونكتفي بتاريخ العصور المتأخرة حيث كان المؤلف معاصراً للحوادث او قريباً من زمنها او نرى انه اعتمد على مصـــادر لم تصل الينا .

هل ثمة ميزة خاصة لنشر ابن الفرات وتحقيقه ؟ وبعبارة اخرى هل العمل الذي قام به الدكتور زريق يمثل مرحلة جديدة في سيرنا في التحقيق العلمي لكتب التاريخ؟ هل افاد من اخطاء السابقين ، ومن نتاج البحث التاريخي الذي قام به المستشرقون وغيرهم في الفترة التي نحن بصددها ؟ هذه هي المسألة التي تحتاج الى جلاء .

تاريخ ابن الفرات وصل الينا في نسخة فريدة ، يرجح انها نسخة المؤلف بالذات . ولذلك لم يكن ثمة مجال للتثبت من نص أُشكل امره برده الى غـيره من النسخ . فاضطر الدكتور قسطنطين زريق ، في نشره الكتاب ، الى معالجة هذه القضية بالعودة الى السلوك والنجوم الزاهرة وبدائع الزهور . وهذه المراجع تمكن الناشر من الاستيثاق من الحوادث لا من النص الا فيما ندر . وبسبب هذه الصعوبة فقـــد اضطر الدكتور زريق ان يضع نقطاً في مكان الكلمات .

على ان المهم هو ان نشر ابن الفرات يعتبر مرحلة من مراحل النشر العلمي . فالدقة والامانة والافادة من خبرة الآخرين امور ظاهرة في العمل . ورأى الدكتور زريق ان لا يفسر المتن فهو يقول «ولم اتكلف الشروح المطولة والتعليقات التفصيلية التي يذهب اليها بعض الناشرين » . ونحن لا نتفق معه في هذا الامر . ذلك بان التعريف بالمواقع جغرافياً وبالاحداث زمنياً امر نحن باشد الحاجة اليه . فالمعاجم الجغرافية والتاريخية ومعاجم الرجال الحديثة قليلة بين ايدينا ، ولذلك فلن يتاح للقارىء الذي يحتاج الى مثل هذه المعلومات الاضافية المساعدة ، فرصة الرجوع الى ما يسمى بالانكليزية Companion وبذلك يحصل على مثل هذه الفوائـــد . ومن ثم فان الشروح هذه تصبح ضرورية .

— ٦ —

وفي سنة ١٩٥١ نشر محمد بن تاويت الطنجي « **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقاً** » . واذا تجاوزنا عن الورق والحرف ، فالكتاب ، في رأينا ، نموذج جيد للنشر العلمي . فهو بعد ان تحدث عن نسخ التعريف وضبط انسابها ووصفها على ما يفعل المحققون ، عمد الى النص فاثبته ثم طبعه . والى هنا والامور عادية في ميدان التحقيق العلمي . ولكن تعليقات الطنجي هي التي تلفت النظر . فهوامشه المتعلقة بالامكنة فيها تعيين دقيق للمكان ، وضبط لاسمه بالحركات ، وظبط لاسمه بالحروف الافرنجية احياناً . ما هو مثل ذلك ، يقال عن الهوامش الاخرى . واذا تذكرنا صعوبة تلفظ المشارقة باسماء المغرب ، وصعوبة الاسماء المشرقية على اهل المغرب ، ادركنا الخدمة التي قدمها الطنجي في هذه التعليقات المفصلة الموضحة التي تملأ صفحات التعريف .

وقد نشرت دار الكتب المصرية النجوم الزاهرة ابتداء من سنة ١٩٢٩ (صدر الجزء العاشر سنة ١٩٤٩) . ولنقصر ملاحظاتنا على ما يتعلق بفترة المماليك ، من الاجزاء التي ظهرت . واول ما نود ان نسجله ان الاساليب والمصطلحات المتعارف عليها بين الناشرين طبقت هنا تطبيقاً دقيقـاً من حيث الاقواس والمعقوفات الخ

لكن التعليقات هي التي تخيب املنا قليلاً . فالكتاب فيه العشرات ، ان لم تكن المئات ، من التعليقات على الشكل التالي « التكملة عن السلوك للمقريزي ١٠/١١» او «وتصحيحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك والمنهل الصافي والدرر الكامنة». وهل جربت يا اخي ان ترجع الى مثل هذه المظان ، حيث لا مجلد ولا صفحة ، لتتأكد من التصحيح . لكن الكتاب فيه تعليقات وافية مفيدة (١٠/٢٦٣ تعليقة ٢) و (١٠/٣١٩ تعليقة ٦) .

— ٧ —

وقد تولى الكوثرى ذيل الروضتين لابي شامة فاخرج نصه من نسختين عارضهما، ثم عني العطار بنشر الكتاب فظهر باسم تراجم رجال القرنين السادس والسابع (القاهرة ١٩٤٧) . والسؤال التي يخطر لنا الآن هو الى اي حد يعتبر هذا النشر علمياً ؟ الواقع انه نشر فيه محاولة العلم لكن العمل قصر عما كنا نرجوه منه، وذلك بالنسبة الى ما نشر من مثل هذه الكتب في هذه الفترة. ولكن الواقع ان الكوثرى، وهو على ما يبدو لنا من اهل الاطلاع الواسع والمعرفة المكدسة في تاريخ الاسلام وعلومه ، لم يكن قد حذق سبل النشر العلمي على نحو ما عرفه مصطفى زياده وقسطنطين زريق وسامي الدهان وغيرهم ممن مر بنا ذكرهم . ولذلك فالذي عمله الكوثرى هو التثبت من النص اجتهاداً لا تحقيقاً ، ونشره طبعاً لا تدقيقاً . وكل ما فعله لتعريفنا بالمؤلف هو انه نقل بعض ما قاله فيه الاقدمون مضموماً بعضه الى البعض الآخر ، بحيث كان هذا المضموم مبتوراً . فالكوثرى مثلا يقول «ولم يزل عليلاً من هذا الضرب الى ان توفي في ١٩ رمضان سنة ٦٦٥ — **وما في تذكرة الحفاظ** سهو **من الطابع**» (المقدمة ص٢) . فهذا الذي يقبله الكوثرى على انه تاريخ وفاة ابي شامة ، انما يقبله دون تعليل مفصل واضح ، فعبارة **سهو من الطابع** لا تكفي . ولسنا نريد ان نتقصى هنا التصويبات والتعليقات والحواشي المختلفة التي اوردها الكوثري لنظهر ما فيها من الاضطراب . فذلك امر يطول . ولكن نورد على سبيل المثال تعليقة (١) ص (٥٩) . فقد جاء في النص « بعدها باء معجمة

بواحدة من تحت ....» فعلق الكوثري في الهامش «جعله ابن خلكان بالمثناة التحية، ولعل الصواب هو ما هنا » . فقد رجح الناشر رواية صاحب الذيل ، لكنه لم يوضح لنا الاساس . فهلاَّ رجع الى نصوص اخرى او كتب غير الذيـــل وابن خلكان ؟ وفي تعليقة في آخر ص ١٠٥ اضافات من مرآة الزمان يصعب الرجوع اليها اذ لم يشر الى ورقة او سنة ، وثمة تعليقة في ص ١٩٠ ترجع قيمتها الى انها تبين تماماً التفكير الذي كان الكوثري يعمل على ضوئـه ، وعجزه ، ولو بعض العجز ، عن التحقيق الذي نريده .

— ٨ —

ننتقل الآن الى الكتب الموضوعة ، وهي قلة . وقد ابدينا من قبل استغرابنا لقلة ما كتب عن عصر المماليك ، وهي فترة هامة جداً في تاريخ مصر والاسلام . ويبدو مجال الاستغراب اوسع متى تذكرنا كثرة ما كتب — نسبياً — عن العهد الصليبي ، وهما فترتان تلت المملوكية منهما الاخرى حالا .

وبين يدينا كتابان نود ان نبدأ بهما وهما **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** تأليف محمود رزق سليم (صدر الى الآن جزء اول في قسمين — القاهرة — ١٩٤٧ والقسم الاول من الجزء الثاني — القاهرة — ؟) .

والثاني **اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء** (٧ اجزاء) وضعه محمـد راغب الطباخ (حلب ١٩٣٢ وما بعدها) .

ولنبدأ بكتاب الاستاذ محمود رزق سليم . ان الكتاب باقسامه الثلاثـــة التي ظهرت موزعة من حيث الموضوعات كما يلي :

الجزء	القسم	الصفحات	الموضوع
١	١	١ — ٨٠	تاريخ مجمل وتراجم للسلاطين
١	١	٨٠ — ١١٣	نظم عصر المماليك باجمال
١	١	١١٣ — ٣٣٤	تراجم نواب السلطنة



ولكن عندما نفرغ من قراءة هذا الكتاب او بعض اجزائه، ثم نطبقه، ونحاول ان نقيم العصر او المؤلف او المترجم له او الموضوع الذي كتب عنه وفيه، نجد اننا حيث كنا قبل قراءة هذا الكتاب او الجزء المعني منه. فالمعلومات التي يجمعها الاستاذ محمود رزق سليم بين دفتي كتابه هي المعلومات نفسها التي يمكن ان نعثر عليها في كتب الاقدمين. وكل ما فعله المؤلف هو انه كفانا مؤونة الرجوع الى تلك المظان الاصلية.

فهل هذه هي مهمة المؤرخ؟ كنا نريد ان نحصل على تحليل عام للكتب توضح الاتجاهات التي تبدو من خلال ما وضع في فترة تتجاوز القرنين ونصف القرن. كنا نحب ان نتعرف الى وجوه اهل العلم — واهل السياسة والحرب والقضاء — على انها وجوه طبعت — او طبع بعضها على الاقل — الحياة في ذلك العصر بطابع خاص. كنا نود ان نعثر على تقييم للعصر من حيث قيمته الفكرية والعلمية. كنا نطمع في الوقوف على العوامل المختلفة — سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية داخلية وخارجية — التي جعلت الحياة الفكرية في هذه الفترة تتخذ هذا الشكل وتنتج هذا النوع.

هذه هي الامور التي بحثنا عنها في كتاب يتحدث — مبدئياً — عن الانتاج العلمي والفكري في عصر المماليك، فلم نجد منها شيئاً. ولسنا هنا في معرض اللوم او الانتقاص من الجهد، ولكن الذي نقوله ان هذا الكتاب هو من نوع جمع المعلومات وضمها بعضها الى بعض. فهي مواد خام تدور بها دفات كتاب لا اكثر ولا اقل.

وعلى غرار هذا الكتاب كتاب الطباخ الذي سماه اعلام النبلاء. (والقسم الذي يتناول فيه المؤلف الفترة المملوكية هو من ص ٢٧٥ من الجزء الثاني الى ص ١٥٨ من الجزء الثالث). وقد ادخلناه في عداد الكتب التي نتحدث عنها، مع انه تاريخ مدينة، لسبب بسيط وهو انه، في الواقع، تاريخ لشمال سورية كله على وجه التقريب. ولكن ما الذي فعله الاستاذ الطباخ؟ وضع امامه كتب الاقدمين ونقل منها صفحات كثيرة دفعة واحدة (دون ان يشير في اكثر الاحيان الى الجزء

والصفحة) ثم اخرج منها ما اعتبره « كلا » تاريخياً . وفعل مثل ذلك لما وصل الى التراجم .

فهل كتب تاريخاً ؟ وهل حلل او صور او نبه او بين او اوضح ؟ كل هذا مفقود في الكتاب .

وننقل الى كتاب ثالث وضع في العشرينات من هذا ونشر في دمشق هو **خطط الشام** للاستاذ محمد كرد علي (ستة اجزاء ـ دمشق ١٩٢٥ وما بعدها) . والاجزاء الثلاثة الاخيرة تاريخ البلاد اقتصاداً وصناعة وتجارة وزراعة واجتماعاً ودينياً وفكراً وادبا والفترة المملوكية محلها في الجزء الثاني ص ١٣٥ ـ ٢١٤ والمؤلف ، رحمه الله ، واسع الاطلاع ، يستمد معلوماته التاريخية من مئات الكتب باللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية وغيرها في بعض الاحيان . ومن هنا كان اقدر على الاحاطة من الاستاذ محمود رزق سليم مثلاً . لكن الذي فعله المرحوم الاستاذ كرد علي شبيه بما فعله الاستاذ سليم من حيث انه جمع لنا وثائق ووجهات نظر تاريخية وضمنها كتابه دون ان يعمد الى التحليل التاريخي الدقيق الذي يؤدي الى رسم صورة واضحة بينة . وكثيراً ما يضع روايتين او اكثر الواحدة الى جانب الاخرى دون ان يرجح احداهما او يشير حتى الى شيء من ذلك . والكتاب مليء بهذا .

وقد يستطرد احياناً فيبدي رأيا . لكن غالب هذه الاراء شطحات وتأملات والام وآمال هي بالمذكرات وكتب الخواطر اولى منها بكتب التاريخ . وهكذا فانك تخرج من قراءة الكتاب وفي نفسك معلومات ومعرفة ، ولكنها ان لم تكن مشوشة ، فهي على الاقل تحتاج الى اطار يحيط بها لتعرف موقفك منها وموقفها منك . وقد تكون القطعة المقتبسة طويلة ، وليس ما يدلك على نهايتها الا حرفي «اه» في آخرها ، ثم انت لا تدري اين تجد هذه العبارة لتستوثق من صحة النقل او الترجمة او التأكد من ان الذي انتزع من العبارة الاصلية لم يحمل غير الذي عناه المؤلف .

وميزة كرد علي على الطباخ وسليم ، كما ذكرنا هي انه فتح لنفسه ، ومن ثم للقارىء ، نوافذ على ما كتبه المستشرقون عن الموضوعات لهم فيهامشاركات هامة لا يستغني عنها من يريد ان يعرف تماماً ما حدث وكيف حدث ولماذا حدث .

- ٩ -

اود ان اعرض الآن الى كتاب هام حاول ان يؤرخ للمماليك (البحرية) على الطريقة الحديثة . وهو كتاب **دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص** للدكتور علي ابراهيم حسن (القاهرة ١٩٤٤) .

يتناول المؤلف الدور الاول من العصر المملوكي اي من ١٢٥٠ - ١٣٨٣ م (٦٤٨- ٧٨٤ هـ) . ويمثل الكتاب جهداً علمياً كبيراً ، ولذلك فاننا نسمح لانفسنا ان نقف عنده وقفة فيها بعض الطول . والمؤلف يطلع علينا (ص١٧ - ٢٤) ببحث في مصادر الكتاب ، يتحدث عن المصادر العربية المخطوطة ، والمصادر الاوروبية التي اعتمدها في وصفه هذا الكتاب . ومما هو جدير بالذكر انه حلل المصادر العربية وقيمها بما قد يكون فيه الكفاية ، لكنه اشفق على القارىء العربي ان يجهده فاكتفى بالاشارة الى الكتب الاوروبية اشارة مقتضبة ، وكنا نحب لو انه اعتنى بها عناية اكبر .

بعد هذا العرض الموجز ينتقل المؤلف الى بحثه التاريخي فيتحدث عن التاريخ السياسي للفترة (ص ٢٨-١٧٨) ثم يخص نظام الحكم بما تبقى من صلب الكتاب (ص ١٧٩-٣٧٨) . وفي خاتمة الكتاب يضع جدولاً بمصادره ، وكشافاً للاعلام واسماء الوظائف والدواوين والضرائب والاصطلاحات الاقتصادية والبلدان والادوات والملابس المستعملة واماكن حفظها ، وفهرساً باسماء الوثائق والجداول والخرائط والصور .

والذي يمكن ان يقال عن هذا الكتاب هو انه يمثل جهد المؤلف في جمع الحقائق وتمحيصها وشرحها . ولكن اهم من هذا كله هو عرضها بشكل بناء تستطيع ان تسير فيه على هدى . فالفكرة واضحة ، والكتاب احكم تخطيطه قبل البدء في

وضعه . وهذا ما يضعه في مرتبة خاصة بالنسبة الى الكتب التي عرضنا لها من قبل.

ولكن ثمة ثلاثة امور نود ان نلفت النظر اليها في هذا الكتاب . اولها ان المؤلف عالج موضوعه ، بطبيعة الحال ، معالجة عامة ، ولذلك فقد حرم لذةالتعمق. لقد اهتم بعصر الناصر محمد بشكل خاص ، وقد اتضح لنا هذا العصر بالنسبة الى المماليك البحرية اذ وضع في اطاره المناسب . ولكن المؤلف ، مع ذلك ، جرب ان تكون معالجته المماليك البحرية معالجة شاملة ، ومن هنا تعرض الى شيء من السطحية ، الا انه شيء قليل . وثاني هذه الامور ، وهو متعلق بالاول ، ان المؤلف حاول ان يعرض لكل ناحية من نواحي التنظيم في الفترة التي عني بها . وهذا ادى الى ان تكون دراسته وصفية تخلو في احيان كثيرة من الاستنباط والاستنتاج والتعليل . صحيح قد تكون نظم الحكم المملوكية مما تقتضي الوصف لا التعليل ، ولكن الانتشار على الكثير يدعو حتما الى التسطح . والامر الثالث هو ان المؤلف فاتته فرصة الاهتمام بالعامل الاقتصادي في تطور الدولة المملوكية من حيث السياسة الداخلية والخارجية .

ولعلي ابراهيم حسن كتاب **مصر في العصور الوسطى**(القاهرة ١٩٤٩) وهو جهد موفق من حيث انه يدرس الفترة دراسة عامة شاملة ، وبطبيعة الحال فان نصف الكتاب تقريباً يعالج المماليك . والذي يمكن ان نقوله هو ان المؤلف تجنب هنا بعض الهنات التي وقع فيها في كتابه الآخر .

ولمحمد جمال سرور كتاب قيم جداً اسمه دولة بني قلاوون (القاهرة ١٩٤١). وقد جلا في هذا الكتاب تاريخ مصر في نحو قرن من الزمان (القرن الرابع عشر) جلاء واضحاً . فالقسم الاول عرض فيه تاريخ البلد في ايام هذه الاسرة ، وما تم في ايامها من زيادة في سلطة الامراء ، وتركيز السلطة في ايدي خواص السلطان . وتناول العلاقات الخارجية في قسم ثان فوضح ما كان بين مصر واليمن والحجاز والحبشة والهند والمغرب وما قام بين المماليك والمغول وارمينية والصليبيين وغيرهم من حروب وعلاقات . ولا شك عندنا في ان القسم الثالث الذي تناول فيه المؤلف

حالة مصر الاقتصادية في ذلك من افيد وافضل ما كتب عن مصر صناعة وزراعة وتجارة . ويجب ان نذكر ان حديث المؤلف في الناحية الاقتصادية انما هو وصفي لا تحليلي .

- ١٠ -

ثمة كتب قليلة تعالج شخصيات ممتازة برزت في العصر المملوكي ، وقد كنا نأمل لو ان الدراسات التي من هذا النوع كانت اكثر . فهناك كتاب **الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره** (القاهرة ١٩٣٨) تأليف محمد جـمـال سرور **وابن تيمية حياته وعصره – اراؤه وفقهه** (القاهرة ط ٢–١٩٥٨) لمحمدابوزهرة.

ومؤلف الظاهر بيبرس رمى من كتابه الى غرضين الاول توضيح سيرة الملك الظاهر والثاني دراسة حضارة مصر في عهده . والذي نريد ان نقرره هو ان المؤلف نجح في المطلب الاول نجاحاً فيه مدعاة للفخر . امـا المطلب الآخر ، اي دراسة حضارة مصر في عهد الملك الظاهر فقد كان حظ النجاح فيه اقـل . وسبب ذلك ، فيما نعتقد ، هو انه من الصعب ان نقتطع فترة قصيرة هي ربع قرن وبعض ذلك ، ونتحدث عن التطور الحضارى فيها متخذين السنوات التي قضاها بيبرس سلطانا على على مصر اساساً لذلك . فالتحدث عن المعارك والحروب والقتل والقتال والمؤامرة والمتآمرين متيسر في حدود زمن وسنين . ومثل ذلك يمكن ان يقال عن «الشخصية» – شخصية الظاهر في هذه الحالة . ولكن الصناعات والتجارات والفنون والعلوم والاداب وما الى ذلك ، فليس مما يمكن اقتطاعها لفترة قصيرة ، والا كان ذلك مصطنعاً . وهذا ما يبدو في معالجة محمد جمال سرور لحضارة مصر في عصر بيبرس.

وهناك امر آخر نود ان نلفت النظر اليه في هذه الترجمة ، وهو روح الاعتذار التي تتصف بها . اعتذار عن بيبرس وعن الاعمال التي يمكن ان تدينـه (راجع مثلاً ص ١٧٣) .

ووضع ابو زهرة كتابه عن ابن تيمية . وابن تيمية ان لم يكن المع الشخصيات في العصر المملوكي فهو من المعها قطعاً . فهو فقيه عالم مجتهد . ولكن فوق ذلك

كله فقد كان رجلاً ، بكل ما في الكلمة من معنى . وقد يختلف الناس في منزلته في الاجتهاد ، وقد يختلفون في قيمته كعالم ، وقد لا يرضى البعض به فقيها ولكن رجولته لا يمكن ان يرقى اليها شك . فقد كان روحاً تدفع ، وكان مخلصاً اميناً لفكرته . وكان شجاعاً في ابداء رأيه . وان رجلاً يتحدى السلطان ، ويقضي نحو نصف عمره الواعي في السجن دون ان يتراجع عن رأي ، لا يمكن ان يكون الا موضع الاكبار واجلال .

ونحن نرى ان ابو زهرة وضع شخصية ابن تيمية توضيح معجب بالرجل. ويسر له ذلك « ان سيرته نيرة مبسوطة مذكورة ، ذلك بان تلاميذه الذين اخلصوا له في حياته بعد وفاته ، تقصوا حياته ، وبسطوا الوقائع التي نزلت به ، والتي اعترك فيها مع غيره ، وبعض اولئك قصوها علينا قصا واقعياً موضوعياً ، ولم يضفوا على الاخبار بمبالغات الخيال ، ذلك لانهم شاهدوا وعاينوا ، فاكتفوا بتدوين شهادتهم وعيانهم .»

لكن ابوزهرة وجد صعوبة كبيرة في تحديد شخصيته العلمية . فهو يقول : « ولكن اذا كان تعرف شخصيته الانسانية من وقائع سيرته سهلاً يسيراً ، فان امر آخر يعترضنا في تعرف شخصيته العلمية ، اذ ان تعرفها صعب عسير ، بل اصعب من تعرف الشخصية العلمية للأئمة السابقين ، كالامام ابي حنيفة ، والامام مالك وغيرهما ، لان العلم في عهدهم كان يؤخذ بالتلقي ، اذ انه كان في الصدور ، ولم يخرج الى الكتب والسطور ، فكان من السهل ان تعرف كيف تكونت شخصية الامام العلمية لاننا نتتبع الشيوخ الذين التقى بهم ومناهجهم ، فمعرفة الشيوخ تسهل معرفة ما تلقاه ، ومن معرفته ، ومعرفة ما انتج هو نستطيع ان نعرف مقدار الاثر العلمي الذي تركه ، ذلك بان العالم الحق هو الذي يتغذى مما تركه من سبقه ، ويقدم غذاء جديداً لمن يجيء بعده .

«اما ابن تيمية فقد جاء في القرن السابع والمذاهب مدونة : والسنة مبسوطة في كتبها ، والعلوم المختلفة قد دونت فهي موسوعات ضخمة ، فكل العلوم من فلسفية

ودينية ولغوية وتاريخية قد دون ، فلم يعد من السهل معرفـة الشيوخ الذين تلقى عليهم : لانه لا يتلقى فقط من الاشخاص الاحياء ، بـل يتلقى من الذين سبقوه باجيال ، بالكتب التي اورثوها الناس ، ورب كتاب يقرؤه الشادي في طلب العلم فاحصاً مستوعباً يوجهه اكثر من معلم يوقفه ويقرئه .»

ويضاف الى ذلك ان ابن تيمية لم يهتم بناحية واحدة فقط من نواحي المعرفـة الاسلامية . ويقول ابو زهرة في ذلك « اما ابن تيمية فجولاته في الفقه جعلته فقيـه عصره ، وجولاته في علم الكلام جعلته ابرز شخصية فيه، وتفسيراته للقرآن الكريم، ودراسته اصول التفسير ووضعه المناهج لها ، جعلته في صفوف المفسرين ، وله في كل هذه العلوم آراء مبنية على فحص ودراسة ، ويعد اول من جهر بهـا ، وان كان يقول انها مذهب السلف وليست بدعا ابتدعه ، ولا بديئاً ابتكره ، وانمـا هي رجعة الى حيث كان الاسلام في ابان مجده ايام كان غضاً لم تلق عليه السنون غبار التقاليد والنسيان » .

وبعد هذا ينصرف المؤلف الى حياة ابن تيمية فيتحدث عنها ، ويصف العصر الذي عاش فيه والنزعات التي بدت في تلك الفترة من التاريخ (ص ١٧ – ٢٠٩) وان كنا نأخذ على ابو زهرة شيئاً في هذه المعالجة فاننا نأخذ عليه الترتيب الذي لجأ اليه . فقد عرض للرجل اولا ثم تناول العصر الذي عاش فيه ثم الفرق الاسلامية التي جادلها ثم التصوف في عصر ابن تيمية . وكنا نود لو انه اخـذ بترتيب آخر فتناول العصر اولا وعرض احداثه وميزاته . ثم وضع الرجل في الاطار المناسب له . فذلك في نظرنا خير وابقى . والمأخذ الآخر الذي يمكن ان يؤخذ على المؤلف هو انه كان في كتابته عن ابن تيمية مبشراً مدافعاً لا مؤرخاً موضوعياً . ويبدو هذا بشكل خاص في القسم الثاني الذي تناول فيه اراءه وفقهه ، وعلى التخصيص في درسه لكتب ابن تيمية . ولنذكر على سبيل المثال تحليله لكتاب « الجواب الصحيح » (ص٥١٤ – ٥٢٠) .

ونحن اذا تجاوزنا هذا الامر وجدنا ان ابو زهرة انصف ابن تيمية الفقيه العالم

صاحب الفتاوى المؤلف : انصفه «مجزءاً» ولم ينصفه «كلا» . فنحن نرى في الكتاب ابن تيمية تعالج نظراته او نظرياته او اراؤه واجتهاده في كل موضوع على حدة – وفي كل حالة يعطيه المؤلف حقه ، ويوضح رأيه (اي رأي ابن تيمية) وحتى نجده يستطرد الى اراء اولئك الذين يختلف معهم ابن تيمية فيشرحها، رغبة منه في تبيان ما جاء به فقيه الشام من جديد وما خالف فيه وما اتفق مع غيره . وهذه امور ، ولو انها ادت الى تطويل في الكتاب ، مستحبة ، اذ ان القلة من القراء الذين يعنون بابن تيمية قد يعرفون وجهات النظر الاخرى لمن يختلف الفقيه معهم . ولذلك فقد كان هذا ضرورياً . هذا الذي قصدناه في قولنا ان ابو زهرة انصف ابن تيمية «مجزءاً» . ولكن عندما ننتهي من قراءة الكتاب نسأل انفسنا عن فلسفة ابن تيمية العامة وقواعدها واصولها ، وعندها نشعر ان الرجل لم ينصف «كلا» . وكم كنا نحب لو ان المؤلف الفاضل وضع فصلا آخر ، في مكان مناسب من الكتاب ، تناول فيه ابن تيمية بناء شاهقاً متيناً ، فدلنا على ما فيه من روعة في الفن والهندسة وما فيه من سمو فكري .

– ١٢ –

وقد ظفر ابن خلدون باكبر عدد ممن ارخ له بين الذين اهتموا بالترجمة لاهل الفكر في تلك الفكرة. فقد عالج طه حسين فلسفته الاجتماعية (نشر بالعربية ١٩٢٥) ودرسه محمد عبدالله عنان ، في كتاب ابن خلدون حياته وتراثه الفكري (نشر لاول مرة سنة ١٩٣٣ وطبع للمرة الثانية سنة ١٩٥٣) ودرس ساطع الحصري مقدمته دراسة مفصلة (دراسات عن مقدمة ابن خلدون نشرت في جزئين ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ثم اعاد نشرها بعد اضافة واعادة نظر وترتيب وتبويب سنة ١٩٥٣) . وسار محمد احمد الحوفي « مع ابن خلدون » (القاهرة ١٩٥٢) مسايرة عابرة ودرسه علي عبد الواحد وافي من حيث انه عالم اجتماعي ونشر ابن خلدون منشىء علم الاجتماع (القاهرة ، ؟).

فماذا كان حظ ابن خلدون مع هؤلاء الدارسين والباحثين ؟

نعتقد ان الشرط الاساسي في الترجمة لرجل ما هو مقدرة المؤلف على مصاحبته بحيث يمكنه ان يدرك تفكيره ومعرفته ويجاريه في آرائــه ويسير في فلكه سير رفيق لا سير تابع فحسب . ويجدر بمن يتصدى للكتابة عن رجل ما ان يتعرف الى المسرح الذي لعب فيه الرجل دوره ، وان يكون تعرفه هذا واضحاً صحيحاً. وابن خلدون قلة في الرجال . قام بادواره في مسرح يمتد من الاندلس الى دمشق، عبر الشمال الافريقي ، ويشمل الحجاز . ولو ان دور ابن خلدون مثل في عصر هادىء لكان الامر هينا . لكنه عاش في فترة كانت السياسة فيها قلبا ، وكانت الاحداث تتعاقب بشدة وعنف ، وكانت اجزاء هذا المسرح تعروها هزات يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر . اذن فالزمان والمكان اللذان عاش فيهما ابن خلدون وتعلم وتنقل وعمل و كتب وفكر ودرّس كانا واسعين مضطربين . والاحاطـــة باخبارهما وحالها ليس امراً يسيراً .

ونحن نود ان نعالج الكتب التي بين ايدينا ضمن هذه الحدود التي اقترحنا . ولنبدأ القول بان الحوفي ادرك انه لم يتمكن من معرفة عصر ابن خلدون وسبر غوره سبراً صحيحاً ، لذلك سمي كتابه مع ابن خلدون . واول ما يتأثر به قارىء هذا الكتاب هو ان المؤلف لم يف عصر ابن خلدون حقه ، فلا وضحه ولا يسّر لنا سبل الوصول الى ما يوضحه (ص ٥-٢٢) . فلما جاء الى اراء ابن خلدون اخذ يلخص هذه الآراء ويعلق على كل منها ، وكأنه بذلك جعل كتابه ، او اكثره ، نوعا من المحاورة بينه وبين ابن خلدون . ولعلّ هذا الذي قصده من « المعية » في تسمية الكتاب . ولعلّ الجزء الجيد (نسبيا) الوحيد في الكتاب هو الذي يعرض فيه الحوفي علينا ابن خلدون « الكاتب والشاعر » (ص ١٤١-١٦٢) . ومع ان المؤلف لم يأت بالجديد ، فقد اعطانا فكرة تكاد تكون واضحة عن ابن خلدون من حيث صناعته النثرية والشعرية لا من حيث بضاعته .

اما طه حسين فقد عالج فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . وهي قضية هامــة . ولعلّ طه حسين اول من عرض لابن خلدون « الاجتماعي » من المفكرين العرب المحدثين . ولم يهتم المؤلف بالعصر الذي عاش فيــه ابن خلدون اهتماما تفصيليا ،

ولكنه عني بشخصيته عناية خاصة . فقد وضع اصبعه على بضعه امور هامة منها : ان ابن خلدون كان سياسيا حكيما بارعا (ص ٢٣) وكان فردياً (ص ٢٤) و كثير الاعتداد بنفسه (ص ٢٥) ومتوقد الذكاء سامي الفكر واسع المعرفة راسخها طريف الاراء (ص٢٦) . وينتقل المؤلف بعد ذلك الى فهم ابن خلدون للتاريخ ومنهجه التاريخي (ص٣٠- ٤٨) وخلص من ذلك الى امرين الاول ان المسألة الاساسية في التاريخ فاتت ابن خلدون « فهو لا يعني بالبحث عن المصادر ولا يفحصها مع ان ذلك اول ما يجب على المؤرخ : ولا يهتم للشكل الذي يجب ان يعرض به المؤرخ الوقائع بعد استيفائها مع ما لذلك من كبير اهمية . » (ص ٤٨) والامر الثاني هو « اذا كان ابن خلدون لم يفلح في تقرير طريقة تاريخية ثابتة فانه من الحق ايضاً انه ابتدعها وشرح فيها افكاراً واضحة وصادقة جداً في كثير من المواطن . » (ص٤٩) . ويذهب طه حسين الى تعداد نواح جوّد ابن خلدون في الكشف عنها . وهذه هي التي يتناولها في ص ٧٦-٨١ وهي الظواهر المستقلة عن الاجتماع ، خاصة فيما يتعلق بنظرته الى الدين . ويقول المؤلف في الخاتمة انه اجتهد ان يقدر بالضبط ما استحدثه ابن خلدون وتحرى ما هو مدين به لغيره (ص١٦٥). ونرى ان طه حسين وفق الى توضيح ما اراد .

وممن تناول ابن خلدون محمد عبدالله عنان في كتاب نشر اولا سنة ١٩٣٣ واعيد طبعه سنة ١٩٥٣ ، وقد زاد المؤلف وعدل وعمق بحثه في هذه الطبعة الجديدة . ولذلك فهي التي نعتمدها في هذا الحديث . وعنان شغف بنواح من تاريخ العرب في المغرب والاندلس مدة طويلة ، ولذلك فهو رجل استطاع ان يرى ابن خلدون في اطاره التاريخي الصحيح . وقد وضح الجو الذي عاش فيه الرجل وتنقل ، وهيانا تهيئة صالحة لفهم حياة هذا المفكر الكبير ، بحيث ان قارىء هذا الكتاب يخرج من قسمه الاول (ص١٢-١١٢) وقد رأى الرجل في اطاره الصحيح وقالبه الصادق . فلما انتقل الى تراث ابن خلدون الفكري والاجتماعي جلاه لنا جلاء واضحا . فثمة فصل (ص١٢٤-١٣٥) يعرض فيه عنان علم السياسة والملك عند الاسلاميين قبل ابن خلدون ، وبذلك نعرف ماذا فكر هؤلاء القوم (ابن قتيبة

والفارابي واخوان الصفا والماوردي والطرطوشي وابن الطقطقي) في هذه القضايا. فاذا وصل الى مؤلفات ابن خلدون وحالها جاءنا بالخلاصة الكافية (ص ١٣٦–١٥٦) ويعرض لعلم العمران كما يراه ابن خلدون (ص ١١٤–١٢٣) ، ثم يحدثنا عن ابن خلدون فيلسوف التاريخ والاجتماع وابن خلدون المفكر الاقتصادي والفيلسوف الجامع . وقابل بين ابن خلدون ومكيافيللي بشكل خاص .

والمهم في هذا الامر اننا نرى انفسنا هنا امام مؤلف اقام امامنا بناء يسمى ابن خلدون نستطيع ان ندركه « ككل » ، بعد ان قدم لنا المواد الخام . ونرى شيئاً كثيراً من الموضوعية في دراسة عنان حيث يقول « على انه مهما كان من شأن هذه الفروض ، فلسنا نستطيع ان نقول ان مكيافيللي قد انتفع في صوغ فلسفته السياسية والاجتماعية بشيء من آثار التفكير الاسلامي ، ولسنا نلمح في كتابه اثراً لهذا التفكير . ومكيافيللي ذهن مبتدع مبتكر بلا ريب ، كما كان ابن خلدون ذهنا مبتكراً مبتدعاً ، وقد شق كلا المفكرين العظيمين طريقه لنفسه ، وألهم وحي نفسه ».

ويختم عنان كتابه بملاحق ذات قيمة تاريخية .

- ١٣ -

كتاب علي عبدالواحد وافي عن ابن خلدون تناول ناحية واحدة من الرجل— فقد عرض له على انه منشىء علم الاجتماع . وهذا هو اتجاه جديد نحو دراسة ابن خلدون . فالمؤلف معد لذلك اعداداً تاماً ، ولذلك فهو يستطيع ان يتناول هذه الناحية فيوفيها حقها . وقد بدأ كتابه باشارة الى القواعد التي يتبعها في الاحالة على كتابي المقدمة والتعريف . وبعد فصل يعرض فيه حياة المؤلف (٩–٦٨) وآخر يتحدث فيه عن مكانته العلمية (ص ٦٩–٨٦) ينتقل الى صلب موضوعه وهو ابن خلدون وعلم الاجتماع . ومما يدل على بعد نظر المؤلف وفهمه لموضوعه وواجبه تحدثه عن الطرق التي سلكها الباحثون قبل ابن خلدون في دراستهم للظواهر

الاجتماعية ، فردها الى ثلاث احداها الطريقة التاريخية الخالصة وثانيها « طريقة الدعوة الى المبادىء التي تقررها الظواهر الاجتماعية وبيان محاسنها وترغيب الناس فيها وتثبيتها في نفوسهم ... وهذه هي الطريقة التي سلكها علماء الدين والخطابة والاخلاق كابن مسكويه ... والغزالي » . وثالث هذه الطرق هي « التي سلكها بعض الباحثين قبل ابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية هي التي يوجه اصحابها كل عنايتهم الى ما ينبغي ان تكون عليه هذه الظواهر بحسب المبادىء المثالية التي يرتضيها كل منهم، كما فعل افلاطون في كتابه « الجمهورية » والفارابي في كتابه اراء اهل المدينة الفاضلة » . (ص ١٠١ — ٢٠٢) . اما دراسة الظواهر الاجتماعية « لتحليلها تحليلاً يؤدي الى الكشف عن طبيعتها والاسس التي تقوم عليها والقوانين التي تخضع لها » فلم يعرض لها احد قبل ابن خلدون (ص ١٠٢) . وثمة قسم صغير (ص ١٠٦—١١٤) يعالج فيه المؤلف الاسباب التي دعت ابن خلدون الى انشاء هذا العلم الجديد . وهي قضية مهمة . ويعرض المؤلف بعد ذلك الى منهج ابن خلدون في البحث والنظريات التي انتهت اليها المقدمة (ص ١١٤-١٢١) . وهنا نأخذ على المؤلف اقتضابه . فقد كنا نحب لو انه اعطى هذه الناحية قسطاً اكبر من اهتمامه وشرحه وتبيانه . فهي في رأينا اهم من الموازنة بين ابن خلدون واوغست كونت ، على ما في هذا الفصل من اهمية . ولعل عذر المؤلف انه اراد ان يبين مكانة ابن خلدون بالمقابلة والمقارنة . الا اننا كنا نفضل ان تتضح منزلة ابن خلدون بتفضيل قيمته الذاتيه وفكرته ذاتها .

وساطع الحصري له دراسات حول مقدمة ابن خلدون ، وهي دراسات قيمة ماتعة . والكتاب في طبعته الجديدة (١٩٥٣) في ٦٥٥ صفحة . وهذا الكتاب «دراسات» ، ولذلك فهو ليس من نوع الكتب التي تعتبر « بناء » تاماً يظهر ابن خلدون « ككل » وان كان في مجموعه عرض لجميع النظريات والمقارنات والاراء التي تتعلق بالرجل وافكاره ومنزلته . ومع ذلك فانت تخرج من الكتاب وقد امتلأت يدك بحصيلة ذات قيمة كبيرة عن كل هذا. فحياة المؤلف والمجال التاريخي العلمي الذي عاش فيه وخبره وشارك في حياته وتعليمه وقضائه وسياسته معروض

علينا في المدخل الثاني (ص ٤٢ –١٠٨) . وفي النظريات والملاحظات العامة (ص ١١٠ –١٦٨) امور حرية بالاهتمام ، لعلها اجداها بعنايتنا تاريخ كتابة المقدمـــة (ص ١١٧ –١٣٥) « فهناك مثل فصل بين ما كتب من المقدمة على اساس النظر العلمي وما كتب تحت تأثير النزعة الصوفية التي تقوت في نفس ابن خلدون وهو القسم الثاني من الفصل الذي يقرر «وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته» . (ص ١٢٦) .

ويمكن القول اجمالا بان دراسات الاستاذ الحصري نافعة قيمة مفيـدة تشمل الكثير من مشاكل المقدمة وقضايا فلسفة ابن خلدون ، لكن الكتاب لا يعرض عليك ابن خلدون « كلا » . ولعل هذا هو السبب في ان المؤلف سمى كتابه دراسات عن ابن خلدون .

– ١٤ –

وللدكتور عمر فروخ دراسة قصيرة عن ابن خلدون . نشرها بعنوان كلمة في ابن خلدون ومقدمته (بيروت ١٩٤٣) . ومع ان الرسالة وضعت اصلا لطلاب الدراسة الثانوية العالية ومدرسي الفلسفة الاسلامية في المدارس الثانوية، فان الكتاب (ص٣٢) فيه بحث شاف واف عن ابن خلدون يمكن لقارئـه ان يتعرف الى المفكر العربي الكبير تعريفاً صحيحاً صادقاً .

ثمة رسالة قصيرة هي مقدمة لترجمات مختارة من المقدمة . المترجم وكاتب الفصل الاول عن فلسفة ابن خلدون التاريخية هو شارل عيساوي ، وكتابه An Arab Philosophy of History (لندن ١٩٥٠) . وهذه المقدمة على قصرها فيها الكثير الجيد .

ومن خير ما وضع عن ابن خلدون كتاب الدكتور محسن مهدي باللغـــة الانكليزية واسمه Ibn Khaldun's Philosophy of History (لندن ١٩٥٧) . وقد عالج هذه الفلسفة التاريخية الخلدونية تحت المواضيع التالية وهي الفلسفة والشرع ،

التاريخ وعلم العمران ، علم العمران . هذا بعد عرض موجز لحياة ابن خلدون وعصره . ونحن عندما نقرأ هذا الكتاب ، فاننا نشعر اننا نقرأ كتابا فيه احاطة جيدة بالموضوع ، مع مقارنة وافية لنظريات ابن خلدون مع نظريات غيره . ويكفي ان يمر احدنا ببعض الفصول، ليرى العمق والدقة اللتين يتصف بهما الكتاب بناء صحيح واف مخطط متقن .

وهناك ثلاث دراسات كنت اود ان اتحدث عنها لكن حال دون ذلك ان موضوع احداها لست استطيع التحدث عنه وهو كتاب الدكتور صبحي المحمصاني Les idees economiques d'Ibn Khaldoun (ليون ١٩٣٢). والذي استطيع ان اقوله ان الفصلين الاولين (٨ ٤٥) افدت منهما تاريخياً . والثاني هو الكتاب الذي وضعه الدكتور كامل عياد Die Geschichte und Gesellschafts Lehre Ibn Halduns (شتوتغارت ١٩٣٠) ، والثالث دراسة علي نورالدين العنيزي باسم Il Pensiera economica di Ibn Khaldoun (المنشورة في Rivista della colonie italiane, 1932) وهما دراستان لم يكن لي سبيل للحصول عليهما.

— ١٥ —

بدأ في السنوات الاخيرة اهتمام عند مؤرخي فترة المماليك في دراسة المصادر والكتابة عنها في مقدمات كتبهم . تجد ذلك في دراسات علي ابراهيم حسن عن المماليك البحرية وفي مقدمة كتاب المدن في سورية Urban life in Syria لنقولا زياده . وقد ظهر بالاضافة الى ذلك كتابان قيمان تناول فيهما مؤلفاهما مؤرخي مصر في العصور الوسطى هما كتاب محمد مصطفى زياده المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (القاهرة ١٩٤٩) والثاني استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط لعلي ابراهيم حسن (القاهرة ١٩٤٩) . والفرق بين الكتابين هو ان الاول يدرس المؤرخين منقبا قيما ناقداً مقارناً . اما الثاني فهو معرف مرشد معين ويشمل لذلك غير المؤرخين .

انتقل الآن الى كتابين وضعا باللغة الانكليزية عن فترة المماليك . اولهما اسمه The Crusade in the Later Middle Ages للدكتور عزيز سوريال عطيه (لندن ١٩٣٨) والثاني لكاتب هذه السطور اسمه Urban Life in Syria under the Early Mamluks (بيروت ١٩٥٣) . والاول يؤرخ للمحاولات الفكرية والسياسية والعسكرية التي حاولت اوروبة القيام بها للعودة الى ديارنا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . وهو كتاب علمي ممتاز ويكفي ان يقال عنه هذا .

اما الثاني فانني اعتذر عن التحدث عنه راجياً منكم اعفائي من ذلك ، فالكتاب من وضعي [١] .

وقد رأيت ان اتجنب التحدث عن المقالات التي كتبت حول المماليك وعصرهم اذ ان ذلك امر يطول جداً .

راجع لائحة المؤلفات والمنشورات في ملحق رقم ١

---

(١) الكتاب يعالج الادارة السورية في عصر المماليك وبشكل خاص تنظيم المدن. فبعد مقدمة تاريخية مقتضبة ثمة دراسة عن المدن والقصبات والقرى الكبيرة وتطورها وتبدلها بين القرن العاشر والرابع عشر . يلي ذلك دراسة لمختلف الوظائف والموظفين في سورية ولبنان وفلسطين ممالك ومدنا ونوع اعمالهم وواجباتهم السياسية والعسكرية والادارية والاجتماعية والاقتصادية . وآخر فصل في الكتاب يتناول الحياة العلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للكتاب .

راجع فوق ص   اشارة الدكتور زريق

ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الآخيرة
في دراسة التاريخ العربي وغيره
عن تاريخ الاندلس

الدكتور عفيف الترك

ان الامة التي تريد البقاء حية ، تساير الزمن في تطوره ونهضته وتمضي في ركب الحضارة ، عليها ان تستمد حياتها من ماضيها وحاضرها.

والامة التي لا تهتم بابراز تراثها وتهمل تاريخها وتفقد الاتصال الروحي بين ماضيها وحاضرها،بين اسلافها وابنائها، انما هي امة جامدة لا شخصية لها ولا ينتظر لها مكانة بين الامم والشعوب . والمواطن الذي لم يقف على معرفة تاريخ بلاده ولم يشعر بهذا الاتصال الروحي الذي يربطه بامجاده لا يطمع في نهوضها والسير بها الى الامام ، لان النهضة لا تتأتى دون التعرف الى ذلك التراث القديم وابرازه الى حيز الوجود وتعمقه والاحساس بعناصره الخالدة وبالاخص اذا كان ماضيا كماض امتنا العربية حافلاً بانواع البطولة والشجاعة وجامعا لانواع المعرفة والعلوم الزاهية والمثل الانسانية الخالدة .

وقد احسنت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت باختيار موضوع مؤتمرها السنوي التاسع المتقدم الذكر . وان اهتمامها بتاريخ

العرب في الاندلس جاء موفقاً ومحققا للغاية التي ينشدها المؤرخون العرب ، لا في سبيل خدمة هذا الشعب العربي فحسب ، بل لخدمة التاريخ نفسه ايضا لما لتلك الفترة الطويلة من اهمية عظمى في تاريخنا العربي .

ان القرون الثمانية التي قضاها العرب في الاندلس تستحق الاهتمام الكلي والعناية الكافية الى اقلام المؤرخين وابحاثهم العلمية الصحيحة .

لقد حان الوقت – ولو جئنا متأخرين – لان نأخذ بزمام الدراسات الاندلسية بعد ان سبقنا اليها المستشرقون الغربيون بمراحل .

ان تاريخ الاندلس الذي هو جزء لا يتجزأ من التاريخ العربي ، هو فصل من الم فصول تاريخ اوروبا السياسي والفكري في القرون الوسطى . فالشعوب الناطقة بالضاد حملت في ذلك العهد لواء الحضارة والمدنية لترضعها الى العالم وخاصة الى الشعوب الاوروبية المتعطشة الى المعرفة والحرية لتبعث فيها روح النهضة الغربية الحديثة .

لهذا فان تاريخ الاندلس العربي ، الذي اطلق عليه المستشرقون اسم « تاريخ اسبانيا المسلمة (Histoire de L'Espagne Musulmane) » يؤلف جزءاً من تاريخ اسبانيا العام . فهو يدرس في مدارسها الابتدائية والثانوية والجامعية ، كما وان هذا الفصل من تاريخنا يرتبط ايضاً بتاريخ اوروبا للقرون الوسطى نظراً لارتباط اسبانيا بالقارة الاوروبية .

ان المؤرخين العرب قد اهملوا كثيراً في حق تاريخنا الاندلسي . فمنذ ان فقد العرب مملكة غرناطة – اخر معقل لهم في اوروبا عام ١٤٩٢ – فقدوا هنالك تلك الكنوز الثمينة والاثار الخالدة والمدنية الزاهية التي شيدوها حجراً فوق حجر طيلة ثمانية قرون . وبخروج العرب من غرناطه ، انقطع كل اتصال بين الشرق العربي والاندلسي.

وفي هذا الزمن بدأ عصر جديد يخيم على الشرق وهو عصر الانحطاط ، عصر الاستعمار السياسي ، عصر الجمود الفكري الذي استمر حتى حملة نابليون على مصر . حينئذ استيقظ العرب من ركدتهم واخذت النهضة الثقافية تنتعش في مصر ولبنان

نتيجة لتأسيس المدارس وانتشار المطابع وايفاد البعثات العلمية الى اوروبا . لذلك كان من الطبيعي ان تنشط حركة التأليف والترجمة التي شملت تاريخ الشرق العربي.

اما بالنسبة لتاريخ العرب في الاندلس، فقد بقيت اخباره مطموسة بين المخطوطات داخل ادراج المكتبات العامة والخاصة المنتشرة في الاندلس والمغرب وسائر البلدان العربية ، الى ان هيأ له – في منتصف القرن التاسع عشر وخاصة في الربع الاخير منه – جماعة من المستشرقين كالعلامة الهولندي دوزي Dosy وغيره من الاسبانيين ككوندي Conde وسيمونه Simonet وكوديرا Codera وريباره Ribera وغيرهم نزروا انفسهم للبحث عن المخطوطات العربية وجمع الوثائق والمعلومات عن التاريخ الاندلسي لنشرها والتاليف فيه .

واذا استعرضنا فقط الكتب العربية التي الفت في التاريخ الاندلسي – واعني في النطاق التاريخي بمعناه التقليدي – خلال المئة سنة الأخيرة ، فان بحثنا هذا لا يمكنه ان يتعدى الصفحتين وذلك لافتقارنا الى مثل هذه الكتب التاريخية ولقلة المشتغلين بهذا الحقل . لهذا اجزت لنفسي بان اتحدث اولا عن المؤلفات التي امكنني الاضطلاع عليها والتي بحثت موضوعات اندلسية مختلفة. كما واني سأذكر في نهاية البحث قائمة باسماء الكتب والبحوث الحديثة، المؤلفات والتراجم القديمة التي تناولت تاريخ الاندلس والتي نشرت خلال العصر المحدد لهذا البحث لما لهذه الكتب والنصوص من اهمية وفائدة لكل باحث في هذا التاريخ .

رحلات الى الاندلس ١٨٧٨–١٩٣٩ [١] :

في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٧٣ انعقد في باريس اول مؤتمر للمستشرقين . ومنذ هذا المؤتمر الاول وحتى انعقاد السادس منه عام ١٨٨٣ لم نر احداً من علماء العرب يشترك في هذه المؤتمرات العلمية التي كانت تعقد في مختلف العواصم الاوروبية لان الشرق كان بعيداً عنها .

(١) راجع Henri Perés. L'ESPAGNE Vue par les Voyageurs Musulmans de 1610 à 1930 - (Paris 1934) .

ولاول مرة نرى مصر تبعث بمندوبها الشيخ حمزه فتح الله للاشتراك في مؤتمر فينا عام ١٨٨٦ . ومنذ ذلك الحين اخذت الحكومة المصرية توفد المندوبين للاشتراك بتلك المؤتمرات امثال محمد عمر الباقوري وعبدالله فكري لمؤتمر استوكهولم عام ١٨٨٩ ، ثم احمد زكي بك لمؤتمري لندن عام ١٨٩٢ وجنيف عام ١٨٩٤ ثم احمد شوقي للمؤتمر الثاني عشر في همبورغ عام ١٩٠٢ ... حتى وقتنا الحاضر .

وبفضل هذه المؤتمرات بدأ الاحتكاك بين الشرق والغرب وخاصة بين علماء المستشرقين الذين يشتغلون في الحقل الاندلسي وبين علماء العرب ، كما ونتج عن ذلك ان بعض المندوبين العرب انتهزوا فرصة وجودهم في اوروبا فزاروا اسبانيا بدافع الرغبة والتشوق الى زيارة تلك الديار . فكان من الطبيعي ان يتذكروا هؤلاء الرّحالة تاريخ اسلافهم « الفردوس المفقود » - كما يسميه احمد زكي - فيكتبون عنه ويتغنون بالماضي المجيد .

واول من كتب عن الاندلس ، الكاتب التونسي سيدي علي ابن سالم الورداني بعد زيارته لاسبانيا بصحبة بعثة علمية كان قد اوفدها السلطان عبدالحميد الى اوروبا . وعند عودة الورداني الى بلده تونس كتب سلسلة من المقالات في الصحيفة التونسية الاسبوعية « الحضارة » تحت عنوان « رحلة الى الاندلس » في اعدادها الصادرة خلال الاعوام ١٨٨٨ حتى ١٨٩٠ م .

ويأتي بعده احمد زكي في كتابه « السفر الى المؤتمر » (طبعة ثانية ١٨٩٤) و « الرحلة الكبرى » التي نشرت في اعداد مجلة الهلال (من شهر ديسمبر عام ١٩٣٤ حتى مايو ١٩٣٥ م) .

ثم محمد فريد يتحدث لنا عن الاندلس في كتابه « من مصر الى مصر . رحلة سنة ١٩٠١ ببلاد الاندلس ومراكش والجزائر » (القاهرة ١٩٠١م)

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى ، نرى امير الشعراء احمد شوقي يتغنى بالاندلس بعد ان قضى فيها منفيا حوالي خمسة اعوام . شوقي استطاع باشعاره في « الرحلة الاندلسية » ان يوجه انظار عرب المشرق الى الاندلس اكثر من احمد زكي في

« رحلته الكبرى » ، لان شوقي استطاع بشعره ان ينفذ الى قلوب العرب ويثير فيهم ذكريات « بلاد المجد المفقود » .

ومن الرّحالة ايضاً نذكر محمد كرد علي في كتابه « غابر الاندلس وحاضرها» الذي نشره في اعداد « مجلة المجمع العلمي » في دمشق عام ١٩٢٢، ثم في كتاب خاص عام ١٩٢٣ في القاهرة .

ثم محمد لبيب البتنوني في كتابه «رحلة الاندلس» (القاهرة ١٩٢٧) ومصطفى فروخ في كتابه « رحلة الى بلاد المجد المفقود» (طبعة بيروت ١٩٣٣) .

ومجمل هذه المؤلفات كانت وليدة الرحلات التي قام بها هؤلاء في خلال الفترة الواقعة بين عام ١٨٧٨ الى ١٩٣٠ . ولا يخفى علينا ان تلك الزيارات ، للمدن الرئيسية كمدريد وطليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطه وخاصة الاسكوريال ومكتبتها الهامة ، كانت سريعة وخاطفة . لذلك جاءت مؤلفاتهم موجزة بالنسبة لهذا التاريخ الطويل الذي يتطلب مجلدات كبيرة ودراسات علمية عميقة ويقتضي معرفة تامة باللغة الاسبانية .

فلا يدهشنا اذن ان نجد ، بصورة عامة ، تلك الدراسات الاولى عن الاندلس وقد تغلبت عليها روح الصحافة والدعاية لاذكاء الشعور الوطني تذكيراً للعرب بتاريخ امجادهم واظهار معالم حضارتهم التي تركوها في تلك الديار .

ومن الذين تناولوا موضوع الاندلس من غير الرّحالة وفي اسلوب تاريخي قصصي ، الكاتب المصري عبدالرحمن البرقوقي . وقد نشر اجزاء منه في مجلةالبيان. وهذه المقالات انطباعات واخبار عن الاندلس وهي على صورة رحلة وصفية .

المؤلفات الحديثة :

في اواخر الربع الاول من القرن الحالي ، بدأ اهتمام الكتاب والعلماء العرب للتاريخ الاندلسي يتضاعف نتيجة لتيقظ الشعور بالقومية الذي اخذ يتزايد بين صفوف المتعلمين على اثر النهضة العلمية في هذا الشرق العربي .

فالمدارس والكليات اصبحت بحاجة الى تعريف النشء الجديد في معرض

الدراسات التاريخية والادبية والعربية الى تاريخ اسلافهم في الاندلس . فكان من الطبيعي ان نرى بعض العلماء والكتاب يستعرضون في ابحاثهم التاريخية والادبية فصولاً موجزة عن التاريخ الاندلسي وآدابه ، والسبب في هذا الايجاز عائد الى نقص في المراجع والمصادر وقلة المشتغلين في هذا التاريخ وعدم اختصاصهم فيه .

في عام ١٩٢٢ نرى كامل الكيلاني يحاضر في الجامعة المصرية عن تاريخ الاندلس وآدابه معتمداً في ذلك على كتاب نيكلسون في « تاريخ آداب العرب »، وقد نشرت هذه المحاضرات في كتاب «نظرات في تاريخ الادب الاندلسي» عام ١٩٢٤ .

وللدكتور احمد ضيف دعوة حارة في سبيل الفكر الاندلسي ، وقد تناول موضوع الاندلس وتاريخ فكرها في كتابه «بلاغة العرب في الاندلس» (القاهرة ١٩٢٤) .

وكتب انيس النصولي في كتابه « الدولة الاموية في قرطبه» (طبعة بغداد ١٩٢٦) موجزاً لتاريخ الاندلس في عصر الفتح وخلفاء عبدالرحمن الداخل . وقد اهتم المؤرخ إبراز بعض شخصيات عظماء العصر أمثال عبدالرحمن الداخل ، مؤسس الدولة الاموية والحاجب المنصور « ديكتاتور » الاندلس . وفي هذا الكتاب الذي يقع في (١٤٠ صفحة) اغفل المؤلف احداثاً سياسية وحربية هامة التي حصلت خلال القرون الثلاثة الاولى من تاريخ الاندلس. كما واهمل ايضاً عن ذكر علاقات الدولة الاموية بالمغرب من جهة وبالدويلات المسيحية الاسبانية في شمال غرب الاندلس من جهة اخرى .

وللامير شكيب ارسلان كتابين في الدراسات الاندلسية :

الاول « خلاصة تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة طبعة اولى عام ١٨٩٨ م والثانية عام ١٩٢٥ » ولقد بحثت عنه فلم اعثر عليه .

اما كتابه الثاني في « الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية (طبعة مصر ١٩٣٦ م.) فانه يقع في جزئين كبيرين ، كتبه المؤلف بعد رحلاته الى الاندلس والمغرب ، وبعد الاضطلاع على المؤلفات والتراجم الاندلسية القديمة . وابحاثه لم تتعد في اكثرها عن اقوال المؤرخين والعلماء وغيرهم من الاقدمين في ذكر الاندلس

ورجالها وقواعدها. فجاءت هذه النصوص لا رابط يربطها تبحث في مواضيع مختلفة دون ان يتعرض لنقدها والتدقيق فيها. واذا ما تناول المدن الاندلسية فانه كثيراً ما يذكر تاريخ حاضرها مع الاشارة الى ذكر مشاهير رجالها من اهل العلم والسياسة.

ولعل هذه المؤلفات على رغم ضآلة عددها وضعف ابحاثها وعدم التعمق بها، مع ما نشره المستشرقون من بحوث ومؤلفات اندلسية كانت كلها باعثا لدفع العرب على المزيد من الاهتمام في تاريخ هذه الفصول الطويلة من تاريخنا.

ففي عام ١٩٣٧ قام الدكتور طه حسين بتأليف لجنة قوامها من الاساتذة احمد امين، مصطفى عبدالرزاق وعبدالحميد عبادي بالاشتراك مع بعض شباب كلية الاداب في الجامعة المصرية بنشر كتاب «الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» لابن بسام. وقد دعى الدكتور طه حسين صديقه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، الذي انفق جهداً عظيما في البحث عن هذا الكتاب وجمع اجزائه، للاشتراك في نشر المجلد الاول الذي تأخر صدوره حتى عام ١٩٣٩ م. وكانت الغاية من تأليف هذه اللجنة هو انشاء مدرسة جديدة يتخرج منها شباب الكلية الذين يريدون ان يعنوا بنشر الكتب ونقد النصوص نقداً علمياً صحيحاً.

ويجدر بنا ان نذكر ان هذه النهضة المباركة الحديثة، في الجامعة المصرية، دفعت المشرفين عليها لانشاء كرسي خاص بالتاريخ الاندلسي ودعوة بعض المستشرقين المختصين بالدراسات الاسلامية لالقاء المحاضرات والدروس في تلك الجامعة. وهذا حدث جديد بالنسبة للجامعات الوطنية والاجنبية في البلاد العربية. ولقد شجع بعض الجامعات الاخرى - كجامعتي الاسكندرية ودمشق - بان تسلك كل واحدة منهما طريق زميلتها في انشاء كرسي خاص بالدراسات الاندلسية. ولا شك ان هذا كان احدى العوامل الباعثة في بعض مؤرخينا على التأليف في هذا التاريخ وتتبع اثاره. نذكر منهم محمد عبدالله عنان وعمر فروخ الاستاذ الزائر لتاريخ الاندلس في جامعة دمشق.

والاستاذ عنان اول المحدثين في كتابة التاريخ الاندلسي في مؤلفه «دولة الاسلام في الاندلس». وقد كتبه في فترات متقطعة منذ عام ١٩٤٣ حتى عام

١٩٥٨ م.

وقد صدر منه حتى الآن اربعة اجزاء شملت تاريخ العصور الثلاثة الاولى :

١ – عصر الفتح والامارة (٧١١ - ٨٥٢ م.)

٢ – عصر الفتنة الكبرى وتأسيس الخلافة الاموية بالاندلس (٨٥٢ - ٩٦١م.)

٣ – عصر الدولة العامرية حتى سقوط الخلافة الاندلسية (٩٦١ – ١٠٣١ م.)

ثم جزء ٤ – تناول فيه نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، اي منذ قيام مملكة غرناطة عام ١٢٣٨ حتى نهايتها سنة ١٤٩٢ م. كما تناول فيه ايضاً تاريخ «الموريسكيين» او العرب المتنصرين واخراجهم من الاندلس .

وهذا المؤلف الجديد ، وان لم يشمل بعد تاريخ الاندلس في عهد ملوك الطوائف وعصر المرابطين والموحدين الذي يمتد من عام ١٠٣١ حتى ١٢٣٨ م ، فلا شك انه اول كتاب عربي يكاد يكون شاملاً لتاريخ العرب في الاندلس .

نهج المؤلف في كتابه نهجاً علمياً حديثاً بحيث قسم كتابه الى اجزاء وفصول متسلسلة تربطها وحدة الموضوع . فالاجزاء الثلاثة الاولى نرى مثلاً ان المؤرخ اعتمد بتبويب هذا الكتاب حسب الاحداث السياسية الهامة التي مرت على الاندلس طيلة القرون الثلاثة الاولى : بدأ اولاً بتاريخ فترة الفتح ، ثم انتقل الى الجزء الاكبر من كتابه وهو موضوع « الدولة الاموية » وحصره في اربعة مواضيع : اولاً تأسيس الامارة ثم عصر الفتنة الكبرى ثم تأسيس الخلافة الاندلسية واخيراً ربيع الخلافة . وقد جاء هذا التبويب منسجما ومطابقاً للعصور التي تحدث عنها .

فهذا النهج الجديد لم نعهده في المؤلفات العربية المتقدمة التي عالجت تاريخ الاندلس . ولم يغفل المؤرخ ايضاً في اعطاء صورة واضحة عن حالة المسيحيين الاسبان المجاورين للدولة الاموية وعلاقتهم بالمسلمين في ذلك العهد .

وليس من شك في ان محمد عبدالله عنان ادى بدراسته هذه خدمة كبيرة في جمع شتات الاخبار الاندلسية وفي استخلاص صور واضحة للعصور التي كتب عنها والتي كانت حتى الان غامضة على القارىء العربي. وقد استند في بحثه هذا الى جميع

المراجع العربية من تراجم ومؤلفات قديمة ، كان قد نشر معظمها المستشرقون الغربيون ، وكذلك الى بعض المؤلفات الغربية الحديثة التي عنيت بهذا التاريخ .

ونذكر ايضا كتاب الدكتور عمر فروخ في تاريخ « العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط» (طبعة بيروت ١٩٥٩). وهو باكورة عمله في هذا الحقل التاريخي ، وقد جاء نتيجة جهود عدة اعوام قضاهـا المؤلف بتدريس التاريخ الاندلسي في جامعة دمشق . والكتاب ظهر حديثاً اي منـذ اسابيع قليلة .

تناول المؤرخ في كتابة هذا تاريخ الفتح في المغرب والاندلس حتى آخر عصر الولاة (٧٥٦م.) ، بعد ان مهد له بدراسة جغرافية المغرب وشبه الجزيرة الاسبانية .

ويمتاز هذا البحث عن غيره بمعالجته العلمية للنصوص والروايات القديمةالتي كثيراً ما تتعدى الحقيقة كخطبة طارق مثلاً المشهورة عنه والتي ترددها اكثر الروايات العربية . نفى المؤرخ هذه الخطبة البليغة التي لا يمكن ان تصدر عن قائـد بربري مهما بلغت مقدرته العربية والبلاغة. كما وينفي ايضاً احراق السفن والا كان احراقها يعد غفلة عسكرية تمنعه من الانسحاب فيها لو اضطر اليه . « ص ٨٣٠ » .

وتناول الدكتور فروخ ايضاً بايجاز النواحي : السياسية والادارية ، الحيـاة الدينية ، الحياة الاجتماعية والحياة الادبية والفكرية التي كثيراً ما تغيب عن نظر المؤرخين المعاصرين. كما وأورد في آخر الكتاب عدداً من اسماء الاماكن الاندلسية والفرنجية وما يقابلها في الاسبانية حتى يسهل على القارىء معرفة المواقع والاماكن على الخارطة . وقد استند الى عدد واف على المراجع والمصادر العربيـة . اما فيما يتعلق بالمصادر الاجنبية ، فاننا نجد المؤلف قد اغفل عن ذكر بعضها ، واهمهـا كتاب دوزي ... (Histoire de Musulmane) وكتاب وليفي بروفنسال (Histoire de l'Espagne Musulman éd. 1950)وغيرهما ...

وقد جرى في بحثه هذا على الاسلوب العلمي في التحقيق والتحليل. وبهذا يكون قد مهد الطريق ، في هذا الحقل الشاق ، لان تارخ الاندلس لم يزل يكتنفه الغموض

وخاصة في الفترتين : عصر الفتح والولاة ثم عصر ملوك الطوائف في القرن الحادي عشر .

ويجدر بنا ان نذكر في هذا البحث ايضاً بعض المقالات والابحاث التي نشرت خلال هذه السنوات الاخيرة على ايد من الناشئين الاختصاصيين في الحقل الاندلسي . وجل هذه الابحاث نشرت في « صحيفة المعهد المصري » للدراسات الاسلامية في مدريد والذي يعود الفضل في انشائه - عام ١٩٥١ - الى الدكتور طه حسين . ولا شك ان هذه المجلة العربية هي الاولى من نوعها ، وان كانت تصدر في مدريد ، غايتها نشر الابحاث الاسلامية وخاصة بالدراسات الاندلسية .

الصقالبة في اسبانيا : مقالة نشرها احمد مختار العبادي في مجلة «المعهد المصري» عام ١٩٥٣ . وفيها اعطى لمحة تاريخية عن اصل الصقالبة ونشأتهم وعلاقتهم بالحركة الشعوبية في الاندلس .

وللباحث ايضاً مقالة اخرى في نفس المجلة المذكورة «عام ١٩٥٤» عن «مقامة العيد» لأبي محمد عبدالله الازدي . وقد استخلص الناشر من هذا النص صورة من صور الحياة الشعبية في غرناطة .

ونذكر ايضاً بحثاً قيما للباحث محمود علي مكي - احد اعضاء البعثة المصرية الى مدريد - في «التشيع في الاندلس» نشره في مجلة المعهد المذكورة « عام ١٩٥٤ - المجلد ٢ » . وقد تناول فيه الحركة التشيعية منذ الفتح حتى نهاية الدولة الاموية « ١٠٣١ م » .

ومن الابحاث التي نشرت في غير مجلة المعهد المصري ، بحثاً لحسين مؤنس عن **« الثغر الاعلى »** في مجلة « كلية الاداب » لجامعة فؤاد الاول « ديسمبر ١٩٤٩ » ، اوجز فيه تاريخ الاندلس في عصر المرابطين وسقوط سرقسطه في يد النصارى عام ٥١٢ هـ. (١١١٨ م) . وقد ضمنه اربع وثائق جديدة تبحث في عهد المرابطين في الاندلس .

وهناك بحث آخر لعبد العزيز الاهواني : **سفارة سياسية من غرناطة الى**

القاهرة . استند الباحث في مقاله هذا على مخطوط كان قد وجـده في مكتبة الاسكوريال بمدينة الاسكوريال في اسبانيا ليقدم لنا بحثاً قيما عن رحلة قام بها غرناطي الى القاهرة عام ٨٤٤ هـ . « ١٤٤٠م . » موفداً من قبل الغالب بالله محمد بن نصر ملك غرناطة ليطلب من السلطان الظاهر جقماق المساعدة والنجدة لمحاربـة المسيحيين في اسبانيا . وقد نشر هذا البحث في مجلة « كلية الاداب » في القاهرة « مايو ١٩٥٤ » .

وفي هذه الدراسات القصيرة نجد ان هؤلاء الباحثين قد راعوا المنهج العلمي الحديث في بحوثهم بنشر النصوص القديمة ونقدها نقداً علمياً صحيحاً .

راجع لائحة المؤلفات والمنشورات في الملحق رقم ٢

ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة السنة الاخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره

مخطوطات تاريخية عربية في مكاتب استانبول لم تطبع بعد

الدكتور هلموت ريتر

طلب مني ان اتحدث الى حضراتكم عن المخطوطات التاريخية العربيـــة التي لم تطبع بعد والموجودة في مكتبات استانبول . ولكن قبل البدء بالموضوع ارى ان اشير الى انني لست مؤرخاً وانني لم اشتغل بهذا الفرع من العلم الا حين اضطرتني الحاجة اليه عند دراساتي في اللغة والآداب وعلم الكلام والتصوف . ولقد اتيحت لي فرصة اثناء وجودي لسنوات عديدة في استنبول لاطلـع على بعض المخطوطات التاريخية التي قد يهُم حضراتكم معرفتها . ومن بين هـــذه المخطوطات رأيت في العشرين سنة الاخيرة مجموعات لكتب تاريخية عربية لم تكد تكون معروفة قبلاً لمؤرخي العرب المحدثين كما ينبغي او كان الوصول اليها صعباً .

تنقسم المخطوطات التاريخية من جهة التحقيق والنشر على الجملة الى ثلاثة اقسام:

اولاً : المخطوطات التي لم تطبع بعد .

ثانياً : المخطوطات التي طبعت على الطريقة القديمة دون ان تنقد متونها او تحقق ، ودون ان تُجهَّزَ بفهارس عامـــة . وجاءت مشحونة بالاخطاء وصعُبَت مُراجعتُها .

ثالثاً : المخطوطات التي طبعها المستشرقون او العلماء العرب المحدثون بطريقة نقدية جديدة . وهذا القسم ينقسم الى قسمين ايضاً : قسم يمكن ان يُعتبر تحقيقه قطعياً ونهائياً لان محققيه استفادوا من جميع المخطوطات الموجودة في العالم (وكتب هذا القسم قليلة جداً) ، وقسم آخر حقق ايضاً تحقيقاً جيداً ، الا انه بعد طبعه وُجد في استانبول او في غيرها من البلاد نُسخٌ اخرى منه ، قديمةٌ هامةٌ لم يكن المحققون قد اطلعوا عليها ، وقد يستفاد منها لاصلاح بعض ما وقع في الطبعات السابقة من خطأ .

ولهذا فان امام المهتمّين بالتاريخ العربي ، وبصورة خاصة اولئك الذين يعنون بتحقيق المتون ، ثلاثة واجبات :

الاول : تحقيق النصوص التاريخية التي لم تُنشَر وطبعُها .

الثاني : تحقيق النصوص التاريخية التي طبعت على الطريقة القديمة .

الثالث : اعادة طبع المتون المحققة تحقيقاً جديداً بعد مقابلتها بالمخطوطات التي لم يُطّلع عليها سابقاً .

إن تحقيق النصوص التاريخية هو عمل فيلولوجي . وطريقة هذا العمل تطورت في المئة السنة الاخيرة على ايدي محققي النصوص الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ولم توجد الى اليوم طريقة اجود منها ، ولذا فلا معنى لاستعمال اية طريقة غيرها . ولا تزال هذه الطريقة تعلم في حلقات دراسية خاصة في الجامعات الاوروبية . ولا يهتمون في هذه الحلقات بايضاح المتون فحسب بل وبفحص اختلاف روايات المتون واستخراج الصحيح منها ايضاً ، وكذلك باثبات شجرة انساب المخطوطات حتى يتبين كيف حدثت الاخطاء في النسخ المختلفة ، واي مخطوطة فرعية يجوز اخراجها من العمل اي انهم لا يهتمون بمتون التاريخ فحسب بل وبتاريخ المتون ايضاً .

ولما جاء الفيلولوجي العربي متأخراً عن الفيلولوجي الكلاسيكي كان لا بد له

من ان يستقي منه ويتبع الطرق التي كشف هو عنها .

وان سألتموني عن اقدم مخطوطات التاريخ العربي الموجودة في استانبول أقول آسفاً : ان اقدم المصنفات التاريخية العربية التي ورد ذكرها في فهرست ابن النديم وفي الكتب التي تلته لا توجد لها مخطوطات في مكاتب استانبول ايضاً ولم يصل الينا – كما تعلمون – من الكتب التاريخية المصنفة في عهد الامويين الاعدد قليل ، ككتاب أخبار عبيد بن شرية الذي كتبه لمعاوية حين استقدمه من الرقة الى دمشق ليخبره باخبار الجاهلية وغيرها . وعلى الرغم من ان بعض الناس يعتبرون هذه الاخبار منتحلة فان نبيهة عبود قد دافعت عن صحتها دفاعاً قوياً [١] .

اما مصنفات المؤرخين الآخرين الذين عاصروا الدولة الاموية مثل رسائل عروة بن الزبير في سيرة النبي التي كتبها لعبد الملك[٢] و « كتاب المغازي » للزهري المتوفي سنة ١٢٤ هـ [٣] فلا تعرف الا من مقتبسات المتأخرين .

اما مصنفات المؤرخين المخضرمين الذين ولدوا في العصر الاموي وتوفوا في العباسي فقد وصل الينا بعضها . غير ان النوع الخاص الذي اختص به مؤرخو ذلك العصر اعني الكتب التي تتناول المفردات من الحوادث والموضوعات المحددة (Monographs) زهد فيه الناس فيما بعد ، على ما يبدو ، وفضلوا عليه التواريخ العامة التي تعنى بسرد الوقائع من بدء الخلق الى عهد المؤلف . ولذا فلم يصل الينا من ذلك النوع الا العدد القليل مثل كتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم «المتوفى سنة ٢١٢ هـ » وهو من اقدم مؤرخي الشيعة [٤] ، واما مؤلفاته الاخرى الصغيرة ، مثل « كتاب الغارات » و كتاب « نهروان » و كتاب « مقتل الحسين » وغيرها ، فقد ضاعت . واما مصنفات الواقدي « المتوفي سنة ٢٠٧ هـ » [٥] فلم يصل الينا منها

1. Brockelmann, GAL, S 1/100. — Nabia Abbott: Studies in Arabic Literary Papyri I, Chicago , Oriental Institute of the University of Chicago, 1957, p. 9ss.

2. The Encyclopaedia of Islam « 'Urwa b. al-Zubair » . - Tabari 1,1180 - 1182).

3. Br. G2 1/64, S 1/102. - EI «Zuhri» .

4. Br. S 1/214.

5. Br. G2 1/141, S 1/207-8. - EI «Wakidi». - Al-Fihrist (Cairo) 144.

الا كتابه في المغازي . اما كتابه في « حرب الأوس والخزرج » وكتاب « أمر الحبشة والفيل » و « سيرة أبي بكر » وكتاب « ضرب الدنانير والدراهم » فقد ضاعت جميعها .

وقد كتب المدائني «المتوفى سنة ٢٢٤ هـ»[١] ٢٣٩ مؤلفاً لم يصل الينا منها الا الجزء الاول والثالث من كتاب «التعازي» (ولعله المغازي) الذي لا تزال مخطوطته في المكتبة الظاهرية بدمشق «؟»

وهذه الحال المؤسفة لا نستطيع ان نغيرها فليس لنا الا قبولها كما هي .

ان اقدم كتاب تاريخ يوجد منه مخطوطة في استانبول هو « كتاب التاريخ » لأبي زرعة عبدالرحمن بن عامر المتوفى بدمشق سنة ٢٨٢ هـ ، برواية ابن الميمون ابن رشيد . ويحتوي هذا الكتاب على الانبياء والخلفاء الاولين . اما مخطوطته فموجودة في مكتبة فاتح ورقمها ٤٢١٠[٢] . ولقد صوّرتُ هذه المخطوطة ولكن ليس لديّ اية فكرة عن قيمتها .

اما الكتب المصنفة في تاريخ الجاهلية فلم يصل الينا منها الا القليل . واشهرها كتاب « ايام العرب » لأبي عبيدة «المتوفى سنة ٢١٠»[٣] ، وقد ادرج القسم الاعظم منه في « شرح النقائض » للأنباري ، واستفاد منه الاصبهاني في « كتاب الاغاني » وابن الاثير في كتاب « الكامل » .

ومن المؤرخين الذين قصروا معظم جهودهم على تاريخ الجاهلية هشام بن الكلبي « المتوفى سنة ٢٠٤ او ٢٠٦ هـ »[٤] . ويذكر ابن النديم له في الفهرست مئة وأربعين كتابا لم يصل الينا منها الا ثلاثة اشهرها « الجمهرة في النسب » ولها مختصر في مكتبة راغب باشا رقمه ٩٩٩ . ولا ذكر لاسم مختصره في ورقته الاولى

1. Br. S 1/214-15.
2. Br. S 1/208. - Claude Cahen : Les Chroniques Arabes concernant la Syrie, L'Egypte et la Mesopotamie, de la conquête arabe à la conquête Ottomane, dans les bibliotheques d'Istanbul. Revue des Etudes Islamiques 1936, p 334.
3. Br. G2 1/102-3, S 1/162 -EI «Abu 'Ubaida».
4. Br. G2 1/144-45, S 1/211-21 - EI «Kalbi» .

غير ان عبدالقادر البغدادي المشهور صاحب « شرح شواهد شرح الكافية » طالع الكتاب وكتب بخطه في النسخة نفسها أنه كشف عن كنية المختصر وهو «ابوجعفر». وقد استفاد من كتاب جمهرة النسب ومن مختصره الاستاذ كاسكل Caskel من جامعة كولون وهو فيما اعلم يعد كتابا في الانساب يصلح به كتاب وستنفلد Wüstenfeld المشهور في أنساب العرب .

وهناك كتاب « أنساب الاشراف » للبلاذري « المتوفى سنة ٢٧٩ هـ »[1] ، ولكنه ليس من الانساب في شيء بل هو كتاب في التاريخ والتراجم مهم جداً . ولا يوجد من هذا الكتاب غير نسخة واحدة كاملة في مكتبة رئيس الكتاب مصطفى رقمها ٥٩٨/٥٩٧ وقد نشرت الجامعة العبرية جزئين من هذا الكتاب كما تعلمون ، بعد ان كان آلوارت Ahlwardt قد نشر الجزء الحادي عشر منه. وقد ترجم أولغا بنتو وج . ليفي دلافيدا (Olga Pinto & G. Levi della Vida) القسم الذي يتعلق بمعاوية منه . مع تعليقات مفيدة . ومن المؤسف ان تحقيق هذا الكتاب صعب جداً لان النسخة الوحيدة مشحونة بالاخطاء والتحريف مما يحوج المحقق الى مقابلة هذه النسخة بالكتب التاريخية الاخرى جملة فجملة . ويقال في الفهرست « القاهرة ص ١٦٤ » ان البلاذري ترجم ايضاً كتباً فارسية الى العربية منها « عهد أردشير » ، ولكن ضاعت الترجمة كما يبدو ، الا انني صادفت في كتاب « نثر الدرر » للآبي فصلاً يحتوي على ترجمة عهد أردشير ، ولو لم يقل ابن النديم انه ترجمه بالشعر — والمتن في «نثر الدرر» منثور لكنت اظن ان متن «عهد أردشير» في «نثر الدرر» لعله ما ترجمه البلاذري بالذات .

ثم هناك كتاب تاريخ الطبري المشهور[2] الذي نشره دي خويه De Goeje بالاشتراك مع مستشرقين آخرين معاصرين له . وهذا العمل في الواقع هو من مفاخر المستشرقين ، وان لم يخل من بعض الاخطاء . والكتاب من النوع الذي حقق بالطريقة الجديدة ، ولكن يجب ان يعاد طبعه بعد الاستفادة من النسخ التي

1. Br. G2 I/147-48, S I/216. - EI «Baladhuri» .
2. Br. G2 I/148 - 49, S I/217 - 18, - EI « Ṭabarī » .

وجدت منه بعد طبعه ، ويوجد في مكاتب استانبول خمس عشرة مخطوطة من تاريخ الطبري يذكر كلود كاهان Claude Cahen اربعَ عشرَةَ منها [1] . اما الخامسةَ عشرة فقد عثرت عليها ، حين كنت رئيس لجنة تصنيف المخطوطات في استانبول ، وهي في مكتبة اسعد افندي برقم ٢٠٨٥ . وقد سمعت ان في النية نشر تاريخ الطبري مجدداً في الشرق ، وانا آمل ان يكون هذا النشر افضل من سابقه وان يستفيد الناشرون من جميع النسخ الموجودة منه ، وان لا يهملوا اضافه معجم للكلمات والمصطلحات التاريخية التي لا توجد في المعاجم المتداولة ، على ان يكون ذلك بالعربية ، لا باللاتينية كما فعل دي خويه وهذه الطريقة احسن من شرح الالفاظ بمواضعها .

ومن المعلوم ان البلاذري الف ايضاً كتابين في فتوح البلدان ، احدهما كبير والآخر صغير . اما الكبير فقد ، واما الصغير فقد نشره دي خويه .

وهناك كتب اخرى كثيرة في البلدان تنسب الى الواقدي ولكنها منتحلة ، ولعلها صنفت خلال الحروب الصليبية .

ويوجد كتاب في الفتوح اقدم مما ذكر وقد يكون مصدراً هاماً في هذا الموضوع وهو « كتاب الفتوح » لمحمد بن علي بن اعثم الكوفي المتوفى حوالي سنة ٣١٤ هـ [2] . ويبحث هذا الكتاب عن تاريخ الفتوحات الى عهد يزيد بن معاوية . ومؤلفه شيعي . وقد تُرجم هذا الكتاب الى الفارسية سنة ٥٩٦هـ . ، وطبعت ترجمته هذه بالحجر مراراً . واستفاد بعض العلماء من هذه الترجمة مثل ولكنز Wilkens واوسلي Ouseley . ثم نسي الكتاب الى ان جلب العالم التركي احمد زكي وليدي انتباه العلماء الى ان اصله العربي المحفوظ في مكتبة السلطان احمد الثالث في سراي توب قابى تحت رقم ٢٩٥٦ . ويوجد منه نسخة اخرى ايضاً في مكتبة تشستر بيتي (Chester Beatty) .

وهناك كتاب « المعرفة والتاريخ » تأليف ابي يوسف يعقوب بن سفين الفاسوي

1. Claude Cahen 335 .
2. Br. S 1/220 .

براوية ابن درستويه النحوي المتوفي سنة ٣٤٧ هـ. وقد عثر كاهن على مخطوطات لاجزاء من هذا الكتاب في مكتبتي روان كوشك وأسعد افنـدي . والاجزاء التي عثر عليها هي من الجزء العاشر الى التاسع والعشرين . وفي هـذه المخطوطات ساعات ترجع الى القرن السادس . وهذا الكتاب ، كما يبدو ، تاريخ عـام ، الا اننا لم نطلع على تفاصيله [١] .

وفي مكتبة قرا مصطفى نسخة وحيدة من كتاب تاريخ محمـد بن علي الحلبي العظيمي رقمها ٣٩٨ . وهذا الكتاب ألف سنة ٥٣٨ هـ [٢] ، وهو مهم لانه يخـبرنا بالتفصيل عن اخبار سوريا من عهد السلاجقة الى عهد صلاح الدين . وقد القى العالم التركي مكرميم اينانج محاضرة عن هذا الكتاب في المؤتمر الثاني للتاريخ التركي الذي عقد سنة ١٩٣٧ ، كما نشر كاهن قسما منه في مجلة Journal Asiatique سنة ١٩٣٨ .

ومن المصادر القديمة التي لم تنشر الى الآن كتاب «رأس مال النديم» [٣] الذي ألفه أحمد بن علي بن بابه في عهد الخليفة العباسي المقتفي بالله الذي حكم من ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ. ويُفهم من اسم الكتاب انه يحتوي على نوادر تاريخية اكثر مما يحتوي على وقائع واحداث . وتوجد منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة يني جامـع تحت رقم ٢٣٤ . وصف هذه النسخة عالم يمني اسمه همداني في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية Journal of the Royal Asiatic Society سنة ١٩٣٨ . واستفاد منه روزنتـــال Rosenthal في كتابه المسمى «Humor in Early Islam» .

ومن الكتب الاخرى التي تعنى بالنوادر اكثر مما تعنى بسرد الوقائع التاريخية كتاب « الانباء في تاريخ الخلفاء » الذي كتبه محمد العمراني [٤] في عهد المستنجد بالله الذي تلا المقتفى في الحكم « ٥٥٥—٥٦٦ هـ. » وتوجد نسخ من هـذا الكتاب في مكتبة الفاتح تحت رقم ٤٨١٩ ومكتبة ولي الدين تحت رقم ٢٣٦٠ .

---

1. Claude Cahen 336. - Br. S 3/1195 zu S. 174.
2. S 1/586, 3/1218. - Claude Cahen 336-37.
3. Br. S 1/586.
4. Br. S 1/586.

ولم يهتم المؤرخون حتى الآن كثيراً بأمثال هذه الكتب ، غير أني اعتقد أنها لا تخلو من فوائد لانها تعطينا صورة حية عن الحياة الاجتماعية في بلاطات الملوك لذلك العهد ، خلافاً لا كثر كتب التاريخ التي لا تعنى الا بسرد الوقائع السياسية والوفيات فحسب .

ومن الكتب التي تعنى بالنوادر ايضاً كتاب « التذكرة في السياسة والآداب الملكية » لمحمد بن الحسن البغدادي المشهور بابن حمدون «المتوفى سنة ٥٦٢ هـ.» [١] وهو يقع في اثني عشر مجلداً كلها موجودة في استانبول باستثناء المجلد الرابع ، والثامن ، والحادي عشر . ولم يطبع هذا الكتاب الى الآن ، الا أن أمدروز Amedroz ترجم بعض قصصه في مقال له عنوانه : « قصص في الحياة الرسمية من كتاب تذكرة ابن حمدون » .

Tales of Official Life from the Tadhkira of Ibn Hamdun - JRAS 1908

ومن اهم الكتب التي الفت في القرن السابع الهجري كتاب « مرآة الزمان » تأليف سبط ابن الجوزي الواعظ الشهير ضد الصليبيين والمتوفى سنة ٦٥٤ هـ . [٢] ولم يطبع من هذا الكتاب المهم حتى الآن غير مجلد واحد يحتوي على الوقائع التاريخية بين سنتي ٤٩٥ و ٦٥٤ نشره F.R. Jewett في Chicago سنة ١٩٠٧ بالطبع الطبقي . ثم طبع هذا المجلد بالحروف في حيدر اباد . ثم صححه جعفر الحسني بعض التصحيح ونشر تصحيحه هذا في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق (المجلد ٢٩) ولهذا الكتاب أصل للمؤلف ومختصر لليونيني البعلبكي .

ويوجد من كتاب « مرآة الزمان » في استانبول أربعة وستون مجلداً اكثرها رواية مختصرة لليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ . وقد سمعت ان نسخة كاملة منه كانت في مكتبة الأب انستاس الكرملي لا اعرف مصيرها الآن . ثم ان اليونيني كتب ذيلا للكتاب توجد منه نسختان في مكتبة أياصوفيا . وقد كتب الي مرة الاستاذ كرانكو المرحوم يسألني عنه ويظهر انه كان في نيته نشره ، غير اني لا

1. Br. S 1/493. - Claude Cahen 337.
2. Br. G2 1/224-25. S 1/589. - Claude Cahen 339 - 40.

أعرف ما عمل حتى الآن في هذا الصدد [1] .

ولقد ظهر بعد سقوط بغداد نوع خاص من التاريخ يُعنَى بأخبار الدول المنفردة كالسلاجقة والبويهيين والايوبيين والمماليك ، والكتب من هذا النوع كثيرة جدا ولا اذكر الا بعضها . فمن هذا النوع كتاب «مفرج الكروب في أخبار بني ايوب» لابن واصل الحموي الذي نشر اخيراً في مصر [2] . وقد كتب مؤلف هذا الكتاب كتابا في التاريخ العام ايضاً اسمه « التاريخ الصالحي » ، ويوجد منه مجلد ينتهي بسنة ٦٣٦ ﻫ وهو مكتوب بخط المؤلف في مكتبة الفاتح تحت رقم ٤٢٢٤ .

وهناك نوع آخر من كتب التاريخ يختص كل منها بأخبار أمير او أميرين فقط مثل « كتاب الروضتين » لأبي شامة . ومن هذا النوع كتاب يحتوي على تاريخ حياة الملك الناصر داود المتوفي سنة ٦٥٦ ﻫ ، ألفه أحد بنيه . واسم هذا الكتاب « الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية » . وتوجد منه نسخة بخط حفيد الملك داود ، محمد بن شاذي بن داود في مكتبة أياصوفيا تحت رقم ٤٨٢٣ [3] . وكتاب آخر هام اسمه « الروضة الزاهرة في السيرة الظاهرة » ، وهو يبحث في سـيرة الظاهر بيبرس . اما مؤلفه فهو ابن شداد المشهور المتوفي سنة ٦٨٤ ﻫ [4] . ويوجد الجزء الثاني من هذا الكتاب مكتوباً بخط المؤلف في المكتبة السليمية بأدرنة . وقد ترجمه صديقي المتوفى شرف الدين يالتكايا الى التركية ونشر ترجمته . ولابن شداد كما علمتم كتاب اشهر من هذا اسمه «الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة» وأحسن نسخة منه موجودة في ريوان كوشك تحت رقم ١٥٦٤ . وقد كتب كاهن عن هذه النسخة مقالا عنوانه « الجزيرة في منتصف القرن الثالث عشر [5] .

---

1. Otto Spies: Beitraege zur arabischen Literaturgesschichte, Leipzig 1932, p. 66ss. Felix Tauer in : Archiv Orientalni 1930. p. 89. - Fr. Krenkow in Majallat al Majma' al-'Ilmi al-'Arabi 21, p. 378. - 'Abbas 'Azzawi MMIA 22.p.371 ss.
2. Br. S 1/555. - Claude Cahen 341.
3. Br. G2 1/388, S 1/551. - Claude Cahen 342.
4. Br. G2 1/634, S 1/883. - Claude Cahen 342.
5. Le Djesira au Milieu du XIIIe siècle, in : Revue Des Etudes Islamiques 1/109-128.

ويمكن ان نعد من هذا النوع أيضاً كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر لابي بكر ابن عبدالله الدواداري ، رغم ان هذا الكتاب يحتوي على تاريخ عام منذ بدء الدنيا . ذلك لان المهم منه الجزء التاسع فقط المسمى الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (قلاوون) . ويوجد هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة أياصوفيا ، والجزء التاسع منه في مكتبة احمد الثالث في السراي تحت رقم ٢٩٣٢ [١] .

ومن التواريخ العامة التي تتزايد قيمتها كلما تتقارب الى عهد المؤلف تاريخ محمد ابن ابراهيم الجزري المتوفى سنة ٧٣٩هـ واستفاد من هذا الكتاب الذهبي في «تاريخ الاسلام بعد ان لخصه ويوجد مجلد من هذا التلخيص يحتوي على سنة ٥٩٣-٦٩٩هـ بخط الملخص في مكتبة كوپرولو برقم ١١٤٧ ، ومن اصل الجزري يوجد مجلد بخط المؤلف الجزري يحتوي على سنة ٧٢٥ - ٧٣٨ هـ في مكتبة كوبرولو برقم ١٠٣٧ .

وقد ذكرنا من قبل كتاب الروضتين لابي شامة، المقتول سنة ٦٦٥ هـ [٢] ومن المعروف ان ابا شامة كتب ذيلاً لكتابه هذا طبع في مصر باسم آخر هو « تراجم رجال القرنين » . ولهذا الذيل ذيل ثان للبرزالي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ [٣] . وتوجد نسخة من هذا الذيل كتبها المؤلف بخطه سنة ٧٢١ هـ وهي موجودة في مكتبة احمد الثالث بالسراي تحت رقم ٢٩٥١ ، وتحتوي على الوقائع والوفيات بين سنتي ٦٦٥ و ٧٢٠ .

ومن المعلوم ان مؤرخي تلك الازمنة كان قد غلب عليهم الاهتمام بتراجم الرجال وذكر وفياتهم ، فكانوا يوجزون في ذكر الوقائع ويطنبون في ذكر الوفيات . ومن امثلة هذا النوع من الكتب كتاب « تاريخ الاسلام » الذهبي [٤] الذي قد شرع بنشر كتابه « سير النبلاء » بطريقة حسنة . وكان ينبغي ان ينشر كتاب « تاريخ الاسلام » ايضاً عن النسخة التي كتبها المؤلف بخطه والتي توجد في مكتبة أيا صوفيا .

1. Br. S 2/44. - Claude Cahen 343-44.
2. Br. G2 1/386-87, S 1/550-51.
3. Br. G2 2/45, S 2/34. - Claude Cahen 346.
4. Br. G2 2/57-60, S. 2/45-47. - EI «Dhahabi» .

وهناك كتاب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ [١] . وقد نشر منه المجلد الاول فقط ، ومن المؤسف انه لم تنشر بقيته . وهذا الكتاب أشبه بموسوعة ، ويبدأ فيه مؤلفه بقسم جغرافي يصف فيه البلاد الاسلامية بتفصيل لا مثيل له في اي كتاب آخر. وقد استفاد المستشرقون من بعض أجزاء هذا القسم كتلك التي تبحث عن افريقيا الشمالية والحرم الشريف بالقدس وبلاد الهند وبلاد الاناضول. وكتب حبيب الزيات كتابا اسمه « نقد كتاب الديارات في الجزء الاول من مسالك الابصار » وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة الا انني لم اره .

ويلي القسم الجغرافي من كتاب العمري قسم آخر يحتوي على تراجم للناس مصنفة حسب مساعيهم فيذكر الفقهاء والنحاة والفقراء والفلاسفة والاطباء والموسيقيين والادباء والشعراء . ثم يذكر الحيوانات ، ثم المذاهب والفرق والامم : كالعلوية والشيعة واليهود والكلدان واليونان واهل الجاهلية . ثم يسرد الوقائع التاريخية حتى سنة ٧٤٤ هـ ويوجد من هذا الكتاب القيم سبعة وعشرون مجلداً في مكتبة أياصوفيا بين رقمي ٣٤١٥- ٣٤٣٩ . ولكن يبدو ان المجلد برقم ٣٤٣٤ ليس من صميم الكتاب ، اذ يحتوي على تاريخ مفصل جداً لسوريا بين سنتي ٧٣٣ و ٧٨ . ولا يعرف مؤلف هذا المجلد . ولا ريب في ان كتاب مسالك الابصار جدير بالنشر ، ومن المؤسف انه لم ينشر حتى الان رغم ذلك .

ومن المطولات التي تسرد فيها الحوادث والوفيات من بدأ الخلق او بدء الاسلام الى عهد المؤلف والتي تتزايد قيمتها كلما نقل مؤلفوها عن مصادر ضائعة او تناول حوادث عاصرها ثلثة كتب .

١ - « البداية والنهاية » لابن كثير وهي طبعت وان بالطريقه القديمة [٢] .

٢ - « عيون التواريخ » للكتبي صاحب « فوات الوفيات » المتوفى سنة ٧٦٤هـ

---

1. Br. G2 2/5277-78, S 2/175-76 .

2. Br. G2 2/60-61 - Spies 78-84 - Cahen 351.

يوجد من هذا التاريخ في استانبول تسعة وعشرون مجلداً بعضها بخط المؤلف [1].

٣ — كتاب « نقد الجمان في تاريخ اهل الزمان » لقاضي القضاة محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥ ﻫ [2] . يسرد المؤلف في هذا الكتاب الوقائع التاريخية من بدء الخلق الى سنة ٨٥٠ ﻫ . وقدم عليها قسماً في وصف العالم المعروف في ذلك الزمان مثل ما فعل العمري في «مسالك الابصار» ومن هذا الكتاب يوجد في استانبول ٦٧ مجلداً اثنان منها بخط المؤلف . وله ايضاً كتاب نوادر وحكايات رأيت منه نسخة في مكتبة فيض الله وجار الله وهو كتاب هزلي مضحك .

وهناك نوع آخر من كتب التاريخ يقتصر فيه مؤلفوه على ذكر الوقائع ووفيات الرجال الذين عاصروهم . ومن هذا النوع كتاب « اعيان العصر واعوان القصر » للصفدي صاحب « الوافي بالوفيات » وهو كتاب تراجم يذكر فيه من عاصرهم من الادباء والكتاب المتشاعرين وغيرهم ومعلوم ان الغالب على اهتمام الصفـــدي هو الادب لا التاريخ ، واهم من هذا الكتاب كتاب « انباء الغمر في ابنـاء العمر » للعالم الكبير ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ ﻫ [3] . ويحتوي هـذا الكتاب على الوقائع بين سنتي ٧٧٣ و ٨٥٠ ﻫ ، وكأنه ذيل لبداية النهاية لابن كثير . وفي أقسامه التي تحتوي الوقائع أخبار لا توجد في غـيره من الكتب . واما التراجم فيبدو ان المؤلف كان مولعا بجمع تراجم معاصريه ، اذ نعلم انه كتب «مشيختين» (اي كتابين) جمع في كل منهما أسماء الشيوخ الذين سمع منهم او حصل على اجازتهم . ثم جمع اجازات علماء زمانه في كتاب سماه « التذكرة » . وهذه الاجازات هي بخطوط اصحابها . ويوجد في هذه «التذكرة» . خطوط كثير من علماء زمانه ومنهم ابن خلدون . وكان يطلب من هؤلاء العلماء كتابة سنوات مولدهم [4] . وأعتقد ان كتاب « انباء الغمر » لابن حجر من اهم مصادر أخبار زمانه ، ولذا كان ينبغي ان يحقق ويطبع . ويوجد من هذا الكتاب في استانبول تسع نسخ كاملة واربعة

1. Br. G2 2/60, S 2/48. - Spies 73-76. - Cahen 350.
2. Br. G2 2/64-66, S 2/51-52. - Spies 88-98. - Cahen 353. - Adile Abidin Istanbul Universitesi Tarih Seminerl Dergisi 1/1938 - 450 ss.
3. Br. G2 2/80-84, S 2/72-76. - El «Ibn Hadjar» . - Spies 85-87. - Claude Cahen 355.
4. H. Ritter in Oriens 6/79-81.

مجلدات منفردة .

وهناك نوع آخر من كتب التاريخ في تواريخ المدن ، وهذا النوع اشهر من ان نحتاج الى تطويل الكلام فيه فانه قد ألفت من هذا النوع كتب كثيرة يذكر اسماءها الصفدي في الجزء الاول من « الوافي بالوفيات » والسخاوي في « اعلان التوبيخ »[١]. ومن اقدم هذه الكتب «تاريخ واسط» لبحشل اسلم بن سهل المتوفى سنة ٢٩٢ هـ . وكشف منه عن نسخة في العراق وقد وصفه Hoenerbach في مجلة Oriens ١٠٣/٨ [٢] .

ومن المؤسف ان تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٤ هـ ضاع وما يعرف منه الا ما اقتبس منه المتأخرون كالسمعاني في « كتاب الانساب » . ولكنه يوجد له مختصر وذيل اسمه « كتاب السياق لتاريخ نيسابور » لعبد الغافر ابن اسماعيل الفارسي المتوفى سنة ٥٢٩ هـ [٣]، توجد منه نسخة في مكتبة كوبرولو وجزء في مكتبة اسمعيل صايب في انقره .

ولا حاجة الى ذكر كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . يوجد هذا الكتاب جميعه ويقع في عشرة مجلدات في استانبول وانا نظرت في الجزء الاول الجغرافي منه والفيت النسخة سقيمة فيجب تحقيقه بمقابلة اصول ومصادر اخرى ، واما ذيوله لابن الشحنة وابن الناصرية ومحمد بن ابرهيم الحنبلي فكلها موجودة في استانبول [٤] .

ولا حاجة الى الاشارة الى تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٩١ وتوجد منه ثلاث نسخ كاملة في مكتبات استانبول [٥] .

وكان من المأمول انه حوفظ في هذا الكتاب على روايات لاهل الشام لم تتأثر

1. Br. S I/209-11.
2. EI 2 « Bahshal » .
3. Br. G2 I/4491 S I/623 - Weisweiler : Istanbuler Handschrifter zur arabischen Traditions literatur , 1936 (Bibl. Isl. 10), P. 81.
4. Br. G2 I/404-6, S I/568. - Cahen 359 .
5. Br. G2 I/403 - 4, S I/566, 3/1217. - Spies 56-59 .

بوجهة النظر العباسية المعادية للدولة الاموية . ولا ادري الى اي حد يتحقق هـذا الامل الا انني عثرت في القسم المطبوع منه على احاديث لا يشك انها ترجع الى رواية شامية مثل الاحاديث في ذم اهل العراق ومدح طاعة اهـل الشام ، واما الحكم على الاشخاص كيزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف اللذين يصوران في تواريخ العصر العباسي كانهما ظالمان عدّوا الله بدون تقدير لعملهما السياسي والاداري فلا ادري هل توجد عند ابن العساكر روايات عن اهل الشام غير معـــادية لهما ولامثالهما ومعلوم مثلا ان المؤرخين النصارى يمدحون يزيد بن معاوية ويدعون انه من خير خلفاء المسلمين .

وقبل ان انهي حديثي لا بد من ان أشير الى كتاب تاريخي مهم كتبه بالعربية عالم تركي اسمه احمد بن لطف الله السلانيكي المولوي منجمباشي (اي رئيس المنجمين) واسم هذا الكتاب «جامع الدول»[1] ، وهو في الواقع أجمعُ كتابٍ لتاريخ الدول الاسلامية . وأهميته انه يحتوي على ذكر أخبار دول صغيرة تقع في اطراف العالم الاسلامي ولم يهتم بها المؤرخون الاخرون في الغالب . وقد تُرجم الكتاب مختصراً الى التركية وطبع ، رغم أن أصله العربي لم يطبع بعد . والنسخة الاصلية العربية المكتوبة بخط المؤلف موجودة في مكتبة نور عثمانيـة ، ومن الضروري تحقيقها ونشرها .

هذه نبذة مما رأيت من مخطوطات تاريخية عربية في استانبول . وقد يكون ما لم اره من المخطوطات التي من هذا النوع اكثر مما رأيته .

---

1. Br. S 2|637 .

هل من يد تسديها التربية الاميركية
الى الشرق الادنى في نهضته القومية *

للدكتور فيليب حتي

الزمن عام الف وثمانمئة وثمانية عشر والمكان مدينة بوسطن - مساشوستس من اعمال الولايات المتحدة. هوذا في الميناء سفينة متجهة شرقاً تحمل بين ركابها فتى في اواسط العشرين من عمره. تبلغ السفينة اخيراً بيروت. تمضي سنوات قليلة واذا بلوحة من رخام في دار الارسالية الاميركية في بيروت تنصب شاهداً على قبر ذلك الفتى، تؤرخ وفاته الباكرة. واذا ببناء يقام على ارض الكلية التي اصبحت جامعة بيروت الاميركية، يحمل اسمه. انه البناء الذي تعرفونه باسم «بلني فسك هول» Pliny Fisk Hall ولنا ان نعتبر الوف المعلمين والوعاظ والمرسلين والاطباء والصيادلة وغيرهم من اهل العلم والادب ممن خدموا في هذا الشرق الادنى طيلة المئة والخمس والعشرين سنة الاخيرة، والالوف الاخرى التي تخدم اليوم في بقاع الشرق الادنى كأنهم خلفاء بلني فسك في هذا السبيل. ولقد كان الدافع في العهود الاولى في المقام الاول شاملاً كما تعلمون.

وما كاد ينتهي القرن التاسع عشر حتى اديل من هذه الظاهرة الدينية في حقل التعليم العالي الى ظاهرة جديدة علمانية ترتكز على العلم والفن والادب وتشمل المهن الحرة. وتبلورت اخيراً هذه الظاهرة في حياة الجامعة الاميركية حين قطعت

* الخطاب الذي القاه الدكتور فيليب حتي في حفلة يوم المؤسسين بالجامعة الاميركية في بيروت

في ذلك العهد صلتها بالارسالية الدينية وشرعت تعمل برعاية مجلس امناء علماني في مدينة نيويورك .

وها نحن الان على عتبة عهد نهضة جديدة يمكن ان نتساءل فيه ترى هل هناك من حاجة بعد الى التعليم الاميركي في هـذا الشرق الذي ينتبه مدفوعـاً بالروح القومية المتصاعدة .

وفي سبيل الاجابة عن هذا السؤال اسمحوا لي ان ابدأ اولاً بالجانب السلبي . ليس ثمة من حـاجة او مكان لاي معهد تربوي اميركي ، او غير اميركي ، يعمل في هذه البقعة من الارض ان كان غرضه مصلحة بلاده والدعاية لها ، سواء اكان ذلك في السياسة ام في الاقتصاد ام في اي منحى آخر . ولا حاجة او مكان لمعهد لا تزيد قيمته الثقافية عن قيمة مقابلهِ من المعاهد المحلية بحيث يصبح منافساً وحسب لامثاله فيها .

كل معهد اجنبي ، ايا كانت جنسيته ، يخسر حقه في ان يسمى معهداً علميـاً تربوياً في اللحظة التي ينحدر فيها الى مستوى الدعاية لنفسه وبلده . كل معهد اجنبي ايا كان لا قيمة خاصة له تميزه عن امثاله في ديار عمله، ولا يد نافعة يسديها الى مدنية تلك الديار لا تحق له الحياة ، وليس له ما يبرر وجوده . ومتى كان عمله في مصلحة اصحابه واربابه فقد خان الامانة التي في عنقه ، ونقض العهـد ، وهدم غرضه الذي يجب ان يكون خدمة الشعب في الارض التي اقيم فيها .

والان لننتقـل الى الناحية الايجـابية فنقرر انه يمكن لاي معهد اميركي ، بل ولاي معهد اجنبي ، ان يقوم بخدمة في بلد آخر حتى لو كانت تسيطر فيه النزعات القومية اذا كان لدى ذلك المعهد مـا يقدمه لذلك البلد من خدمة او رسالة او عمل اجتماعي او علمي يفيد ذلك البلد ويزيد في ثروة حياته العلمية والفكرية . وهنـا نواجه السؤال: اي يد ترى يمكن ان يسديها معهد اميركي الى هذا البلد ؟ والجواب واضح على ما ارى، وهو : يمكن لذلك المعهد ان يسدي خدمته في اربعة حقول :

اولاً في الهدف النهائي الذي يرمي اليه . ثانيـاً في النبرة التي يضعها او يشدّد

عليها . ثالثاً في الاسلوب الذي يسلكه في الدرس والتدريس، واخيراً في شكل التخصص .

اما الهدف في التربية الاميركية فهو مثلث النواحي يشمل ترقية العقل والجسد والنفس في وقت واحد . تلك هي ميزة النظـــام الاميركي في التربية والتعليم . والنبرة تقع ابداً على التعليم الحر المنطلق في العلوم الانسانية . والاسلوب الذي يسير عليه في الدرس والتدريس انما قوامه التحري والتمحيص والنقد والمقارنة . وامـا التخصص الذي يتطلبه فهو ليس من الطراز الاول فحسب بل من الطراز القائم على اوسع القواعد وامتنها في حقول الدراسات الانسانية .

وفي سبيل بلوغ هدفه المثلث الجوانب يلح على انشاء فسحة واسعة خـــاصة للمعهد الذي يقيمه Campus يشيد فيها مرابع وملاعب ينظم فيهـــا ضروباً من اساليب الرياضة البدنية ووسائط التسلية والترفيه التي لا تنحصر قيمتها في الترويح عن الجسد وتنميته بل تتعدى ذلك الى الفائدة الاجتماعية والعمل التعاوني المشترك . والمعهد فوق ذلك يسعى لتنمية الحيـاة الادبية في طلابه برعـايته للحلقات الادبية والاندية التمثيلية وجمعيات الخطابة والمناظرة التي يربي الطالب فيها نفسه على التعبير عن حاجته بنفسه متجاوباً مع الحياة الديمقراطية ، بدلاً من ان يكون بوقاً للغير او مستودعاً للحقائق الصحيحة او الموهومة او ببغاء لا يحسن الا التقليد .

ومن الممتع ان نلاحظ هنا ان بعض المصطلحات التي لها مساس بهذا النوع من التعليم مثل alumni, college spirit, campus ليس لهـا ما يماثلها في لغـات اوروبا القارة ولا في اميركا اللاتينية ولا في البلدان الشرقية .

ويستند هذا النظـــام في احسن مظاهره الى الحرص عـلى اهمية التعليم الحر المنطلق ودراسة الفنون . فالتعليم الحر هذا هو الذي يحرر صاحبه من اغلال ثلاثة : الجهـــل ، والغرض ، والانكماش . التعليم الحر يوسع الافق ، ويرفع من شأن الشخصية ، ويمجدهـــا ، وينهج نهج العقل المتزن الرزين . ان درس لغة اجنبية كالانكليزية مثلا ، التي قدر لهـا في هذا الزمن ان تكون من اكثر لغات العالم

اثراً واوسعها انتشاراً للتعبير عن الفكر ليفتح افاقاً ومجالات لنشاط العقل ويجهز مفتاحاً لخزائن من كنوز الفكر والعلوم والفنون والفلسفة والاداب . بل ليس هناك من حد لاثره المحرّر .

حقاً ان من تثقف بثقافة التعليم الحر المنطلق هو الذي يستطيع ان يصرح مع الامبراطور الفيلسوف الروماني : انا بصفتي فلاناً او فلاناً مواطن من مواطني هذا البلد او ذاك ، ولكن بصفتي انساناً فاني مواطن من مواطني هذا العالم باسره . لذلك لست ارضى لنفسي ما ليس في صالح هذين الوطنين : بلدي والعالم .

اما الاسلوب النقدي المقارن لاكتساب المعرفة فهو يناقض السبيل التحكمي المسيطر . وهو ظاهرة جوهرية اخرى من مظاهر نظام التربية الاميركي ، وانه ليصنع من الطالب رجلاً عاملاً مشاركاً لاستاذه في عملية التربية لاأداة سلبية او وعاء لخزن الحقائق ، فهو حقاً من القيم الفكرية التي يحسن نقلها والاخذ بها .

بقي التخصص ، مهنياً كان او علمياً او في العلوم الاجتماعية الانسانية . فهذا التخصص يكلف كثيراً من المال ، ويستنفد كثيراً من النشاط والوقت . ومن متطلباته مكتبة غنية بالنصوص والمراجع ، ومختبر وادوات دقيقة ووسائل للبحث ومتخصصون متفوقون — شروط لا تصح الا حيث يكون القائمون به قد توفر لهم الاختبار المستمر الطويل . فالتخصص من هذا النوع هو اشبه بقمة هرم يرتكز على قاعدة متينة واسعة من علوم الاجتماع واللغات والاداب والفنون والفلسفة والتاريخ والدين . ولنذكر ان المرء قبل كل شيء هو انسان ويظل انساناً ، بعد ان يصبح جراحاً اخصائياً او محامياً دولياً او عالماً نووياً او مهندساً في الطيران .

ونستطيع ان نستدل على ان هذا النظام يستطيع ان يعايش الروح القومية في بلد يستيقظ ويشق طريقه الى النهضة بان فئة كبيرة من رواد النهضة الوطنية في لبنان وغير لبنان كانت من متخرجي المعاهد الاميركية . وكذلك باقبال الطلبة على كلية روبرت في استمبول والجامعة الاميركية في بيروت والجامعة الاميركية في القاهرة . والدليل الاخر هو هذا السيل المتدفق من ابناء بلاد الشرق الادنى

على المعاهد العلمية في الولايات المتحدة الاميركية على غير انقطاع .

ان استمرار عملية التربية الاميركية في هذه البقعة من الارض – مهما كانت خدمتها او كان اثرها التعليمي – لمتوقف آخر الامر علـى مدى استمرار البلد لقبولها . انها ضيف والضيف في التربية كما في الاجتماع خاضع لشروط الضيافة .

فالتدخل الاجنبي القسري في شؤون التربية المحليـة ليس اقل استنكاراً من التدخل في السياسة. اذ ليست السيطرة التربوية اقل سوءاً من السيطرة السياسية. وهنالك شرط آخر ، وهو وجوب الاستعداد من قبل المعهد الاجنبي لان يدخل في نظامه وكيانه مـا يوائمه ويوافقه من المبادىء والخصائص التي تتميز بهـا الثقافة التي حل في ارضها . فيزيد في معلميه مـا امكن من الاساتذة الوطنيين الذين يمكن لهم ان يساهموا في مثله العليا ويشتركوا في سلوك طرقها . وبهذا تقـام القواعد لعمل ثقـافي حر متبـادل فيه اخذ وعطاء بين الضيف والمضيف ، ويشق سبيلًا للتعايش يصل بين البيئة التي نشأ فيها هذا العمل والبيئة التي انتقل اليهـا . وليس من شك آخر الامر ان الاهاب الخارجي عرض يزول ، ولكن الجوهر – اي القـيم التي لا تحسب اميركية الا اذا كانت انسانية – فيبقى. العرض يزول والجوهر يبقى . وهل يجدر بالمرء ان يسعى الى غير الجوهر ؟

هذا ميراثكم*

بقلم جون أ. ولسون

منذ اكثر من الف سنة ذكر الفلكي العربي الكبير البتاني ، أن هناك نقطة متوسطة على سطح الارض ، « قبة العالم » ، وان هذه النقطة تقع في ابعاد متساوية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب . ولا ريب في اننا اليوم نجتمع في هذه النقطة المتوسطة من العالم ، في هذه الجامعة التي هي جسر بين الشرق والغرب ، في هذه البلاد التي هي كبيضة الميزان بين الاراضي الآسيوية والافريقية والاوروبية الشاسعة ، في هذه المنطقة التي هي مصدر اشعاع ديانات وتقاليد وتاريخ وعلم . وانني ، كغربي ، كنت دائماً افضل ان ادعو هذه المنطقة باسم « الشرق الادنى » بدل « الشرق الاوسط » ، ذلك لانني احب ان اشعر بان الروابط التي تشدنا اليها هي قريبة وحميمة . على ان هناك بعض العدالة في اطلاق الاسم الآخر ، « الشرق الاوسط » على بلادكم . ذلك ان هذه البلاد كانت ، لآلاف من السنين خلت ، مركز نفوذٍ يمتدّ إلى أرجاء العالم .

انكم ، بلا شك ، تملكون ماضياً لا يرقى الى عظمته الشك. ولكنكم اليوم مهتمون بمستقبلكم اكثر من ماضيكم . انكم اليوم ، لستم بنائمين على مآثر الماضي ، مكتفين بامجاده . قد يكون ان العـــالم العربي قد نام لمدة خمسة قرون او ستة ، ولكنكم ابتدأتم تستيقظون منذ اكثر من خمسين سنة ، واليوم وانتم بملء وعيكم

* الخطاب الذي القاه الدكتور جون أ. ولسون عضو مجلس الأمناء والاستاذ الممتاز للآثار المصرية في جامعة شيكاغو ، في حفلة يوم المؤسسين بالجامعة الاميركية في بيروت يوم ٢٨ نيسان ١٩٥٩ .

تجاهدون اليوم في سبيل مستقبلكم. ولكن اي مستقبل هذا ؟ منذ خمسين سنة كان يمكن الاجابة على هذا السؤال بسهولة اكثر . فمنذ خمسين سنة كان المستقبل بالنسبة لكم يعني الحرية، الحرية من التسلط الخارجي ، الحرية من الامبراطورية العثمانية. وبعد هذا ظل المستقبل بسيطاً وجلياً، الحرية من تسلط اية قوة خارجية، والآن ها انتم قد نلتم حرية سياسية . ولكننا نعيش في عالم مضطرب؛ ولهذا لم يعد من السهولة بمكان ان نحدد معنى الحرية . انها ما تزال تعني الاستقلال والكرامة ، وحق تقرير المصير دونما اي تدخل من الخارج . ولكنكم ما زلتم انتم تتجادلون اليوم في ماهية بلدانكم وما يجب ان تكون ، وبذلك تحدّدون من يحسب انه منهـا ومن ليس منها . لهذا فان الحرية بمعناها التام ، لم تتحقق بعد .

وهناك سؤال آخر – الحرية لماذا ؟ لقد كان السؤال السابق «الحرية من ماذا؟» سهل الاجابة ، فالحرية السياسية كانت غاية بحد ذاتها يجب بلوغهـا قبل النظر في المشكلات والمسؤوليات التي تنجم عن التحرر والاستقلال . لقد وجدنا نحن ، في اميركا ، منذ مئة وخمس وسبعين سنة ، بأنه من الاسهل لنـا ان نتحد ضد قوة خارجية من ان نتحد حول منهاج عام لاجلنا نحن . انكم الآن تواجهون المشكلة عينها . فكما كنا نحن في اميركا نبحث فيما اذا كان الافضل لنا ان نبقى ولايات مستقلة او ان ننضم في اتحاد فيدرالي ، تبحثون انتم اليوم فيما اذا كان الافضل لكم ان تبقوا دولاً صغيرة مستقلة ، او ان تتحدوا في دولة عربية واحدة ، او ان توجدوا حلاً وسطاً كاتحاد فدرالي او ما شابه .

اني بكل تأكيد ، لا احمل جواباً لكم . حتى انني لو أوتيت حكمة سليمان وعرفت الجواب ، لما كان من الخير ان انصحكم . فعلى الناس ان يحددوا هم بانفسهم ، معنى الحرية بالنسبة لهم ، ومعنى الاتحاد . فالاتحـاد الراسخ يأتي نتيجة عمل الناس وجهدهم وتفكيرهم .

وهكذا ، فالحرية ليست تراخياً وراحة بعد جهاد . انهـا تحمّل اعباء مسؤوليات جديدة ومشكلات جديدة . ومن يحصل على الحرية الحقيقية، عليه ان

يعمل من اجلها باستمرار كيا يحافظ عليها . وحالما يخطر في بالكم ان مهمتكم في البحث عن الحرية قد انتهت ، وانكم قد حصلتم عليها ، واخذتم تتقاعسون عن العمل من اجلها ، فقد بدأتم تفقدونها .

انني كمؤرخ ، قد شاهدت هذه الظاهرة قبلاً في تاريخنا الغربي وفي تاريخكم الشرقي . لقد حاربتم من اجل التحرر من المصريين القدماء ، ومن الاشوريين والفرس واليونان والرومان والبيزنطيين والصليبيين والاتراك ، واخيراً من اجل التحرر من الدول الغربية . وقد حصلتم ، في معظم الاحيان على حريتكم، وكانت لكم امجاد زاهرة ايام الفينيقيين ، والتدمريين ، والانباط ، والامويين ، وغيرهم . وفي العهود الاسلامية الاولى بلغ هذا الجزء من العالم درجة من النشاط الثقافي لم توازَ في اية بقعة من العالم . ولكنه لم يكن ابداً من الحكمة ان يركن الى هذا المجد وان يُنام عليه ، لانه سريعاً ما كان يفقد .

لعلكم الآن تقفون على عتبة مرحلة جديدة من المجد . فالشعوب العربية تملك موارد عظيمة : المقادير الضخمة من النفط المخزون ، عدد السكان ، والموقع الستراتيجي بين الشرق والغرب . وفوق كل هذا فهناك تصميم على النجاح وثقة جديدة بالنفس ، وهذان موردان بالغا الشأن . في عالمنا الحاضر القلق هذا ، اين تجدون ، بل اين تجد اية امة في العالم المورد الروحي والفكري الضروري لمجد زاهر ؟ ان الجواب على هذا السؤال ، ليس بالهين ، كذلك .

انني اميل الى معالجة هذا السؤال بذهنية المؤرخ . ما هي القدرات الروحية والفكرية التي تظهر من خلال ماضيكم ؟ لا جدال في انكم انتم انفسكم ، ولستم اجدادكم ، وانكم تنظرون الى المستقبل وليس الى الماضي . ولكن في دمائكم تجري تقاليد عظيمة من القرون السالفة، وهذا يجب ان يكون مصدر امل ووعد لكم في ما يمكن ان تحققوه في المستقبل .

من الناحية الروحية ، ان تراثكم هو من العظمة بحيث يفوق تراث اية بقعة اخرى من العالم . فبين اديان العالم العظمى ، العبرانية ، والمسيحية ، والاسلام ،

والبوذية ، والكونفوشية ، ثلاثة اديان نشأت فوق هذه الارض. لم ينزل الله وحيه بالمقدار والوضوح ، في اية بقعة اخرى من العالم، كما انزله في الشرق الاوسط . ان هذا الامر معروف حتى ان احداً لا يحتاج الى اقامة الحجة عليه. ولكن قد يخطر في بال احدنا ان يتساءل فيما اذا كان انسان هذا العصر القلق يسعى فعلاً لمعرفة الله ، او انه يستمع الى كلمة الله كي تغنى حياته .

ومن الناحية الفكرية ، يحفل تاريخكم أيضاً بما هو عظيم حقاً . فالمدنية قد بدأت هنا ، في حضارات مصر وبابل القديمة . ومن هنا شعت اضواء المدنيـة على شعوب آسيا ، وبعد ذلك ، الى شعوب اوروبا . وفي نطاق الشرق الادنى القديم كانت شعوبه متباينة ومستقلة بعضها عن بعض . اننا اليوم نقف على الارض التي كانت تعرف قديماً بفينيقيا ، هـــذا الوسيط الحضاري العظيم ، الذي حملت سفنه كنوز الشرق الاوسط الى مختلف اصقاع العالم . والى الشمال من هذا المكان تقع جبيل Byblos القديمة ، التي اخذ عنها الغرب كلمة « Bible » و «Bibliotheque» . لقد كان الفينيقيون ينتقون ما يشاؤون من حضارات الشرق الاوسط ، وكان لهم فنّ يجمع عناصر مختارة من الفنون الشرقية فان ما ندعوه اليوم « بالعاج الفينيقي» هذه القطع الفنية الصغيرة الحية ، هي نماذج عن الآلهة المصرية والبابلية ، ولكنها نماذج مختلفة عن الاصل بوضوح . وقد نشر الفينيقيون هذه الاعمال الفنية في العالم الذي يحفّ بالبحر المتوسط كله .

واننا ، نحن في قاعات الجامعة هذه ، يجب ان نسجل تقديرنا العميق لاختراع عظيم قـــام به اجدادكم. لقد استعاضوا عن الكتابة المصرية الهيروغليفية والكتابة البابلية المسمارية بنظام كتابي بسيط ، بواسطة الابجدية . لا يزال هناك جدل حول المكان الذي تم فيه اختراع الابجدية ، ولكن لا جدال في ان هذا المكان هو في بقعة ما من العالم السامي ، وان الفينيقيين هم الذين نشروه في بقية العالم . لقد كان هناك اربعة اختراعات عظمى في تاريخ البشرية ، اليها يرجع الفضل في اعطـاء كل انسان في العالم اليوم مجال التعليم ، والابداع الفكري . هذه الاختراعات هي : الكتابة نفسها، التي نشأت على الارجح في بلاد بابل قبل اي مكان اخر، والابجدية

وقد ابتدعها الساميون في مكان ما من الشرق الادنى ، وورق الكتابة ، وقد اكتشفه الصينيون ، وحمله العرب الى الغرب ؛ والمطبعة التي يشترك الصينيون والاوروبيون معاً في فضل اختراعها . فكروا بمقدار ما كان على التلميذ المصري او البابلي القديم ان يقوم به خلال عملية الكتابة ، تتحققوا كم كان اثر هذه الاختراعات عظيماً في تحرير البشرية .

لقد كانت الكتابة الهيروغليفية او المسمارية من الصعوبة لدرجة ان الكاتب كان يحتل مكاناً مقدساً في الحضارات القديمة . هناك كتابة مصرية ترجع الى اكثر من ثلاثة الاف سنة ، تقول ما معناه ان مؤلف الكتاب قد يموت ، وقد ينسى حتى اولاده واحفاده ، غير ان كتابته تبقي ذكراه في النفوس ويصبح جميع الناس اولاده واحفاده الابرار[1] . كم يصبح لهذا المؤلف من الاولاد والاحفاد عندما تدخل الابجدية في هذا المجال فتسهل انتشار الكتابة وتمكن كل انسان من الاستفادة منها !

لقد كان الانسان في الشرق الادنى القديم يأخذ بالافكار والوسائل الجيدة التي كان يتعلمها دون ان يسأل عن مصادر هذه الافكار أشرقية هي أم غربية ، محلية ام اجنبية ، آسيوية ام اوروبية . وكان بهذا يعبر عن حرية في الاختيار ، كما يعبر عن نضج واحترام للنفس . عندما حاول رسول مصري منذ ثلاثة آلاف سنة ان يحمل حاكم مدينة جبيل ، على ان يرسل شيئاً من خشب الارز الى مصر بدون مقابل ، كان جواب الامير الفينيقي انه يعترف بفضل مصر عليه الناشىء عن مجيء اهل الحرف والعمال المهرة من مصر الى شواطىء هذه البلاد . ولكن هذا لم يجعله عبداً للآلهة المصرية : «انني لست خادماً لك ، ولا خادماً للذي ارسلك الى هنا !» وكأمير فينيقي صلب المراس ، اصرّ على ان يتسلم ثمن البضاعة قبل تسليمها[2] . ان التاريخ القديم يزخر بالامثلة عن شعوب اقتبست افكاراً ووسائل فنية كثيرة من شعوب سواها ، ولكنها في نفس الوقت حافظت على استقلالها في الحكم والعمل .

1. *Ancient Near Eastern Texts relating to the old Testament* edited by James B. Pritchard (Princeton University Press, 1950), PP. 431-32

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧ .

لنترك التاريخ القديم ، الذي قد يظهر لنا اليوم ، بعيداً عنا ، ولنأخذ بعض الامثلة من التاريخ الحديث ، من تاريخ الشعوب العربية والاسلام .

احدى الظواهر الكبرى في التاريخ كان الانفجار الحضاري الذي رافق انتشار الاسلام في القرون الاولى بعد الهجرة . لقد كان العالم اللاتيني ميتاً ، والعالم البيزنطي كان يتقهقر ، حين انبثقت في الشرق الادنى حركة منتصرة ، منتصرة بالدين الجديد وبالفتوحات العسكرية ، كما كانت منتصرة بقوتها الفكرية . لقد عرف الانسان كيف يبلغ درجة العظمة ، في تلك الايام .

اخذ العالم يتساقط امام ضربات الفاتحين العرب ، كالاثمار الناضجة . فبعد ست سنوات من وفاة النبي ، سقطت اورشليم . وبعد تسع سنوات سقطت الاسكندرية التي كانت مركز الحضارة الهلنستية . وبعد اربع سنوات اسلمت بلاد فارس . وامتد التغلغل غرباً حول الشاطيء الافريقي حيث استغرق مدة اطول ، ولكن في العام ٥٠ للهجرة تأسست مدينة القيروان في تونس ، كما تم فتح اسبانيا في العام ٩٢ للهجرة . هناك نقطتان اود ان اذكرهما ، اولاً : ان هذه الحركة كانت حركة منتصرة ، اجتاحت كل ما اعترض سبيلها . ثانياً : ان العرب الخارجين من الصحراء لم يكن لديهم اي نظام اداري معين يجعلهم قادرين على ان يحكموا البلاد الراقية التي قهروها ، كسورية او ايران او اسبانيا . فكان عليهم ان يتقبلوا ما كان موجوداً وان يتكيفوا بموجبه ، وقد فعلوا ذلك بكل مهارة وتسامح . لقد كانت هذه الطواعية للتكيف سراً من اسرار نجاحهم .

لقد ظلت الحضارة متأصلة في العالم العربي – الاسلامي خمسة قرون او ستة ، بينما كانت اوروبا غارقة في عصور مظلمة ، والامبراطورية البيزنطية راكدة . ان العالم مدين للشرق الادنى بمقدار حضاري كبير لحفظه الدين والفلسفة والعلم والتكنولوجيا وزيادته فيها وترقيتها وتطويرها .

من السهل بمكان ان نبين فضل العرب والمسلمين على الغرب خلال القرون الوسطى . فاذا ما احتجنا الى دواء فاننا نذهب ونفتش عن صاحب حانوت اسمه في العربية :

الكيماوي al-Kimawi . ونجد ان هذا الكيماوي قد تعلم أن يستعمل كلمات عربية : الكحول alcohol والقلي alkali والطلق talc والشراب sirup والأنبيق alembic واذا ما استحضر هذا الكيماوي شيئاً ما بواسطة التقطير والبلورة فغالب الظن انه يفعل ذلك على الطريقة التي وصفها جابر بن حيّان منذ الف سنة تقريباً .

ثم اذا مــا نظرنا الى السماء ليلاً وبدأنا بتسمية النجوم ، فاننــا نستعمل بعض الكلمات العربية . ان علم الفلك يضم مجموعة من المفردات العربية اكثر من اي علم آخر في الغرب . لعلنا نرى في السماء : التابع Aldebaran الفرس Alpherat ، الطائر Altair ، رأس الأسد Rasalas ، ذنب الاسد Denebola ، ارنب Hare او مركب Ship .

لعل اعظم خدمة اداها العرب ، هي ابسط الجميع ، انهــا : لا شيء ، الصفر ، وبقية الارقـام العربية . عندمــا نتذكر الطريقة اللاتينية المعقدة ، حين كانوا يستعملون الاحرف الابجدية للدلالة على الارقام نفهم كم كان حظنا كبيراً بالارقام العشرة ، خــاصة ذلك الشيء الصغير ، الصفر . ومع ان الخوارزمي ، الرياضي والفلكي العربي الكبير ، قد دعا هذه الارقام ارقاماً هندية منذ اكثر من الف ومئة سنة ، فان هناك اتفاقاً عند العلماء على ان العرب هم الذين أعطونا هذه الطريقة الفذة[1] . وقد مضى قرنان ونصف قرن قبل ان تعرف الارقام العربية بما فيهــا ، الصفر ، في اوروبا .

وكذلك في حقل الطب ، فالمــآثر كثيرة . فمنذ حوالي مئة سنة قبل العهد الاسلامي كان هنــاك مستشفى كبير ومدرسة طبية في جنديسابور في الجنوب الغربي من ايران ، حيث قام مركز من أكبر المراكز العلمية في الشرق الادنى ، وقـد استمرت جنديسابور في الازدهار خلال العهـد الاموي والقسم الاول من العهد العباسي ، ولم يتم انتقال المركز الطبي والتعليمي الى بغــداد الا حوالي العـام ٨٥٠ .

---

1 Carra de Vaux, in *The Legacy of Islam*, edited by Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaume (Oxford 1931) pp. 384-85

وبامكاننا ان نقدم شكرنا للطبيب العظيم ، الرازي ، الذي عاش في ايران في القرنين التاسع والعاشر والذي قدم للعالم دائرة معارف للشؤون الطبية . وقد كتب الرازي رسالة شهيرة في مرض الجدري والحصبة حين لم يكن في الغرب ما يعرف بالدراسات الطبية .

منذ سنوات قليلة كنت اتكلم مع طالب اميركي شاب ، فذكر اسم اميل دور كهايم الفرنسي ، كأول عالم في الاجتماع . فسألت هذا الطالب فيما اذا كان قد سمع باسم ابن خلدون الذي عاش في القرن الرابع عشر ، اي حوالي خمسمئة سنة قبل دور كهايم . لقد كان ابن خلدون مؤرخاً وقد قام كفيلسوف في التاريخ ، بالبحث في التطوُّر الاجتماعي كما عرفهُ في مصر في ايامه . لقد وصف بدقة عظيمة عملية نزوح الفلاحين من الريف الى المدينة ، ووضع المبدأ القائل بان الانسان هو بالفطرة ، كائن مديني اجتماعي «الانسان مدني بالطبع» ، وبهذا ينبغي ان تكون دراسة التاريخ من خلال التطوُّر الاجتماعي .

ويذكر ابن خلدون في **المقدمة** ، تلك المهن التي تعتبر اكثر منفعة للمجتمع . فهناك النشاطات التي لا غنى لاي مجتمع عنها ، كالزراعة ، والحياكة ، والبناء وسواها ؛ والنشاطات الاخرى التي تنطوي على اهداف «نبيلة» كالطب والموسيقى وفن المكاتب ، والكتابة ، وهي مهنة خاصة للكتبة . وقد يدعو للخيبة ان ذكر المعلم لا يأتي في هذه اللائحة ، غير ان الاحترام للكتب واستعمالها في فن المكاتب يدعو الى الاعجاب . قد يرفع من مقام المعلم ان نذكر بعض الاقوال التي جاءت على لسان علي ابن ابي طالب ، صهر النبي ، اذ قال : « اعتقد ان من الواجب ايفاء المعلم النصيب الاكبر من الاحترام ، وعلى كل مسلم ان يقوم بهذا الواجب . ومن الواجب ايفاء المعلم مقدار الف درهم مقابل كل حرف من الابجدية يعلمه . »[1]

لا شك ان هذا القول ينطوي على شيء من المبالغة الشعرية ولكن كل معلم يسرُّهُ ان يستوفي أجراً على اساس هذه التقديرات بعد حسم معقول !

نعرف جيداً في الغرب ان عصر النهضة في اوروبا قد قام بواسطة دراسة

1 Quoted in G.E. Von Grunebaum, *Medieval Islam. A Study in Cultural Orientation* (Chicago, 1964) p. 235

الآثار الكلاسيكية ، خاصة كتابات ارسطو . واكتشاف الفكر اليوناني من جديد كان القوة المحركة العظمى التي انتشلت اوروبا الغربية من ظلمة الفكر .
ولكن مما لا شك فيه ان المسألة معقدة اكثر من ذلك ، اذ انها تحتوي على حملات الصليبيين والحملات الصليبية المعاكسة ، وتغلغل المغاربة في اسبانيا وانتشار التجارة عبر المتوسط ، وخلافه . ولكن يجب ألاّ يغرب عن البال ان اكتشاف الغرب لارسطو انما جاء عن طريق العرب والمسلمين . قد يدعو الى السخرية ان افكار الفيلسوف الاغريقي الكبير قد ترجمت الى اللغـات الغربية لا عن طريق اليونانية الاصلية بل عن طريق النسخات العربية ، كترجمة الفارابي وابن سينـا والغزالي .
لقد كان العرب يدرسون عباقرة الماضي لقرون طويلة ، وقد وضعوا شروحاً على كتابات هؤلاء العباقرة ، وكانت هذه الشروح معبرة لافكارهم المستقلة ؛ وهكذا كانت هذه التراجم العربية تنطوي على مناجم من الفِكَر التي نقلت بعد ذاك الى الغرب واصبحت موضع مناقشاته . وهناك امر آخر يدعو الى السخرية ، ولكنها سخرية محزنة ، وهو ان بعض كتبة الغرب المسيحي لم يعترفوا بفضـــل الفلاسفة العرب ، ولكنهم شعروا بان عليهم انقاذ ارسطو من قبضة المسلمين الذين نقلوه، واظهاره بمظهر جذاب للعالم المسيحي .

لقد كان دور الفلاسفة العرب دوراً شريفاً ، ومن الممتع ان نستعرض اسماءهم لنتبين سعة المنطقة التي عاشوا فيها وعلموا . لن اذكرهم جميعاً ، **فالكندي** الذي عاش في القرن التاسع ينتمي الى بغداد، **والفارابي** الذي عاش بعد قرن هو تركي الاصل تلقى علومه في بغداد وعاش مدة طويلة في حلب . وجاء بعدهما **ابن سينا** الذي ولد في بخارى وعاش في ايران، ثم **الغزالي** ، وهو فارسيٌ ، عاش في العراق وسورية، وفي القرن الثاني عشر جاء **ابن رشد** العظيم الذي اتخذ مدينة قرطبة في اسبانيـــا ، مركزاً لنشاطه .

لقد كانت المسافة من قرطبة الى بخارى مسافة شاسعة، كتلك التي كان على ابن خلدون ان يقطعها في رحلته من تونس الى القاهرة . ولكن العامل الرئيسي الذي كان يميز ذلك العصر العظيم هو انـه كان هنالك عـالم فكري واحد يجمع اطراف

هذه الابعاد ، وهو العالم العربي – الاسلامي . وكان ينتقل في ارجاء هذا العالم من يشاء من العلماء والمفكرين بحرية تامة . لقد كان النـاس في ذلك الزمان ينظرون الى انفسهم كمسلمين او كمسيحيين قبل كل شيء ، وبعد هذا كسكان مدينة او بلدة ما ، كدمشق او بيروت ، ولكنهم نادراً ما كانوا ينظرون الى انفسهم كمواطنين سوريين او مصريين او تونسيين . لقد كان ذلك العالم عالماً بسيطاً في تركيبه اذ كانت الحركة والتنقل بين اطرافه حرة وسهلة . فكروا بزمن كان المرء يستطيع ان يسافر ويتجول بدون جوازات سفر او رسوم جمركية او رسوم دخول أو قيود النقد او ما سواها !

ان المفكرين يجتذبون التلاميـذ ، وهكذا اخذت الجامعات تزدهر في البلدان العربية . فافتتح جامع الازهر في القـاهرة منذ الف سنة ، وبعد قرن من الزمن افتتحت جامعة النظامية في بغداد . هذان المعهدان بدأا قبل المعهد الطبي فى سالرنو فى ايطاليا بقرون عدة ، وقبل اول جامعة اوروبية في بولونا . على اية حـال كان قيام المدرسة الطبية في سالرنو تحت التأثير العربي .

في عام ١٢٣٤ للميلاد افتتحت جامعة المستنصرية الشهيرة في بغداد. وقد يدعو الى السرور ان يعرف المرء شيئاً عن الترتيبـــات والتسهيلات الحديثة للطلبة في تلك الجامعة . فلم يكن لهم امكنة للطعام والمأوى فحسب ، بل كان هناك مستوصف يلازمه طبيب خاص لمعاينة الطلاب ورعـــاية صحتهم . وفي المكتبة كان الطلاب يسمح لهم بالدخول الى رفوف الكتب للتنقيب في المخطوطات النادرة ، واذا مـا اراد احدهم ان ينسخ شيئاً ما من الكتاب ، ككتاب الادريسي عن الجغرافيا او كتاب الفارابي عن الموسيقي ، كان يعطى ريشة وحبراً وورقاً ومكاناً ليستعمله ، وهكذا نرى كيف ان الجامعات الحديثة اليوم انما تتبع خطى الجامعـات العربية منذ سبعمئة سنة !

لا اقصد ان استنفد كنوز هذه القرون الزاهرة من تاريخ الشرق الادنى. الا ان القوة الروحية والفكرية التي ظهرت في هذه المنطقة هي كثيرة الشبه بالقوة التي

ظهرت خلال عصر اليونان الذهبي او عصر النهضة في اوروبا . لقد انتقل النور من الشرق الى الغرب بصور مختلفة . فما كان في الشرق لم يكن مقتصراً على جامعات وبحاثين كبار ، او على نقل ارسطو الى اللغة العربية ، او الى غزو اوروبا عن طريق اسبانيا وصقلية وجنوب ايطاليا وعودة الصليبيين الى اوروبا بعد غزوة الشرق الاوسط الاكثر تمدناً . ان وسيلة اخرى هامة كانت ذات اثر فعال في نقل الاثر الحضاري ، وهي التجارة بين الشرق الادنى واوروبا ، فالاقمشة والمنسوجات ، والاواني الخشبية والمعدنية نقلت الى اوروبا واثرت في الفن هناك . والدمقس والموصلين وغيرهما ، اصبحت كلمات غربية لانواع ثمينة من الاقمشة . والليمون ، والبرتقال ، والارضي شوكي ، انتقلت بشكلها العربي كأسماء لانواع مختلفة من مواد الطعام النفيسة .

معظم التجارة كانت في البضائع الفخمة الخاصة بالترف كاللازورد ، والبلدكان ، والمسك وعود الند والقرفه ، التي كانت تنتقل من الشرق الى الغرب مقابل الحرير والفرو والعبيد . وعلينا الا ننسى الورق ، هذا المنتوج البسيط الذي ابتدأ كشيء غريب في البدء ثم تطور بعد حين ليصبح وسيلة هامة من وسائل التبادل الحضاري . وكان اول دخول الورق الى اوروبا عن طريق الشرق الادنى ، واول جماعة اهتمت بصناعة الورق في اوروبا كانت جماعة المغاربة في اسبانيا . وهكذا يمكننا اضافة الورق الى جانب الابجدية والارقام العربية كوسائل تربوية هامة .

ومن خلال هذه التجارة الناشطة اخذت الكلمات التجارية تنتقل من اللغة العربية الى اللغات الاوروبية . من هذه الكلمات : «Magazine» من كلمة « مخزن » ؛ « tariff » من كلمة « تعريف » ؛ «traffic» من كلمة « تفريق » و « check » من شك و «risk» من رزق . واني كإستاذ اشعر بشيء من السرور حين اعترف بوجود وسائل اخرى لنقل الثقافات الى جانب المعلمين والكتب .

بايجاز كلي اقول ، ان هذا هو تراثكم . هذا ما ورثتموه من تاريخ الشرق الادنى القديم الممتاز ومن تاريخ نهضة العرب الممتازة ايضاً . وانكم تعرفون قصة

القرون الاخيرة المحزنة ، حين وضع الفاتحون ايديهم على مآثركم، وكيف تعرقلت خطواتكم . من الثابت ايضاً، ان الانتصارات الكبيرة تحمل في طياتها مخاطرها الخاصة ، كالتواكل والتقليد بدل الابداع والتقدم. من المعقول كثيراً ان حضارة ما ترتد الى الوراء بعد احرازها انتصاراً كبيراً ما .

مهما يكن الحال ، فالعالم العربي - الاسلامي قد بقي في سباته لقرون معدودة. وجاء دور اوروبا للانطلاق في حقول الفلسفة والعلم والتكنولوجيا. لا شك ان النهضة الاوروبية لم تعرف وحياً دينياً كالذي رافق النهضة الاسلامية في بدئها ، فالحركة البروتستنتية كانت حركة اصلاحية لا وحياً لدين جديد . ومع هذا فقد كان لاوروبا انتصاراتها العظيمة ، وقد استعملت ما تركتم انتم لها من مخلفات . ومنذ ايام نابوليون ، خلال القرن والنصف الاخير تغير اتجاه التأثير الحضاري ، فاصبح ينطلق من الغرب باتجاه الشرق .

ولقد اعطاكم الغرب مفهوماً معيّناً لا تزال قيمته موضع جدل ، وهو مفهوم القومية . ولا اراني في حاجة الى التكلم عن هذا ، لكثرة ما يقال عنه في بلادكم كل يوم غير اننا نحن في الغرب قد ابتدعنا مثال الديمقراطية ، ومهما يكن تعبيرنا عن هذا المثال ضعيفاً احياناً ، ان في داخل بلداننا او في خارجها، فلا شك انه كان كبير الاثر. كما اننا اقمنا دعائم العلم والتكنولوجيا واستعملناها من اجل عالم مادي افضل ، ويمكنكم ان تفعلوا انتم الشيء نفسه .

ولقد نقلنا اليكم انواعاً مختلفة من الاستعمار ، في محاولة منا للتحكم ببلدان اخرى وبمنتوجاتها وتجارتها، ولتأمين اسواق لصناعاتنا. لقد تلقى الاستعمار حملات من النقد كبيرة،حتى ان الواحد يجد نفسه مضطراً للقول ان الاستعمار لم يكن كله شراً . لقد حمل الاستعمار شيئاً من الاستقرار والسلم الى البلدان المضطربة ، وقد ادى هذا الى تحسين الصحة العامة وتوزيع افضل للمنتوجات . وفضلاً عن هذا فقد كان الاستعمار عاملاً غير مباشر حرّك الشرق من سباته العميق ، وبعث في بلدان آسيا وافريقيا الرغبة في التحكم بقدراتهم بأنفسهم .

وكذلك فقد نشطت الحركة التجارية . فمع ما حمله الغرب اليكم من سيارات وراديوات ومشروبات روحية تمكنتم من الحصول على الادوية والكتب المدرسية وعلى وسائل حفظ الطعام . وكما حملت تجارة القرون الوسطى من الشرق الى الغرب بعض الامتعة وحاجيات الترف ، الى جانب بعض المنتوجات الحضارية القيمة ، كذلك حملت تجارة الغرب الى الشرق نفس المزيج من المنتوجات الجيدة والسيئة .

ان افضل ناقل للفكر هو المعلم ، الانسان المكرس نفسه للعلم والراغب في ان يكرس غيره انفسهم لنفس الهدف . وهكذا فقد حمل الغرب اليكم بعض المعلمين . بشكل ارساليات في البدء ، ثم بشكل جامعات علمية كبرى . وقد قامت في بيروت منذ تسعين سنة الكلية السورية الانجيلية التي اصبحت فيما بعد تعرف بالجامعة الاميركية في بيروت . وفي نفس الوقت تقريباً كان اليسوعيون يعملون على افتتاح جامعة القديس يوسف لنفس الغرض السامي الذي هو نقل الفنون والحياة الحديثة الى الشرق . وبهذا يكون الغرب يؤدي شيئاً من دينه لاساتذتكم وجامعاتكم خلال القرون الوسطى . لقد اصبحت هذه الجامعات عالمية تضم معلمين وطلبة من بلدان مختلفة وبعيدة . انها لا شك تؤدي خدمة للبنان ، ولكنها بمعنى آخر تؤدي خدمة للبشرية عن طريق خدمتها لمركز العالم هذا .

لا شك ان هذه الجامعات والمعلمين الذين جاءوا من الغرب كان لهم اثر كبير في التربية هنا . فلقد ظهرت الجامعات الوطنية في مصر وسورية . وبعد ذلك في لبنان والعراق وليبيا بقصد توفير التدريب الضروري لابناء هذه المنطقة ليتمكنوا من تحمل الاعباء الجديدة الملقاة على عواتقهم . ولم يقتصر الامر على هذا ، بل ان جامعات ضخمة وقديمة في هذه البلاد ، كالازهر ، رأت من الحكمة ان توسع وتعمق مناهجها الدراسية استجابة للمتطلبات الجديدة . ان هذه المؤسسات جميعها ، الغربية منها والوطنية والتقليدية يدعم بعضها البعض ، ذلك انها جميعها تعمل للهدف العلمي ذاته ، الا وهو البحث عن الحقيقة .

اسمحوا لي الآن ان اعود قليلاً الى ايام المجد الماضية فلعلها تنطوي على عبرة لحاضرنا . لنأخذ تلك السلسلة من الفلاسفة العرب . فبعضهم كان عرباً بالولادة ، والبعض الآخر بانتمائه للعلوم العربية . لقد جاءوا من الشمال والشرق والغرب، ولكنهم حين كانوا ينزلون في بغداد او القاهرة او دمشق كانوا يشعرون وكأنهم في بيوتهم ، وذلك بفضل الجو العالمي الذي كان سائداً في تلك الايام السعيدة . كانت السياسة اقل اقتحاماً لمشاعر الناس ، واخف وطأة على نفوسهم . وهكذا ، فانني ارى انه متى كانت المسألة مسألة علم او فلسفة فيجب ان يبقى الاهتمام منصباً على السعي وراء الحقيقة ، لا على وضع الحواجز القومية .

اذا كنا جميعاً مهتمين باكتشاف حقيقة ما متعلقة بناحية معينة من نواحي العلوم ، فيجب الا يكون هناك فرق بين ان نكون لبنانيين او اميركيين او فرنسيين او سوريين . فاننا من وراء اختلاف لغاتنا واختلاف ماضينا، سنتخاطب بلغة علمية مشتركة وستسود بيننا روح مشتركة .

وبمعنى آخر ، انه لمن الضرورة القصوى ان يتمكن الغربي والشرقي من التخاطب والتفاهم معاً بلغة العلم . يعني هذا اننا غير حريصين على اخفاء الاسرار العلمية كأن يكون الاميركي وحده قادراً على فهم الفيزياء النووية او العربي وحده على فهم دراسات قدامة بن جعفر حول الشعر العربي . اننا نؤمن بأن الحقل العلمي لا يزال مفتوحاً امام كل من يفتح قلبه له ، كما كانت الحال هنا منذ الف سنة .

لقد كانت هناك صفة اخرى تميز العلماء العرب . لقد كانوا يتوقون دائماً الى تقبل الفِكَر دونما اعتبار لمصدر هذه الفِكَر . ان عدم تقبل العلماء المسلمين للفكر غير الاسلامي ابان فتوحاتهم الاسلامية الاولى امر يمكن فهمه . وقد كان هناك شيء من عدم التقبل هذا ؛ غير ان العلماء المسلمين العظماء كانوا دائماً فوق هذه الاعتبارات . لقد كان اهتمامهم منصباً على التعرف على افضل الفكر ، واخذوا يقتبسون من الغرب والشرق ، من اليونان والبيزنطيين والفرس والهنود . لم يكونوا يهتمون كثيراً عمن يقتبسون ، كان اولئك مسلمين ، ام نصارى ام يهوداً . لقد كان المهم آنذاك في العصور الوسطى ، ان تكتشف العقول الجيدة التي تملك الفكر

الجيد .

ومن حسن الحظ ، ان هذه العملية لم تقتصر على الاقتباس ، بل تعدتها الى اغناء العلوم التي نقلها العلماء العرب . فمن رياضيات اليونان، انشأ العرب الجبر، وابتدأوا يستعملون تلك الارقام البسيطة الجميلة . ومن الفلك والكيمياء التي اخذوها عن العالم الهلنستي انشأوا علوماً اخرى عن الاجرام السماوية وعن علم الكيمياء . لقد اخذوا آلة فلكية يونانية ، وهي الاسطرلاب، وحسنوا فيها. ان النقطتين الهامتين هنـا انهم ما كانوا يخجلون ان يقتبسوا ، وثم انهم لم يكونوا مقتبسين وناسخين فحسب ، بل اضافوا الى ما اقتبسوه وادخلوا التحسينات عليه . هذه هي خصائص الروح العلمية الصحيحة . ولا يزال بامكاننا نحن ، في هذه الايام التي تطور العلم فيها كثيراً ، ان نتعلم الكثير من القدماء عن مزايا الروح العلمية .

في مطلع هذا الكلام سألت عن الهدف الذي ستستعملون حريتكم من اجله ، واعترفت بأنه لا يمكنني اعطاء الجواب ، وانكم انتم وحدكم قادرون على اعطاء الجواب في المستقبل . لعل روح هـذا الجواب قد اعطيت لكم على لسان اقدم فلاسفتكم العظماء الاول، وهو ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي الذي عاش في بغداد منذ الف ومئة سنة . قـال الكندي ان الحرية والخلود لا يمكن بلوغهما حقاً الا في عالم العقل فاذا كان الانسان يهدف لان يصير حراً حقـاً ولان يبلغ الخلود ، فعليه ان يجهد ابداً لاغناء عقله عن طريق الدراسة ومحاولة فهم الله والكون .

كان هذا جواب رجل عـالم ومتدين . ولم يكن جواباً سهلاً ، انه يعني ان نرفع اعيننا وقلوبنا من خضم القلاقل والمشكلات التي تحيط بنا لنكرس انفسنا معاً في سبيل التنقيب الدائم عن معنى عالمنا وعن المقاصد التي يخبئها الله لنا* .

* لقد اعتمدت في هذا الحديث على :
دائرة المعارف الاسلامية (ليدن ولندن ، ١٩١٣ — ٣٨) ؛ تراث الاسلام تحرير السير توماس ارنولد والفرد جيوم (مطبعة جـامعة اكسفورد، ١٩٣١) ؛ غوستاف ي فون جرونيبوم ، الاسلام في العصر الوسيط . دراسة في التوجيه الحضاري (مطبعة جامعة شيكاغو ، ١٩٤٦) والشرق الاوسط في انتقـال ، تحرير ولتر ز. لاكور (نيويورك ، ١٩٥٨) .

دراسة مقارنة لامتيازات النفط العربية والفنزولية

بقلم هيثم ملوحي

ماجيستير في الاقتصاد المالي

يشغل موضوع النفط وعائداته كلاً من الحكومات والرأي العام في البلدان العربية لسببين رئيسيين **اولهما** ان العالم العربي يمتلك ٥٦ ٪ من احتياطي النفط في العالم حسب احصاءات عام ١٩٥٨ ومن الممكن ان ترتفع هذه النسبة الى ٦٤٪ . **وثانيهما** حدوث تغيرات جذرية في انظمة الحكم في بعض البلدان العربية الامر الذي سيجعل ، فيما اعتقد ، استمرار استغلال النفط العربي بالشروط المجحفة الحالية التي تنص عليها امتيازات النفط الحالية امراً متعذراً وخاصة ان الرأي العام العربي قد تبين اهمية النفط في تطوير وتنمية اقتصاديات الدول العربية وبالتالي رفع مستوى معيشة المواطنين .

ويأتينا التاريخ الاقتصادي بالامثلة فهذه اسبانيا في القرن الخامس عشر وقد بسطت سيطرتها على بحار العالم قاطبة واصبحت اقوى امبراطورية في العالم فاستولت على امريكا الوسطى والجنوبية ونقلت معظم الذهب والمعادن الثمينة الموجودة فيها الى اراضيها ولكنها بدلاً من ان تستخدم هذه الثروة الطائلة في تصنيع وتنمية مواردها الاقتصادية عمد الاسبانيون الى انفاقها على السلع الكمالية من خمور معتقة ومنسوجات فاخرة وجواري الخ... وعرف الانجليز الذين كانوا

يزودون اسبانيا بالكماليات كيف يستفيدون من هذه الفرصة فكان أن تسرب الذهب بوفرة الى بريطانيا التي استعملته في بناء صناعتها و كغطاء لنقدها . ويؤكد معظم المؤرخين الاقتصاديين ان هذا الذهب هو اهم الاسباب الرئيسية التي ادت الى نشوء الامبراطورية البريطانية وسيطرتها على قسم كبير من موارد العالم الاقتصادية . وكان من جراء فشل اسبانيا في استخدام ذهبها لاغراض التنمية الاقتصادية وخاصة في اصلاح نظامها الزراعي ان تضعضعت احوالها وما لبثت ان هزمت امام الاسطول البريطاني فيما بعد ثم اخذت امبراطوريتها تتقلص تدريجياً حتى اصبحت فيما بعد دولة من الدرجة العاشرة .

وهكذا امر النفط في البلاد العربية فهذا الذهب الاسود السائل يؤلف ثروة العالم العربي الرئيسية ولا اكون مبالغاً اذا قلت ان تطوير وتنمية الاقتصاد العربي تتوقف بصورة حتمية على حسن استخدام عائدات النفط بصورة حكيمة في مشاريع الاعمار والتنمية ولا عجب فان الثروة العربية النفطية هي هائلة ولعل الثروات التي تخيلها اجدادنا في قصص الف ليلة وليلة لا تبلغ قسماً كبيراً من كنزنا النفطي الدفين في باطن الارض .

ولعلي لا اتعدى الحقيقة السافرة عندما اقول ان قضايا وشؤون استثمار النفط العربي وخاصة ما يتعلق منها بالعائدات الحقيقية والارباح الصافية وتكاليف الانتاج هي مجهولة لدى المسؤولين فلا الشركات العاملة تكشف لنا النقاب عن هذه المعلومات لحرصها الاكيد على جني اكبر قدر مستطاع من الارباح ولا الحكومات المعنية تمتلك عدداً وفيراً من الاخصائيين في قضايا النفط والاقتصاد لتقوم بدراسات علمية دقيقة عن هذا الموضوع . ولست ازعم في هذا المقام ان الدراسة التي قمت بها عن هذا الموضوع هي كافية وافية ولكن يمكن اعتبارها محاولة اولية لسبر غور موضوع على درجة كبيرة من التعقيد فضلاً عن ان الاحصائيات الدقيقة والضرورية لدراسة كهذه هي متوفرة لدى شركات النفط فقط والاخيرة تأبى ان تنشرها فضلاً عن ان قسماً لا يستهان به من المعلومات الاحصائية الضرورية هي

غير موجودة اصلاً .

يحتل النفط مكاناً بارزاً بين المواد الخـــام العالمية فهو يؤلف ٤٠٪ من مجموع التجارة العالمية ولا عجب فالنفط بطاقته الحرورية الهائلة هو عصب الصناعة الحديثة كما انه يلعب دوراً هامـاً في كسب الحروب التي اصبحت تعتمد عـــلى الآليات والوقود السائل ، كما ان مشتقات النفط الكثيرة تدخل في صناعات كثيرة جداً اهمها الصناعات النفطية الكيماوية ولذلك اصبح امر الحصول على النفط بكميات كافية ضرورة حتمية لكل دولة وخاصة الكبيرة والصناعية منها .

ويتوجب علينا في دراسة كهذه ان نلم بوضع صناعة النفط العالمية وخصائصهـا كيما نتمكن من دراسة اوضاع صناعتي النفط العربية والفنزولية اللتين تكونان جزءاً متمماً لصناعة النفط العالمية .

القسم الاول : صناعة النفط العالمية واوضاعها

من الملاحظ ان صناعة النفط يغلب عليهـــا طابع الاحتكار سواء اكان ذلك الاحتكار حكومياً ام من قبل الشركات والمعلومـــات المتوفرة عن هـــذه الاحتكارات هي ضئيلة لولا التقرير القيم الذي رفعته لجنة من الخبراء الى الكونغرس الامريكي في عام ٥٠ – ١٩٥١ ودعته باسم **«الاحتكارات النفطية العالمية»**[١] وقد منع رئيس الجمهورية الامريكية آنذاك (المستر ترومان) تداول هـــذا التقرير وصودرت جميع نسخه بحجة انه يكشف احتكارات النفط وبذلك فهو قد يسيء الى سمعة الولايات المتحدة وخاصة فيما يتعلق بالعلاقـــات مع منطقة الشرق الاوسط الحساسة[٢]. وقد بين هـــذا التقرير الشامل ان سبعة شركات نفط عالمية غلف ، سوكوني ، موبيل ، ستاندرد اوف نيو جرسي ، ستاندرد اوف كاليفورنيـــا ،

---

(١) U.S. Senate, Federal Trade Commission, *International Petroleum Cartel*, 82 nd Congress (Washington : Government Printing office, 1952).

(٢) Leonard Fanning, *Foreign Oil and the Free World*, (New-York : Mc Graw-Hill, ١961) p. 219.

تكساس ، انجلو ايرانيان (وتدعى الآن شركة النفط البريطانية) ، ومجموعة شركات شل – الهولندية تمتلك ۹۲٪ من احتياطي النفط في العالم كله باستثناء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وباقي الدول الشيوعية وانها انتجت في عام ١٩٤٩ حوالى ٨٨٪ من انتاج النفط العالمي وكررت ٧٧٪ من النفط الخام المنتج وامتلكت حوالى ٥٠٪ من وسائل نقل النفط والاغلبية الساحقة من انابيب النفط الهامة [١] .

ومن الشيق حقاً ان نعلم الاسباب الرئيسية التي ادت الى نشوء احتكارات ضخمة في صناعة النفط والتي اوجزها فيما يلي :

١ – **الاسباب الاقتصادية** : من المعلوم ان صناعة النفط تعالج مادة في جميع مراحلها المترابطة من تنقيب واستخراج وتكرير ونقل وتوزيع وتسويق الامر الذي يتطلب استثمار مبالغ ضخمة جداً من الاموال وللدلالة على ذلك اذكر ان مجموع الاستثمارات في صناعة النفط العالمية بلغت ٩٦٠٠ مليون دولار في عام ١٩٥٦[٢] ومن الجلي ان مصاريف كهذه هي فوق طاقة الافراد والشركات العادية . ومن الامور المهمة هنا ان التنقيب عن النفط يتضمن على درجة كبيرة من المخاطرة فقد تفشل عمليات التنقيب وتذهب معها مئات الملايين من الدولارات. وكذلك يستوجب تخصيص مئات الملايين من الدولارات لانشاء مراكز لاستخراج النفط ووحدات تكرير ولشراء ناقلات للنفط او لمد انابيب طويلة وكذلك يتوجب انشاء مراكز لتوزيع وتسويق النفط في مختلف اقطار العالم ومن الواضح ان الحكومات والشركات الكبيرة هي الوحيدة التي تستطيع تأمين الاموال اللازمة وادارة شركات النفط بصورة مجزية .

٢ – **الاسباب الفنية** : تتطلب صناعة النفط اخصائيين ماهرين في حقول

---

(١) International Petroleum Cartel, *op.cit.*, pp. 21-36

(٢) *Petroleum Press Service* (Hereinafter P.P.S.) "Rising Scale of Capital Needs" V. 24, No. 11, Nov. 1957, p. 411.

كثيرة اهمها علم طبقات الارض والكيمياء والهندسة النفطية والاقتصاد والادارة والطب واخصـائيين في مشا كل العمل وعمـــال مهرة ومن الواضح ان الشركات الكبيرة فقط تستطيع دفع مرتبات سخية للتعاقد مع هؤلاء الخبراء .

٣ ـ الاسباب الجغرافية : ادى وجود نسبة كبيرة من احتياطي النفط في مناطق صحراوية جرداء يتعذر العمل فيها الى تخصيص مبالغ كبيرة من المـــال لتكييف المحيط ليتلاءم مـــع حاجات الانسان المعيشية والتي شملت تشييد مدن كاملة في المناطق الصحراوية كما ادى بُعد مناطق انتاج النفط عن اسواق الاستهلاك الى تخصيص المزيد من الاموال لتأمين وسائل النقل من ناقلات وانابيب وبالطبع فان الشركات النفطية الكبيرة هي الوحيدة التي تتمكن من تأمين هذه المصروفات الباهظة الاضافية .

٤ ـ الاسباب السياسية : وتتعلق بحرص الدول الكبرى على تأمين حاجاتها من النفط الامر الذي ادى الى بسط هيمنتها السيـــاسية والعسكرية على الدول الضعيفة المنتجة للنفط لتؤمن لشركاتها حرية العمل ولتضمن لها استغلالاً مجزياً .

٥ ـ نسبة الارباح المرتفعة : وقد ادى هـــذا العامل الى زيادة رأسمـال الشركات المستثمرة الامر الذي ادى الى زيادة وتحسين وسائل الاحتكار . وللدلالة على حجم هذه الارباح اود ان اذكر على سبيل المثال لا الحصر ان شركة نفط ستاندرد اوف نيو جرسي اعلنت ان ارباحها الصافية في عام ١٩٥٧ بلغت ٨٠٥،٢ مليون دولار [١] ولكن جميع الدلائل تدل ان ارباحهـــا الحقيقية قد تزيد على اضعاف هذا الرقم .

وتسيطر شركات النفط الامريكية الآن على صناعة النفط العالمية بعد ان كانت بريطانيا تسيطر على ٩٠٪ من موارد النفط العـالمية في عام ١٩٢٥ وقصة السيطرة هذه هي على جانب كبير من الطرافة فقد كان من جراء تناقص احتياطي النفط

(١) *P.P.S.* «The Major's Annual Reports», V. 25, No. 6, June 1957, P. 209.

في الولايات المتحدة ان حاولت الشركات الامريكية الحصول على امتيازات في الخارج ولكن بريطانيا بوأت محاولاتها بالفشل والتجأت هذه الشركات الى حكومتها التي زعمت ان الحلفاء طافوا الى النصر في الحرب العالميه الاولى على بحر من النفط الامريكي . وبعد خصام شديد بين الحكومتين وصل الى مرحلة حرجة عندما منعت الولايات المتحدة باسم مبدأ « مونرو » المعروف الشركات البريطانية من الحصول على امتيازات نفطية في جنوب امريكا وبعد ان لحت الصحافة الامريكية الى وجوب اعلان الحرب على انجلترا اذا لزم الامر في سبيل الحصول على موارد نفطية اضافية [1] توصلت الحكومتان بعد مفاوضات ومساجلات ومساومات طويلة الى اتفاق يفسح المجال امام الشركات الامريكية واخذت بريطانيا تفقد تدريجياً حصة الاسد في نفط الشرق الاوسط فانخفضت حصتها من ٩٠ ٪ في عام ١٩١٣ الى ٧٨٫٣ ٪ في عام ١٩٣٩ بينما ارتفعت حصة الشركات الامريكية من لا شيء الى ١٥٫٧٪ في نفس الفترة ومن ثم ارتفعت الى ٣٠٫٦٪ في عام ١٩٤٦ بينما انخفضت حصة بريطانيا الى ٦٥٫٩٪ ثم رجح الميزان لصالح الشركات الامريكية التي اصبحت تمتلك ٥٨٪ في عام ١٩٥٥ وهي تمتلك الآن حوالي ٥٩ ٪ من نفط الشرق الاوسط بينما تقلصت حصة بريطانيا الى ٣٠ ٪ اما الشركات الهولندية والفرنسية فتمتلك الآن ٦٪ و ٤٪ بالتعاقب ويمتلك الـ١٪ الباقية المليونير الارمني الاصل غلبنكيان [2] .

وتتولى الحكومات استخراج وانتاج وتوزيع النفط في كل من الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الاخرى وهي رومانيا والبانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا والصين الشعبية وجزيرة ساخالين وقد انتجت هذه الدول مجتمعة ١٤٫٣ ٪ من انتاج النفط العالمي في عام ١٩٥٨ [3] . اما الدول

---

(١) Ludwell Denny, *We Fight for Oil*, (New-York - Alfred A. Knopel Inc., 1928) p. 25.

(٢) Aramco, *Middle East Oil Development*, 4th ed. March 1956, p. 27.

(٣) *P.P.S.* «World Production Recovers», V. 26, No. 1, Jan. 1959, p. 4.

الاخرى التي اممت فيها صناعة النفط فهي المكسيك والبرازيل وبوليفيـــا والشيلي واسبانيا ويوغوسلافيا وهذه الدول مجتمعة تنتج اقل من ٢٪ من انتـــاج النفط العالمي [٢]. اما في الارجنتين والبيرو فان الحكومة تشترك مع شركات خاصة في ادارة عمليـات استخراج وتسويق النفط وجميع هـذه الدول تستهلك النفط الذي تنتجه ما عدا الاتحـاد السوفياتي ورومانيـا والمكسيك التي تصدر النفط بكميات تجـارية . امـــا في الجمهورية العربية المتحدة فان شركات النفط قد وضعت تحت الحراسة منذ وقوع العدوان الثلاثي وقد تم ادارة هذه الحقول بنجـــاح من قبل الادارة المصرية وقد اوقفت اعمال شركة منهل في شمالي سوريا وتعهدت الحكومة برد قيمة الاسهم الى حامليها الا ان صناعة النفط لم تؤمم بعد رسميـاً في الجمهورية العربية المتحدة .

وقـــد بين التقرير المقـدم للكونغرس الامريكي ان الشركات النفطية السبعة الرئيسية تسيطر على صناعة النفط العالمية بواسطة :

١ - امتلاك شركات النفط الفرعية بواسطة شراء سلسلة من الشركات النفطية العاملة في مختلف انحاء العالم فشركة نفط الكويت تملكها مناصفة كل من شركة النفط البريطانية وشركة غلف الامريكية بينما تملك شركة ارامكو اربعة شركات رئيسية وهكذا الامر في باقي الشركات العامـلة في الشرق الاوسط وفنزويلا وقد ادى هذا الامتلاك الى توجيه الشركات الفرعية نحو نسق موحد لتنفيذ السيـــاسة النفطية التي تُجمع الشركات السبعة على وجوب تنفيذها .

٢ - تركيز السيطرة على الشركات الفرعية بواسطة تعيين مدراء مجلس ادارة في عدة شركات في نفس الوقت فمثلاً يقوم ثلاثة من مدراء شركة ارامكو باحتلال نفس المنصب في شركة نفط العراق وشركات اخرى [٢] .

---

(١) المصدر المذكور اعلاه .

(٢) International Petroleum Cartel, *op. cit.* pp. 29 - 32.

ومن الجلي ان شركات النفط الرئيسية السبع تحاول الآن بسط سيطرتها على جميع المناطق النفطية الجديدة في العالم وقد تمكنت فيما بينها بواسطة عقد اتفاقات طويلة الامد لشراء النفط الخام من الشركات الفرعية وبواسطة امتلاك الاخيرة وتعيين مديريها من تحديد كمية الانتاج السنوي واقتسام الاسواق وفرض مستوى معين لاسعار النفط واحتكار توزيع وتسويق النفط في الخارج . وقد ادى امتلاك بعض الدول الكبرى لشركات النفط ان بذلت هذه الدول هيمنتها على الدول المنتجة للنفط ومنها البلاد العربية الامر الذي ادى الى منح شركات النفط العاملة امتيازات هائلة وغريبة مقابل التزامات ضئيلة وعائدات بخسة كما سيفصل بعد شرح اهم احكام قانون الهايدرو كربون الفنزولي .

القسم الثاني – قانون الهايدرو كربون الفنزولي

يرسي قانون الهايدرو كربون الذي صدر في عام ١٩٤٣ وتعديلاته الملحقة به جميع الشروط التي يتم بموجبها منح الامتيازات النفطية فى فنزويلا ويعتبر هذا القانون التشريع النفطي الرئيسي في العالم وقد اعتمدته دول كثيرة اساساً لتشريعاتها النفطية . وقد حددت بموجبه مدة امتياز انتاج النفط بـ ٤٠ سنة كما حددت مساحة امتياز التنقيب عن النفط بـ ١٠،٠٠٠ هكتار اما مساحة امتياز استخراج النفط فقد حددت بـ ٥٠٠ هكتار لكل امتياز [١] ويتم منح الامتياز بواسطة الاعلان عن مزايدة لمنح امتياز نفطي وتفوز الشركة التي تقدم افضل العروض بالامتياز [٢] وتمنح ايضاً امتيازات لتكرير النفط ونقله لمدة ٥٠ سنة بنفس الطريقة . ويفرض القانون المذكور ستة انواع من الضرائب بالاضافة الى ضريبة الدخل المعروفة باسم ٥٠ – ٥٠ وسيجري بحثها في مقارنة العائدات المباشرة. وينص قانون الهايدروكربون على ان تأخذ الحكومة مجاناً ١٦،٦٦ ٪ من النفط

---

(١) *Hydrocarbons Law,* Venezuelan Official Gazette extraordinary Number 46 dated March 13, 1943, article 7, p. 10.

(٢) *Ibid.*, article 8, p. 11.

المنتج عيناً ويحق للاخيرة ان تتقاضى ثمنه اذا شاءت شريطة الا يقل السعر عن الحد الادنى الذي نص عليه قانون الهايدرو كربون لكل صنف من النفط[١] .

ويحق لشركات النفط بموجب هذا القانون مصادرة الاراضي التي تحتاج اليها في عملياتها بعد الحصول على موافقة اصحابها وفي حالة حدوث اختلاف على الاثمان او الاجرة تحال القضية الى احدى المحاكم الوطنية الخاصة الا انه لا يجوز بحال من الاحوال مصادرة هذه الاراضي ضد ارادة اصحابها او قاطنيها[٢]. ويحق ايضاً للشركات اقامة جميع المباني والمنشآت التي تحتاج اليها شريطة عدم الحاق اي ضرر بينابيع المياه او المناجم او اية ثروة طبيعية ويتوجب عليها تفادي هدر اية كمية من النفط المنتج واذا فعلت ذلك فانها تغرم[٣]، كما يتوجب عليها اتخاذ الاحتياطات لتفادي الحرائق . ويحق للشركات تحويل امتيازاتها الى شركات اخرى شريطة الحصول على موافقة الحكومة وألا تزيد مساحة امتيازات التنقيب والاستثمار لاية شركة عن ٣٠٠،٠٠٠ و ١٥٠،٠٠٠ هكتاراً بالتعاقب[٤]. ويحق للحكومة ايضاً إلغاء الامتياز اذا لم تدفع الشركة الضرائب ضمن المهلة المحددة او اذا لم تستثمر قطعة الارض الممنوحة ضمن ثلاث سنوات او اذا تبين للحكومة ان الشركة تعمل لحساب حكومة اجنبية او شركات تملكها حكومات اجنبية[٥] . وتجدر الاشارة الى ان قانون الهايدرو كربون يمنع كبار موظفي الدولة الفنزولية بما فيهم رئيس الجمهورية والوزراء والنواب وجميع موظفي وزارة المناجم من الحصول على اي امتياز او التداخل بصورة غير مباشرة في منح الامتيازات لشركات النفط سواء أكانت فنزولية او اجنبية[٦].

---

(١) *Ibid.*, articles 42-43, pp. 26-29.

(٢) *Ibid.*, articles 52-55, pp. 31-32.

(٣) *Ibid.*, article 59, pp. 33-35.

(٤) *Ibid.*, articles 65 and 67; pp. 36-37.

(٥) *Ibid*., articles 69-81, pp. 38-42

(٦) *Ibid.*, article 6, p. 9.

وقد خول القانون المذكور الحكومة سلطة منح اعفاءات وميزات خاصة لشركات النفط التي توافق على تكرير كمية اكبر من النفط ضمن الاراضي الفنزولية او ان تمنح الدولة كميات كبيرة من الغاز الطبيعي او ان تزيد نسبة الحصة العينية التي تمنح مجاناً للحكومة او اية التزامات اخرى تعود بالنفع على الحكومة او الشعب وتتضمن الميزات الخاصة منح اعفاء جزئي او كلي من رسوم الجمارك وتسهيلات جمركية ومرفأية شاملة[١] .

القسم الثالث : مقارنة العائدات والرسوم النفطية

ان الاحصائيات الدقيقة عن العائدات والرسوم النفطية في البلاد العربية هي غير متوفرة بوجه الاجمال ولذلك فان القسم التالي الذي يحتوي على مقارنة موجزة لجميع العائدات والرسوم النفطية في فنزويلا والبلاد العربية هو بوجه الاجمال محدود النطاق :

(أ) ١ – **المدفوعات والضرائب الاولية** : ينص قانون الهايدروكربون الفنزويلي ان يدفع صاحب الامتياز رسماً اولياً قدره ٨ بوليفارات[٢] (٢،٥٨ دولار)[٣] عن كل هكتار من مساحة امتيازه ويدفع هذا الرسم لدى الحصول على الامتياز مرة واحدة ، بينما نصت الامتيازات العربية على دفع مبالغ اجمالية عن كامل مساحة الامتياز وهي تدفع ايضاً مرة واحدة لدى التوقيع على الامتياز وتبين اللائحة التالية مقدارها :

---

(١) *Ibid.*, article 105, pp 52-53

(٢) *Ibid.*, article 39, p. 23

(٣) يساوي البوليفار الفنزويلي في السوق الحرة حوالي ليرة لبنانية واحدة تقريباً وهو يساوي ايضاً ٣٠ سنتاً امريكياً .

« لائحة ١ »

مقدار المدفوعات الاولية التي نصت عليها الامتيازات النفطية العربية

اسم الشركة	المدفوعات الاولية بما يعادل القيمة بالدولارات الامريكية	المدفوعات الاولية بالعملة الوطنية او العملة المنصوص عليها في الامتياز
الكويت		
شركة نفط الكويت	٩٨،٠٠٠	٤٧٠،٠٠٠ روبية
شركة امينول (حصة الكويت بالمنطقة المحايدة)	٧،٥٠٠،٠٠٠	٧،٥٠٠،٠٠٠ دولار
شركة النفط العربية (حصة الكويت بالمنطقة المحايدة)	١،٥٠٠،٠٠٠	١،٥٠٠،٠٠٠ دولار
المملكة العربية السعودية :		
امتياز شركة ارامكو لعامي ١٩٣٣ و ١٩٣٩	٦٧٢،٠٠٠	٢٤٠،٠٠٠ ليرة استرلينية
شركة باسيفيك وسترن (حصة السعودية بالمنطقة المحايدة)	٩،٥٠٠،٠٠٠	٩،٥٠٠،٠٠٠ دولاراً
شركة النفط العربية (حصة السعودية بالمنطقة المحايدة)	١،٥٠٠،٠٠٠	١،٥٠٠،٠٠٠ دولاراً
العراق : لم تنص جميع الامتيازات الممنوحة على اية مدفوعات اولية .		
قطر :		
شركة نفط قطر	٨٣،٣٣٤	٤٠٠،٠٠٠ روبية
البحرين :		
شركة بابكو	٨٣،٣٣٤	٤٠٠،٠٠٠ روبية
المجموع	٢٠،٩٣٦،٦٦٨ دولاراً	

المصادر : جميع امتيازات النفط العربية [١]

ولا احتاج الى ان أؤكد ان نظام دفع رسم اولي عن كل هكتار المتبع في فنزويلا هو افضل من دفع مبلغ اجمالي عن كافة مساحة الامتيازات وتعوزنا الاحصاءات الدقيقة لندعم زعمنا هذا الا اننا لدى مقارنة مجموع المبالغ الاولية

(١) أغفل ذكر المصادر بالتفصيل لضيق المجال .

الاجمالية التي دفعت لاحد عشر امتيازاً عربياً والتي بلغت زهاء ٢١ مليون دولاراً عن مساحة امتيازات اجمالية تبلغ ٥٥١٬٢٠٠ ميل مربع بمجموع المبالغ التي دفعت في فنزويلا والتي يمكن تقديرهـــا بضرب مجموع مساحة الامتيازات الحالية البالغة ٧٬٠٧ مليون هكتار بثمانية بوليفـارات (وهو الرسم الاولي عن كل هكتار) فيكون الناتج ١٧٬٦ مليون دولار تقاضتهـا فنزويلا على امتيازات مساحتهـــا الاجمالية ٢٧٬٠٠٠ ميل مربع وحسب وباعتماد هذه الارقام يبلغ معدل الدخل من العوائد الاولية في البلاد العربية حوالي ١٥ سنتاً امريكياً لكل هكتار مقابل ٢٬٥٨ دولاراً في فنزويلا او ما يعادل ١٧ ضعفاً . هذا ويجب الا يغرب عن بالنا ان مبلغ الـ ١٧٬٦ مليون دولار التي تقاضتها فنزويلا لا يشتمل على الرسوم الاولية التي دفعت للامتيازات التي لم يعثر فيها على النفط لان المبلغ المذكور قد حسب على اساس مساحة الامتيازات الحالية التي عثر على النفط فيهـــا . وقد ادت المنافسة الشديدة بين شركات النفط للحصول عـــلى امتيازات في فنزويلا الى زيادة الرسم الاولي المعروض من قبـل الشركات من ٨ بوليفـارات للهكتار الواحد الى ١٥٠ بوليفاراً [١] اي حوالى ٤٦ دولاراً وقد تقاضت الحكومة الفنزولية هذا الرسم عن الامتيازات الممنوحة في عامي ١٩٥٦ و ٥٧. ولو طبق نظام دفع الرسوم الاولية عـلى اساس المساحة بالهكتارات او الكيلومترات المربعة لتمكنت البلاد العربية المنتجة للنفط من الرسوم الاولية .

٢ ـ **الايجارات والرسوم السنوية** : يتوقف الايجار السنوي للارض عـلى قيمة انتاجهـا السنوي الا ان صعوبة تقدير انتاجية كل قطعة من الارض بدقة في صناعة النفط ادى الى تقاضي رسوم ايجار سنوية واحدة لجميع الاراضي التي تستثمرها الشركات . وقد نص قانون الهايدرو كربون الفنزولي على تقاضي رسم سنوي يبلغ بوليفارين (٠٬٦ دولاراً) على كل هكتار من امتيازات التنقيب وخمسة بوليفارات (١٬٥٧ دولاراً) عن كل هكتار من امتيـازات انتاج النفط شريطة ان يزاد هذا

(١) *P.P.S.*, « Bids For New Areas in Venezuela », Vol. 23, No 10, Oct. 1956, pp 380 - 381.

الرسم بعد مضي عشر سنوات بمعدل خمسة بوليفارات كل خمسة سنين حتى يصل الى الحد الاقصى وهو ٣٠ بوليفاراً (٩،٧ دولاراً) لكل هكتار. اما في البلاد العربية فقد نصت الامتيازات على تقاضي ايجار سنوي محدود دون اعتبار مساحة الامتياز وتبين اللائحة التالية مقادير ونسب الايجارات السنوية التي تتقاضاها البلاد العربية عن كل هكتار ومقارنتها بالنسب المماثلة في فنزويلا :

« لائحة ٢ »

مقارنة كميات ونسب الاجور والرسوم السنوية للامتيازات النفطية العربية والفنزولية

اسم البلد	مساحة الامتيازات بالاميال المربعة	الايجار السنوي بما يعادل القيمة بالدولارات	الايجار السنوي عن الهكتار الواحد بالدولارات	نسبة الايجار المئوية في البلاد العربية الى الحد الادنى لايجار الهكتار في فنزويلا	نسبة الايجار المئوية في البلاد العربية الى الحد الاعلى لايجار الهكتار في فنزويلا
فنزويلا	٢٧،٠٠٠	لاتدفع اجور اجماليه سنوية	١،٥١-٩،٦	١،٥١=١٠٠٪ وهو الحد الادنى	٩،٦=١٠٠٪ وهو الحد الاعلى
الكويت	٦،٥٠٠	١٩،٨٠٠	٠،١٦	اقل من ١٪	ضئيلة جداً
المملكة العربية السعودية	٣٦٥،٠٠٠	٧٠،٠٠٠	٠،٠٠٨	اقل من ١٪	ضئيلة جداً
المنطقة المحايدة	١،١٠٠	١،٠٠٠،٠٠٠	٣،٥٨	٢٢٥٪	٣٧٪
العراق	١٧٠،٠٠٠	١،٤٠٠،٠٠٠	٠،٠٣٥	اقل من ١٪	ضئيلة جداً
قطر	٨،٥٠٠	٣٢،٠٠٠	٠،٠١٤	اقل من ١٪	ضئيلة جداً
البحرين	٢٣١	٣٥٥،٠٠٠	٦،٠	٤٠٠٪	٦٠،٤٪

النسب واجرة الهكتار في السنة حسبها الكاتب والارقام مدورة .

المصادر: المساحات والايجارات السنوية: جميع نصوص الاتفاقيات العربية.[1]

ولا ارى داعياً للتعليق على النتائج المدرجة في اللائحة المتقدمة فالارقام تتكلم

(١) اغفل ذكر المصادر بالتفصيل لضيق المجال .

بنفسها الا انني اود ان اضيف شيئاً وهو ان المنافسة الشديدة للحصول على امتيازات نفطية جديدة في فنزويلا قد ادت الى رفع الرسم السنوي من معدل يتراوح بين ٥ -- ٣٠ بوليفاراً الى ١٠٠ بوليفار (٣٠ دولاراً) لكل هكتار(١) ونظام الرسوم السنوية المتقاضاة عن كل هكتار من مساحة الامتياز افضل بكثير من نظام الايجار السنوي لانه يدر دخلاً اكبر بكثير وبالرغم من اننا لا نعلم المبلغ الذي تتقاضاه فنزويلا من الرسوم الاولية الا انه يمكننا ان نقدره فمن المعلوم ان فنزويلا لم تمنح اية امتيازات منذ عام ١٩٤٤ (ما عدا الامتيازات التي منحت في عامي ٥٦ و٥٧) ولذلك فمن المعقول ان نفترض معدلاً وسطياً قدره ٢٠ بوليفاراً لكل هكتار من مساحة الامتيازات الاجمالية البالغة ٦،٢٥ مليون هكتار(٢) وبموجب هذا المعدل يبلغ الريع السنوي للحكومة الفنزولية حوالي ١٢٥ مليون بوليفار او ما يعادل ٣٨ مليون دولار مقابل مجموع الايجارات السنوية التي تتقاضاها الدول العربية من ١١ امتيازاً والبالغ مجموعها الاجمالي ٥،٥ مليون دولار وحسب. وبالاضافة الى ما تقدم فان عائدات الامتيازات الجديدة الممنوحة في عامي ٥٦و٥٧ والبالغة مساحتها ٨٢٠،٠٠٠ هكتار(٣) بلغت ٦٨٥،٢ مليون دولاراً(٤) (ويتضمن هذا المبلغ بالاضافة الى الرسوم السنوية البالغة ١٠٠ بوليفاراً عن كل هكتار الرسوم الاولية التي تبلغ ١٥٠ بوليفاراً عن كل هكتار) ويعادل هذا المبلغ مجموع عائدات الدول العربية مجتمعة من النفط في عام ١٩٥٤ حسب احصاءات اللجنة الاقتصادية لهيأة الامم المتحدة. هذا ويجب الا يغرب عن بالنا ان الايجارات السنوية تقتطع من حصة المملكة السعودية البالغة نصف الارباح(٥) ومن المعتقد انها تقتطع ايضاً

(١) *P.P.S*, "Bids for New Areas in Venezuela" Vol. 23. No. 10, Oct. 1956, 380-381.

(٢) *P.P.S.*, "Venezuela in a Competing World", Vol.21, No. 3, March 1954, p 87.

(٣) P.*P.S*, "More Areas Granted in Venezuela" Vol. 24, No. 6, June 1957, pp 226-227.

(٤) *World Oil : 1957*, "Special Report : Venezuela" Vol. 145, No 3, p. 131, August 15, 1957,

(٥) وزارة مالية المملكة العربية السعودية « اتفاقية الزيت بين حكومة المملكة العربية السعودية وبين شركة الزيت العربية الامريكية بتاريخ ١٩٥٠/١٢/٣٠ (ستانسل) المادة ١، الفقرة أ، ص ٢٠.

من حصة الحكومات العربية الاخرى من الارباح (ما عدا المنطقة المحايدة) بينما تتقاضى فنزويلا هذه الرسوم دون اقتطاعها من حصة الحكومة البالغة نصف الارباح الصافية ومن الواضح في هذه الحالة انه سواء دفعت هذه الايجارات ام لم تدفع فالامر سيان لدى الحكومات العربية طالما انها تقتطع من حصتها من الارباح الصافية .

٣ – **الكمية العينية من النفط وضرائب الانتاج :** نص قانون الهايدرو كربون على وجوب دفع كمية عينية من النفط تبلغ ١٦،٦٦ بالمئة من كميات النفط والغاز الطبيعي والاسفلت المنتجة خلال سنة ويمكن للحكومة ان تبيعها للشركة بسعر السوق السائد شريطة ان لا يقل ثمن كل متر مكعب عن الحد الادنى الذي نص عليه قانون الهايدرو كربون لكل صنف من النفط الخام [١] اما الكويت وقطر والبحرين فلا تتقاضى على الارجح اية كمية عينية [٢] وكذلك المملكة العربية السعودية التي تتقاضى حوالي ٤ ملايين غالون من البنزين والكاز مجاناً وهي كمية ضئيلة جداً اذ لو اعتمدنا ارقام انتاج النفط في السعودية في عام ١٩٥٨ ولو نص امتياز ارامكو على اعطاء الحكومة ١٢،٥٪ على الاقل كحصة عينية لبلغت الكمية الواجب اعطاؤها الى الحكومة حوالي ١٠٠٠ مليون غالون . اما في العراق فان الامتيازات الحالية تنص على منح الحكومة ١٢،٥٪ من النفط المنتج [٣] اما امتياز شركة النفط العربية المعقود مع حكومتي المملكة العربية السعودية والكويت في عامي ١٩٥٧ و ٥٨ لاستثمار شواطىء المنطقة المحايدة فقد نص على منح الحكومتين

---

(١) Hydrocarbon Law, *op. cit.*, article 41, pp 23-25.

(٢) لم تنشر نصوص الامتيازات الرسمية المعقودة مع حكومات الكويت وقطر والبحرين الا ان الكاتب لم يعثر على اي مصدر يذكر ان حكومات هذه الدول تتقاضى اية كمية عينية من النفط.

(٣) الاتفاقية المعقودة بين شركات النفط العراقية المحدودة، الموصل المحدودة والبصرة المحدودة في ٣ شباط ١٩٥٢ » الوقائع العراقية رقم ٣٠٦٤ المؤرخ ١٨ شباط ١٩٥٢، المادة ٣ ص : ٩ – ١٠ .

(٤) اتفاقيتي النفط المعقودة مع حكومتي الكويت والمملكة العربية السعودية من جهة وشركة النفط العربية ، المواد ٦ و ١١ بالتعاقب .

٢٠٪ من النفط المنتج والغاز الطبيعي والاسفلت[٤] وقد ادت المنافسة بين شركات النفط للحصول على امتيازات نفطية في فنزويلا الى رفع نسبة الحصة العينية من ٣/٢ ١٦٪ كما نص قانون الهايدروكربون الى ٢٥٪ كما نصت الاتفاقية الاخيرة مع شركة صن للنفط.

٤ – **ضريبة الدخل** : يفرض قانون ضريبة الدخل الفنزولي ضريبة قدرها ٢٫٥٪ على جميع المؤسسات الصناعية بما فيها شركات النفط وتدفع هذه الضريبة بالاضافة الى ٥٠٪ من الارباح الصافية التي تحتسب بواسطة اقتطاع جميع الضرائب والنفقات والايجارات والريوع والاجور ونسبة محددة من الاندثار للممتلكات الثابتة فقط ونفقات التنقيب عن النفط وكافة الرسوم المختلفة والمدفوعات المصروفة ضمن فنزويلا من الدخل الاجمالي السنوي . ولا توضح الامتيازات العربية بصورة دقيقة الطريقة التي يتم بها احتساب كافة الانتاج الا انها تنص على ان لا تزيد حصة الحكومة عن نصف الارباح على ان تتضمن هـــذه الحصة الاجور السنوية والريوع والرسوم المدفوعة الى هذه الحكومة خلال السنة كما نصت على ذلك صراحة اتفاقية ارامكو لعام ١٩٥٠ . كما ان الكويت تستلم حصتها من الارباح بعد خصم ٧٪ من الاسعار السائدة لصالح الشركة المستثمرة وكذلك تخصم شركة ارامكو ٢٪ من اسعار النفط المعلنة وقد نشب خلاف بين الحكومة العراقية السابقة وشركة نفط العراق لاصرار الاخيرة على خصم ٢٪ من الاسعار وبعد مداولات طويلة لم يحسم الخلاف الا ان الشركة المذكورة سارعت الى دفع ١٤٤ مليون دولاراً (وتعادل ١٪) من الخصم على الاسعـــار المعلنة) اثر وقوع الانقلاب العراقي . ومن المعتقد ان اسعار النفط التي يجري بموجبها احتساب الارباح تخصم بمعدل يتراوح بين ١٥–٢٠٪ من الاسعار المعلنة كما اعلنت ذلك مصادر الامم المتحدة[١] .

ويقدر البعض المجموع الاجمـــالي للضرائب والعائدات التي تتقاضاها الحكومة الفنزولية بـ ٥٦٪ من صافي ارباح الشركات وعلى كل حال فان مبدأ تناصف الارباح قـــد بدأ يتداعى نظراً لصدور القـانون الفنزولي الجديد الذي اصدرته حكومة

(١) U.N Department of Economic and Social Affairs, "*Economic Developments in the Middle East 1954-1955*, (New-York: U.N. Publications, 1956) p. 66.

الاميرال لازربال والذي رفع حصة الحكومة الى ٦٠٪ من الارباح الصافية ويؤيد الدكتور بيتانكورت رئيس الجمهورية الجديد هذا القانون[١] لان حزب الجبهة الديموقراطية الذي يرأسه الدكتور بيتانكورت هو الذي وضع قانون الهايدرو كربون اثناء توليه الحكم في عام ١٩٤٣ . كما ان الاتفاقية التي وقعتها شركة النفط العربية التي يمتلكها نفر من الممولين اليابانيين قد نصت على اعطاء ٥٦و٥٧٪ من الارباح الصافية لحكومات المملكة العربية السعودية والكويت بالتعاقب . ومن المتوقع ان نشهد خلال السنة او السنتين القادمتين تعديلاً في نسب الارباح التي تتقاضاها الدول العربية الى ٦٠٪ وقد سارع ممثلو شركات النفط العاملة في البلاد العربية الى عقد اجتماعات اثر الانقلاب العراقي لبحث امكانية رفع حصة الحكومات العربية المنتجة للنفط الى ٧٥٪ الا ان المصادر الصحفية التي اوردت هذا النبأ لا يعتمد عليها كثيراً .

٥ – **رسوم الطوابع** : نص قانون الهايدرو كربون على ان تحمل الاوراق الرسمية التي تتعامل بها شركات النفط طوابع بقيمة خمسة بالالف من قيمة المبالغ المدرجة في تلك الاوراق مما يؤمن مدخولاً اضافياً للحكومة الفنزولية[٢] ولا تتقاضى الدول العربية رسوماً مماثلة ما عدا العراق الذي اوجب وضع طوابع بقيمة ٥٠ ديناراً على اتفاقية عام ١٩٥٢ التي عدلت بموجبها اتفاقيات النفط السابقة.

٦ – **الرسوم الاخرى** : ينص قانون الهايدرو كربون على فرض ضريبة استهلاك على الزيت المكرر او مشتقاته اذا بيع ضمن فنزويلا تبلغ نصف الضريبة الجمركية العادية المفروضة على هذه المواد وتدفع من قبل الشركة التي تتولى بيع النفط كما ينص ايضاً على تقاضي ٢،٥ ٪ من اجور مرور النفط ضمن انابيب شركة النقل لحساب شركة اخرى[٣] وكلا من هاتين الضريبتين هما غير معروفتين في البلاد العربية وانما تتقاضى بعض الدول العربية عائدات على مرور النفط ضمن انابيب النفط

---

(١) For details refer to : *P.P.S.*, *"Venezuela Claims more"* Vol. 26, No. 1, pp 6-8

(٢) *World Petroleum Legislation: Venezuela* (New-York: Mona Palmer Corp. 1957)p. 7.

(٣) Hydrocarbons Law, *op. cit.*, articles 43 and 44, pp 25-26.

التي تمر في اراضيها .

٧ - **اسعار القطع** : يقوم المصرف المركزي الفنزويلي بموجب اتفاق مع وزارة المالية ببيع شركات النفط البوليفارات الفنزولية بمعدل ٣،٠٩ لكل دولار عوضاً عن السعر السائد في الاسواق الحرة والبالغ ٣،٣٣ بوليفاراً وهكذا تدفع شركات النفط ثمناً لبوليفاراتها يزيد عن السعر الحر بـ ٨ ٪[١] وقد بلغ مجموع الدخل المترتب من فرق اسعار القطع في عام ١٩٥٧ حوالي ٥١ مليون دولار[٢] او ما يعادل ٤٪ من مجموع دخل الحكومة الفنزولية في تلك السنة[٣] . ولا توجد في البلاد العربية ترتيبات مماثلة ما عدا شركة ارامكو التي كانت تشتري الريالات السعودية بالسعر الرسمي بموجب نص امتيازها الاصلي الا ان هذه الفقرة الغيت بموجب اتفاق عام ١٩٥٠ التكميلي .

(ب) العوامل التي تسبب انخفاض كلفة انتاج النفط في البلاد العربية :

يتوجب على الباحث في قضية العائدات النفطية التطرق الى تكاليف انتاج النفط العربي علـــى اساس البرميل التي تعتبر منخفضة عن التكاليف المماثـلة في فنزويلا والولايات المتحدة نظراً للاسباب التالية :

١ - **امتيازات شركات النفط العاملة في الدول العربية** : يكاد يكون في حكم المؤكد ان شروط هذه الامتيازات هي جد بخسة وقد عقدت عندمـا كانت الدول العربية تحت السيطرة الاجنبية الامر الذى ادى الى اشتراط التزامات قليلة مقابل منافع كبيرة جـــداً للشركات كالعائدات القليلة والاعفاءات الشاملة من الضرائب الجمركية والاجور القليلة ونقاط اخرى سيجري بحثها فيما بعد بالتفصيل .

٢ - **العوامل الجيولوجية** : يتميز نفط الشرق الاوسط بعوامل جيولوجيـة ملائمة اذ يتجمع ٩٠٪ من النفط الذي تمتلكه هـذه المنطقة ، والذي يبلغ ٧١،٤٪ من احتياطي النفط العالمي ، في مثلث كونته عوامل طبيعية فريدة من نوعها ويبلغ

(١) World Petroleum Legislation: Venezuela, *op. cit.*, p. 3.

(٢) *World Petroleum Report 1958*, (New-York : Mona Palmer Corp. 1958) p. 126

(٣) *Ibid.*,

طوله ١٢٠٠ ميل وعرضه ٥٠٠ ميل ويمتد من جنوبي سفوح جبال زغروس وطوروس في تركيا لغاية ٢٠٠ ميل شرقي شواطىء المملكة العربية السعودية المتاخمة للخليج العربي ويمتد حوالي ١٠٠ ميل في الاراضي العراقية الممتدة بين الموصل والخليج العربي وغربي ايران وتبلغ مساحته التقريبية ٦٠٠٠ ميل مربع وقد ادت العوامل الجيولوجية الفريدة الى تكوين طبقة صخرية في جوف هذا المثلث حصرت النفط في تجمعات هائلة ومنعت تسربه وتبعثره في باطن الارض مما ادى الى وجود اكبر واغزر حقول للنفط في العالم في هذه البقعة فهنالك حقل الفوار في المملكة العربية السعودية والبالغ طوله ١٤٠ ميلاً والذي يعتبر اكبر حقول العالم واغزرها وهنالك الحقول الكبيرة الاخرى كبرقان في الكويت وكركوك في العراق ومسجد سليمان ونفط خانة وآغاجيري وغاش ساران في ايران وآبقيق في السعودية ودوكان في قطر والزبير والرميلة في جنوبي العراق ويتجمع في هذه الحقول الاحد عشر ٩٠٪ من نفط الشرق الاوسط[١] او حوالي ٦٤٪ من احتياطي النفط العالمي وقد ادت هذه العوامل الجيولوجية الى تحقيق الفوائد التالي ذكرها :

أ ـ تخفيض نفقات التنقيب عن النفط اذ لا تزيد نسبة الثقوب الجافة عن ٤-٩٪ من الآبار الاستكشافية بينما بلغت نسبة الثقوب الجافة في فنزويلا في عام ١٩٥٥ حوالي ٥٣٪ من الآبار الاستكشافية[٢] ولنضرب مثلاً الولايات المتحدة التي انفقت في عام ١٩٥٣ حوالي ١٩٥٦ مليون دولار على عمليات التنقيب صرف منها ٧٩٧ مليون دولاراً على ثقوب جافة وقد ارتفعت تكاليف التنقيب عن النفط في الولايات المتحدة من ٠،٠٩ دولار عن كل برميل في عام ١٩٣٥ الى ٠،٤٣ في عام ١٩٤٥ الى ١،٧٦ في عام ١٩٥٤[٣] مما ادى الى استعمال طريقة التنقيب بواسطة الثقوب الضيقة للحد من التكاليف. ومن المؤسف حقاً الا تتوفر لدينا احصائيات مماثلة عن

---

(١) *P.P.S.*, "The Incomparable Middle East" Vol. 23, No. 7, July 1956, p 239.

(٢) *P.P.S.*, "Venezuela's Mounting Oil Revenues" Vol. 23, No. 9. Sep.1956 p 341.

(٣) *P P.S.*, "Finance for the Future" Vol 23, No. 3, March 1956, p 87.

(٤) *P.P.S.*. "The Incomparable Middle East" Vol 23, No. 7, July 1956, p. 240.

تكاليف التنقيب في كل من الشرق الاوسط وفنزويلا الا ان جميع المصادر النفطية تعترف بأن تكاليف التنقيب عن النفط في الشرق الاوسط هي اقل نسبياً من التكاليف المماثلة في فنزويلا فضلاً عن الولايات المتحدة كما تجمع على ذلك جميع المصادر والشركات ذاتها .

ب – وجود النفط العربي على مقربة من سطح الارض اذ لا يزيد معدل عمق البئر العربية عن ٥٠٠٠ قدم بينما يزيد معدل عمق الآبار الفنزولية عن ضعف هذا المعدل وقد يبلغ عمق الآبار الامريكية حداً اقصى قدره ٢٢٥٧٠ قدماً[١] الامر الذي يؤدي الى تخفيض نفقات التنقيب فضلاً عن نفقات انتاج النفط العربي .

جـ – غزارة آبار النفط في الشرق الاوسط الامر الذي جعل بالامكان انتاج ٢١٤،٥ مليون طن من النفط في عام ١٩٥٨ من ١٥٠٠ بئر استكشافية حفرت في الشرق الاوسط بحثاً عن النفط مقابل ٥٣٧،٦٨٢ بئراً في الولايات المتحدة انتجت ٣٢٧،٥ مليون طن في ذات العام بينما بلغ عدد آبار فنزويلا و كندا ٣٠،٢٦٢ وقد بلغ معدل انتاج البئر الامريكية في عام ١٩٥٠، ١١ برميلاً باليوم[٢] مقابل ٢٠٠ برميل في فنزويلا و ٦٠٠٠ في الشرق الاوسط[٣] وتأتي كركوك في المقام الاول اذا يبلغ معدل انتاج كل بئر فيها ١١٠٠٠ برميل باليوم . ويمكن تبيان غزارة الآبار في الشرق الاوسط بالاشارة الى ان معدل النفط المكتشف في الشرق الاوسط بلغ ١٣٠٠٠ برميل لكل قدم مقابل معدل يتراوح بين ٦٠٠ – ٧٠٠ برميل في فنزويلا ومعدل يتراوح بين ٢٠ – ٣٠ برميلاً في الولايات المتحدة[٤] وقد ادت غزارة الآبار العربية الى تخفيض نفقات التنقيب والانتاج بصورة بارزة .

٣ – انخفاض مستوى الاجور والمرتبات المدفوعة للعمال والموظفين العرب الذين يعملون في صناعة النفط وخاصة اذا ما قورنت بالاجور والمرتبات المدفوعة للعمال

(١) *P.P.S.*, «News In Brief» vol. 25, No. 7, July 1958, p. 275.

(٢) B. Shwadran, *Middle East Oil and the Great Powers*, (New-York : Praeger, 1955) p. 441.

(٣) مجلة النفط ، « فنزويلا في عالم يسوده التنافس » المجلد ٢١، رقم ٣، آذار ١٩٥٤ ، ص ١٠

(٤) *P.P.S.*, «The Incomparable Middle East» vol. 23, No. 7, July 1956. p. 239.

في فنزويلا والولايات المتحدة كما سيرد بحث ذلك بالتفصيل .

٤ ــ يمكننا الاستدلال على مدى انخفاض نفقات التنقيب وانتـاج النفط في الشرق الاوسط (الذي يتضمن بالاضافة الى الدول العربية ايران فقط) بمقارنة حجم الاستثمارات النفطيـة في الشرق الاوسط بالاستثمارات المماثلة في فنزويـــلا والولايات المتحدة فقد بلغ مجموع هذه الاستثمارات في الشرق الاوسط لفترة ١٩٤٦ــ٥٦ ثلاثة بلايين دولار مقـابل ٤،٢ بليون دولاراً في فنزويلا و ٧٠،٨٧٥ بليون دولار في العالم كله كما هو مفصل في الجدول التالي :

« لائحـــة ٣ »

الاستثمارات الرأسمالية في صناعة النفط العالمية خلال فترة ١٩٤٦ ــ ١٩٥٦ بملايين الدولارات

نوع الاستثمارات	قيمة الاستثمارات في صناعة النفط العالمية	قيمة الاستثمارات في صناعة النفط الفنزولية	قيمة الاستثمارات في صناعة النفط في الشرق الاوسط
الانتاج	٣٤،٢٥٠	٣،٢٧٥	١،٠٥٠
الانابيب	٤،٧٠٠	٢٤٠	٦٦٠
الناقلات	٦،٩٠٠	٣٥	٠
التكرير والكيماويات النفطية	١٣،٩٠٠	٥٥٠	٦٧٥
التسويق	٩،٤٠٠	٩٠	٢٣٥
مصروفات اخرى	١،٧٢٥	١٠	٣٨٠
المجموع	٧٠،٨٧٥	٤،٢٠٠	٣،٠٠٠

المصدر: *P.P.S.*, "Rising Scale of Capital Needs" Vol. 24, No. 11, Nov. 1957, P. 411.

وبمقارنة حجم الاستثمارات في كل من الشرق الاوسط وفنزويلا نرى ان حجم الاستثمارات في الانابيب والمصافي والتسويق والمصروفات الاخرى تزيد في الشرق الاوسط عن مثيلتها في فنزويلا نظراً لبعده عن مراكز الاستهلاك وصعوبة العيش فيه الا ان استثمارات الانتاج تزيد في فنزويلا عنها في الشرق الاوسط باكثر من

ثلاثة اضعاف وكذلك استثمارات الناقلات . ولتبيان ضـآلة حجم الاستثمارات النفطية في الشرق الاوسط اود ان اشير الى ان مجموع الاستثمارات في صناعة النفط العالمية في عام ١٩٥٦ بلغ ٩٫٨ بليون دولار[١] وهذا المبلغ يزيد عن ثلاثة اضعاف مجموع الاستثمارات في صناعة النفط في الشرق الاوسط خلال ١١ عامـاً . ومن الطبيعي ان تزيد نفقات استخراج النفط في الشرق الاوسط تدريجيـاً الا ان هذه الزيادة لن تؤدي بحـال من الاحوال الى زيادة نسبية في تكاليف انتاج النفط تربو او توازي الزيادة المماثلة في فنزويلا .

(جـ) تكاليف انتاج النفط العربي :

من المؤسف حقاً الا يعثر الباحث في هذا الموضوع على احصاءات دقيقة في اي مصدر مـا عدا التقرير السري المقدم للكونغرس الامريكي فلا شركات النفط تكشف لنا عن هذه التكاليف ولا الحكومات العربية المعنية تعرفها لان معرفة هـذه التكاليف تتطلب اجراء دراسة مستفيضة من قبل خبراء واخصائيين بارعين تفتقر اليهم تلك الدول . وقـد ورد في التقرير المومى اليه ان التكاليف الحقيقية لانتاج البرميل الواحد من النفط الخام بلغت في عـام ١٩٤٩ حوالي ١٩٫٦ سنتاً امريكياً في المملكة العربيـة السعودية و ١٠ سنتات في البحرين و ١٣ سنتاً في الكويت[٢] مقابل ٨٥ سنتاً في فنزويلا[٣] و ١٫٨٥ دولاراً في الولايات المتحدة[٤] وجميع هذه الاحصاءات هي لعام ١٩٤٩. وقد قدرت الهيئة الاقتصادية الاوروبية في تقرير لها عن معدل تكاليف انتاج البرميل العربي الواحد في عام ١٩٥٤ بحوالى ٣٥ سنتاً (ولا تتضمن جميع ارقـام التكاليف المذكورة اية عائدات او رسوم مدفوعة للحكومات العربية) ويعتقد الكاتب ان الرقم الاقرب للصحة ربما كان

---

(١) *P.P.S*,, «Rising Scale of Capital Needs» Vol. 24, No. 11, Nov. 1957, p. 411.

(٢) International Petroleum Cartel, *op. cit.*, pp 357-8 and 364-5.

(٣) MicKsell R. and Chenery H.S., *Arabian Oil : America's Stake in the Middle East*, (Chapel Hill : University of North Carolina Press, 1949) p. 19.

(٤) *Ibid.*.

يتراوح بين ٢٧ – ٣٠ سنساً فقط . وبالاضافة الى جميع العوامل السابقة الذكر فهنالك اسباب اخرى تكسب نفطنا ميزة على النفط الفنزولي وهي :

أ – كون ٦٠٪ من النفط الفنزولي المنتج من النفط الثقيل من درجة ٢٥ فما اقل وهذا النفط يصلح لانتاج الزيوت الثقيلة التي تحتاج اليهـا الولايات المتحدة ولا ينتج كميات كبيرة من البنزين والكاز الذي تحتاج اليه اوربا ومعظم اسواق النفط الاخرى[١] بينما يعتبر نفط الشرق الاوسط من الخامـات الخفيفة من درجة ٣٢ فما فوق وهو ينتج كميات كبيرة من البنزين والمحروقات الاخرى .

ب نظراً لوجود طاقة تكريرية كبيرة في فنزويلا تبلغ ٧١٠،٠٠٠ برميل يومياً فقد اصبحت صادراتها من النفط تشتمل على ٥٣٪ من النفط المكرر[٢] ولما كانت معظم الدول المستوردة للنفط وخاصة الاوربية منها ترغب في تكرير جميع حاجاتها من النفط في مصافيها واراضيها فان الدول المستوردة للنفط تفضل استيراد النفط الخام العربي لتحتفظ بنفسها بأرباح التكرير التي يبلغ معدلهـا دولار واحد لكل برميـل كما سيرد بحث ذلك ومن الجدير بالاشارة ان ٩٠٪[٣] من صادرات النفط العربي تتألف من النفط الخام ولذلك يفضل النفط العربي الخـــام على النفط الفنزولي المكرر .

جـ – كون النفط الفنزولي يبـــاع بالدولارات ولذلك فهو يدعى بالنفط الدولاري بينما يبـاع معظم النفط العربي بالعملة الاسترلينيـة والعملات الاوربية الاخرى ولذلك تفضل معظم الدول وخـاصة التي تعاني نقصاً في القطع النادر شراء النفط العربي بدلاً من الفنزولي .

ويمتاز النفط الفنزولي من الجهة الاخرى على النفط العربي بثلاث ميزات :

---

(١) *P.P.S.*, «Venezuela : More Oil Less Demand», vol. 25, No. 4, Ap. 1958 p 126 and مجلة النفط، «فنزويلا في عالم يسوده التنافس»، المجلد ٢١ ، رقم ٣ ، آذار ١٩٥٤ ، ص ٧٠ .

(٢) *P.P.S.*, «Widening Horizons in Venezuela», Vol. 24, No. 7 July 1957. p. 248.

(٣) رقم تقريبي .

١ – قرب فنزويلا من اسواق النفط الرئيسية بينما يضطر النفط العربي الى الانتقال في انابيب طويلة تمتد عبر الصحراء الى المرافىء ليستأنف سيره الطويل عبر البحر الابيض المتوسط الى اوربا مما يؤدي الى زيادة بالغة في تكاليف نقل النفط العربي قدرت بحوالي ٨٦ سنتاً امريكياً لكل برميل بينما تقع فنزويلا قرب سوقها الرئيسي الولايات المتحدة كما هي اقرب الى اوروبا من الشرق الاوسط[١]

٢ – يحتوي النفط العربي على درجة كبيرة من الكبريت مما يؤثر في نوعية وجودة النفط وقد امكن التغلب على هذه العقبة باستعمال وسائل تكرير حديثة لاستخلاص الكبريت من النفط مما ادى الى تفضيل انواع خاصة من النفط الفنزولي على النفط العربي .

٣ – ظروف المعيشة الصعبة في مراكز انتاج النفط العربي مما ادى الى انشاء وسائل باهظة التكاليف لتأمين المنشآت اللازمة للعمل في هذه الظروف القاسية[٢] بينما لا توجد اصلاً ظروف مشابهة في فنزويلا مما ادى الى زيادة طفيفة في نفقات انتاج النفط العربي .

وبالرغم من هذه النقاط الثلاث فان النفط العربي الذي يتمتع بميزاته الفريدة الاخرى لا يزال ينافس النفط الفنزولي في اي سوق حتى في الولايات المتحدة .

(د) تسعير النفط :

يحتاج بحث موضوع تسعير النفط بالتفصيل الى مقالة اخرى الا انني ارغب في ان اشير في هذه المقالة الموجزة ، الى ان شركات النفط السبعة التي تسيطر على صناعة النفط العالمية قد حددت اسعار جميع اصناف درجات النفط باعتماد اسعار الولايات المتحدة المرتفعة اساساً للاسعار سواء اكان مصدر هذا النفط الشرق الاوسط الذي يتمتع بميزة انخفاض تكاليف الانتاج والذي يتوجب نقله مسافات كبيرة او سواء أكان مصدر النفط فنزويلا القريبة من اسواق الاستهلاك او سواء

---

(١) P.P.S., «The Incomparable Middle East » vol. 23, No. 7, July 1956, p. 242

(٢) مجلة النفط، « اقتصاديات نفط الشرق الاوسط» ، المجلد ٢١ ، رقم٣، آذار ١٩٥٤، ص١٨

أكان مصدر النفط الولايات المتحدة ذات التكاليف المرتفعة جداً. وبذلك تمكنت هذه الشركات من القضاء على اية منافسة من اي نوع كان فسواء اكان النفط المستورد عربياً او فنزويلياً او امريكياً او من الشرق الاقصى فان السعر هو واحد شريطة ان يكون النفط من نفس النوعية ودرجة الثقل النوعي.[1]

وقد نشبت منازعات ذات بال بين الدول الاوروبية وشركات النفط قدرت الهيئة الاقتصادية الاوربية انه لو بيع النفط باسعاره الحقيقية التي تتضمن قسطاً معقولاً من الربح لوفرت اوربا حوالى ٤٠٠ مليون دولار سنوياً . وقد ثارت ضجة كبيرة في القارة الاوربية عندما نشرت المنظمة الاوربية تقريرها عن تسعير النفط ودعا نواب حزب العمال البريطاني شركات النفط بالعدو رقم ١ الا ان تدخل الحكومات الغربية التي تنتمي اليها شركات النفط ادى الى طي هذه القضية[2].

ويتلخص موقف شركات النفط من قضية تسعير النفط بالنقاط التالي ذكرها :

١ – يتوجب الحفاظ على مستوى الاسعار الحالي لكي تتمكن صناعة النفط من تأمين الاموال اللازمة للقيام بعمليات استخراج وتكرير ونقل وتسويق النفط الباهظة التكاليف اذ ان الامر المهم هو ليس حجم الارباح بل طريقة انفاقها لمنفعة الناس[3] .

٢ – ان معدل تكاليف انتاج النفط هو اعلى من التقديرات الذي يذكرها خصوم الشركات لان التكاليف لا تتضمن فقط نفقات استخراج النفط بل تكاليف اقامة مدن ومراكز للانتاج في مناطق صحراوية نائية و كذلك فان تكاليف التنقيب عن النفط هي جد مرتفعة[4] .

٣ – يتوجب الحفاظ على مستوى مرتفع من الارباح لتأمين الاموال اللازمة

---

(١) For details refer to International Petroleum Cartel, *op- cit.*, pp 349 - 370

(٢) Harvey O'Connor, «*The Empire of Oil*», (London:John Calder, 1955) pp.302-309

(٣) *P.P.S.*, «Higher Costs and Diminishing Returns», vol. *24*, No. 4 Ap. 1957, p. 129.

(٤) *P.P.S.*, «The Incomparable Middle East», vol. *23*, No. 7 July 1956, p. 240.

للقيام بعمليـات التنقيب عن النفط لتأمين استخراج المزيد من النفط لسد حاجات العالم المتزايدة من هذه المادة[1].

٤ - يجب تحقيق مستوى مرتفـع من الارباح لـكي تبقى لحكومات الدول العربية والدول الاخرى المنتجة للنفط في العالم حصة كبيرة من العائدات لتسمح هذه الحكومات بدورها للشركات بالاستمرار في استثمار النفط[2].

ومما لا ريب فيه ان نظام تسعير النفط الحالي هو احتكاري لانه يؤمن للشركات العاملة اكبر قسط ممكن من الارباح التي قد تبلغ بلايين الدولارات في العـــام الواحد وهذا التسعير الذي يتخذ اسعار نفط الولايات المتحدة اساساً قد قُصد منه الا يتاح للنفط العربي او الفنزولي منافسة النفط الامريكي المرتفع التكاليف في اية بقعة من العالم اما زعم الشركات بأن حجم الارباح يجب ان يبقى مرتفعاً لارضاء حكومات الدول المنتجـة للنفط فهو لا ينطبق والواقع لان قسمـــاً ضئيلاً من الارباح يمنح لهذه الحكومات ولو كان الامر كما تدعي هذه الشركات فلمـــاذا لا تكشف لنا عن تكاليف الانتـــاج الحقيقية ؟ ولماذا لا تنشر حساباتهـــا السنوية ومصروفاتها وارباحها اسوة بباقي الشركات؟ ولماذا لا تنشر سائر المعلومات النفطية الاخرى لتؤكد لنا صحة مزاعمها ؟

(هـ) ارباح شركات النفط :

ان عدم توفر الاحصاءات الصحيحة عن ارباح شركات النفط تجعل اي بحث في هذا الموضوع يقتصر على التقديرات التي اوردتها مختلف الدراسات وعـــلى تقارير شركات النفط بالرغم من ان الاخيرة لا تتضمن معلومات يوثق بها :

١ - **ارباح الانتـاج** : ورد في التقرير المقدم للكونغرس الامريكي ان معدل ارباح شركة ستاندرد اوف كاليفورنيا من استثماراتها في البحرين والمملكة العربية

---

(١) *P.P.S.*, "Many Sided Competition" vol. 25, No 7, July 1958, p. 240.

(٢) O.Connor, *op. cit.*, p. 310.

السعودية ٩٠ سنتاً لكل برميل في عام ١٩٤٨ و ٩٥ سنتاً في ١٩٤٩[١] وقد قدر اوكنر ارباح شركات النفط السبع الرئيسية من استثماراتها خارج الولايات المتحدة كما يلي :

«لائحــــة ٤»

ارباح شركات النفط السبع الرئيسية من استثماراتها خارج الولايات المتحدة في عام ١٩٥٤

اسم الشركة	الدخل الصافي بملايين الدولارات	الربح الصافي بالبرميل بالسنتات الاميركية
جرسي ستاندرد	٤٢٥	٨٥
شل	٢٨٥	٥٩
تكساس	١٢١	٨٥
سوكوني فاكوم	٨٣	٨٢
غلف	١٢١	٦٠
كاليفورنيا ستاندرد	١١٧	٩٩
انجلو ايرانيان	٦٨	٣٠

المصدر : O' Connor, The Empire of Oil, P. 301.

وقد قدر اوكنر ارباح شركات النفط الرئيسية العاملة في البلاد العربية كما يلي:

(١) International Petroleum Cartel, *op. cit.*, p. 377.

« لائحـــة ٥ »

الارباح الصافية لبعض الشركات العاملة في العالم العربي

اسم الشركة	الارباح بملايين الدولارات ١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢
ارامكو	١١٥،٠	١٥٩،٩	١٨٠،٠
كالتكس – بابكو	٥٠،٦	٩٨،٤	١١٥،٠
نفط الكويت	٣٨،٦	٤٣،٠	٤١،٠

المصدر : O'Connor, The Empire of Oil, p. 302

وقد قدر او كنر ايضاً ارباح الشركات العاملة في الشرق الاوسط في عام ١٩٥٣ بالمبالغ التالية والجدير بالذكر ان هذه الارباح قد جنيت من البلاد العربية فقط لان انتاج ايران في تلك السنة كان متوقفاً نظراً للخلاف الانجلو ايراني على قضية تأميم النفط :

« لائحـــة ٦ »

ارباح شركات النفط العاملة في الشرق الاوسط في عام ١٩٥٣

اسم الشركة	الارباح بملايين الدولارات
كاليفورنيا ستاندرد	١١٧،٥
تكساس	١١٧،٥
نيوجرسي ستاندرد	٦٥،٥
غلف	٧٦،٠
سوكوني	٣٥،٥

المصدر : O'Connor, The Empire of Oil, p. 302

والجدير بالاشارة ان جميع تقديرات اوكنر تعتمد على تقارير شركات النفط التي تذكر ارقاماً جد متواضعة عن ارباحهـــا الصافية ويعزى انخفاض ارباح شركة الكويت الى انها تعاقدت مع الشركات التي تمتلكها على بيع النفط اليهـا لمدة ٢٠ سنة بسعر محدد وبربح محدود لا يتجـاوز عشرة سنسات لكل برميل [١] بينما تجني الشركات الام الارباح الطائلة ولعمري هذا اغرب عقد لبيع سلعة مـــا . ولعل افضل مثـال اقدمه للدلالة على حجم الارباح الطائلة التي تجنيهـا شركات النفط هو الاشارة الى ان شركة ارامكو حققت في عـــام ١٩٥٧ ربحاً بلغ ٦٠٪ من قيمة منشآتها الثابتة وان رأسمالها الاولي المستثمر والبالغ ١٠١ مليون دولار قد تضاعف حتى عام ١٩٤٥ الى اكثر من ١٢٠٠ مليون دولار[٢]. بينما قفز رأسمال شركة بابكو في البحرين من مليون جنيه استرليني في عـام ١٩٣٦ ، الى ٢٥٤٤٤ مليون ليرة استرلينية في عام ١٩٥٠[٣] والفرق هو طبعـاً الارباح التي تراكمت خلال ١٤ عاماً وهذا ما يدحض ادعاءات الشركات وتقاريرها المغلوطة عن ارباحها المتواضعة.

٢ - **ارباح التكرير** : تكون ارباح التكرير مصدراً مهماً لارباح الشركات قد يربو على ارباح انتـاج النفط ولذلك اقامت هذه الشركات مصافي للنفط خارج الدول العربيـــة لتحتفظ بأرباح التكرير لنفسها . وقد قـــام الخبيران نيلسون وكيوستون بتكرير نفط خام عربي وفنزولي كلاهما من درجة ٣١ لتحديد ارباح التكرير وتبين ان النفط العربي يدر ربحاً قدره ٧٣ سنساً لكل برميل مقابل ٩٤ سنساً للبرميل الفنزولي ويمكن مضاعفة هـــذه الارباح اذا ما كرر النفط بموجب طريقـــة كيماويه معقدة[٤] . ويعزى الفرق في ارباح التكرير بين النفطين العربي والفنزولي الى أن نوعية الاخير هي مناسبة تمامـاً لتكرير المنتوجات النفطية الثقيلة

---

(١) *World Petroleum Report : 1958.*« Kuwait's Oil Law Summary», Vol. 4 p. 150.

(٢) International Petroleum Cartel, *op. cit.*, pp. 120-25

(٣) Mohammed Yaganeh, «Investment In the Petroleum Industry of the Middle East, *Middle East Journal*, vol. 6, No 2. p. 245.

(٤) *P.P.S.*, «Evaluating Crude Oil», vol. 25, No. 3, Ap. 1958, p. 148.

بينما يصلح النفط العربي لاستخراج كميات وفيرة من البنزين والكاز وقد قدرت الهيئة الاقتصادية الاوربية ارباح التكرير في الشرق الاوسط وجنوبي امريكا (اي فنزويلا بصورة رئيسية) او الولايات المتحدة كما يلي :

« لائحة ٧ »

ارباح التكرير في المراكز الرئيسية للنفط بالبرميل الواحد والدولارات الامريكية

التاريخ ١٥ تشرين اول	الشرق الاوسط	جنوبي امريكا	الولايات المتحدة
١٩٤٨	١،١٢	٠،٧٦	٠،٧٥
١٩٤٩	٠،٩٢	٠،١٣	٠،٨٤
١٩٥٠	١،١٤	٠،٣٣	٠،٩٨
١٩٥١	١،١٨	٠،٣٥	١،٠٢
١٩٥٢	١،٠٥	٠،٢٧	١،٠٨
١٩٥٣	١،٠٥	٠،٤٣	١،٠٦
١٩٥٤	٠،٩٧	٠،٣٧	٠،٨٦

المصدر : The Price of Oil In western Europe

ومن الواضح ان ارباح تكرير نفط الشرق الاوسط هي اعلى من مثيلاتها في كل من فنزويلا والولايات المتحدة وهي تربو على ٩٠ سنساً وهو معدل ربح انتاج النفط بالبرميل الواحد والتي تقتسمها مع الدول العربية بينما تحتفظ بجميع ارباح التكرير لنفسها .

٣ — **ارباح التسويق** : لا نعلم على وجه الضبط ارباح التسويق التي تجنيها الشركات السبع الام التي تمتلك شركات النفط نظراً لاستحالة معرفتها ما لم تعلنها شركات النفط بذاتها الا ان هذه الارباح تقدر بما يتراوح بين ٢٠ — ٣٠ سنساً

امريكيا لكل برميل واحد .

٤ - **ارباح النقل :** قدر التقرير المقدم للكونغرس الامريكي ارباح شركة التابلاين من نقل كل برميل من النفط السعودي في انابيبها بـ ٣٠ سنتاً بينما ذكرت شركة نفط العراق ان ارباحها من نقل النفط العراقي بخط كركوك - طرابلس يبلغ حوالي ٢٧٫٣ سنتاً لكل طن ميلي[١] بينما قدرت الحكومة اللبنانية هذه الارباح بـ ٤٥ سنتاً وتجني شركات النفط ارباحاً اضافية من نقل النفط بالناقلات لان تلك الشركات تمتلك نصف اسطول ناقلات النفط العالمي .

٥ - ارباح شركات النفط الاجمالية :

بلغت ارباح شركات النفط العاملة في الشرق الاوسط حسب تقديرات الهيئة الاقتصادية الاوروبية خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٤٥ - ١٩٥٤ حوالي ٣٥٠٠ مليون دولار وقد قدرت هذه الهيئة ارباح الشركات لفترة ١٩٥٥ - ١٩٦٤ بـ ٨٠٠٠ مليون دولار اي بمعدل ٨٠٠ مليون دولار سنوياً ، يأتي ٨٠٪ منها من البلاد العربية المنتجة للنفط والباقي من ايران . وقد قدرت الهيئة المذكورة انه يمكن زيادة هذه الارباح الى ٢٨٣٥ مليون دولار سنوياً اذا استثمرت الشركات العاملة في الشرق الاوسط ٥٠٠٠ مليون دولار لاستخراج المزيد من النفط حتى يرتفع الانتاج السنوي الى ٤٥٠ مليون طن[٢] ويعتقد الكاتب ان التقدير الاقرب للصحة عن التوزيع الامثل لارباح شركات النفط العاملة في الدول العربية وعن تكاليف الانتاج من العمليات الاربع هو كما يلي :

---

(١) المذكرة المؤرخة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٥ والمقدمة من قبل شركة نفط العراق الى الحكومة السورية .

(٢) مقال منشور في جريدة الاكسبرس الفرنسية نقلاً عن تقرير مسهب للهيئة الاقتصادية الاوربية وقد نقلته الى العربية جريدة السياسة اللبنانية في عددها الصادر في ١٧ آب ١٩٥٨، صفحة ٥ .

لائحة

الارباح والتكاليف الاجمالية لعمليات النفط في العالم العربي عن كل برميل بالدولارات الاموريكية

التكاليف الاجمالية	
تكاليف الانتاج	٠،٢١ – ٠،٣٥
تكاليف النقل	٠،٢٠ – ٠،٣٢
تكاليف التسويق	٠،٠٣ – ٠،٠٥
حصة الحكومات العربية من الارباح	٠،٧٠ – ٠،٨٠
مجموع التكاليف	١،١٤ – ١،٥٢

الارباح الاجمالية التي تجنيها الشركات	
ارباح الانتاج	١،٤٤ – ١،٦٣
ارباح النقل	٠،٣٥ – ٠،٥٠
ارباح التسويق	٠،٠٤ – ٠،٠٨
حصة الشركات العاملة من الارباح تتضمنها ارباح الانتاج	
مجموع ارباح الشركات من انتاج وبيع النفط الخام	١،٨٣ – ٢،٢١
ويضاف الى هذه الارباح ارباح التكرير فيما اذا كررت الشركة المختصة النفط واعادت بيعه وتقدر بـ	٠،٧٣ – ٠،٨٠
المجموع الاجمالي لارباح شركات النفط العاملة في العالم العربي من انتاج وبيع النفط المكرر	٢،٥٦ – ٣،٠١

المصدر : اعتمد في هذه الارقام على جميع التقارير والاحصاءات والمصادر المذكورة في هذه المقالة ، الا ان الارقام المذكورة هي تقريبية وقد جمعت هنا في محاولة لاعطاء فكرة واضحة وشاملة عن الارباح والتكاليف الاجمالية بعد ان اخذ المؤلف بعين الاعتبار وجهة نظر كل من الشركات والدول العربية والسعر السائد للنفط الخام والمكرر في السوق العالمية.

ومن الجدير بالاشارة في هذا المقام ان معدل الربح من بيع النفط الخام الذي قدرة الكاتب بما يتراوح بين ١،٨٣ – ٢،٢١ دولاراً عن كل برميل اي حوالي ٦،٢ الى ٧،٦ ليرات لبنانية هو قريب من الرقم الذي قدرته الهيئة الاقتصادية

الاوربية عن ارباح الشركات العاملة في الشرق الاوسط عن البرميل الواحد من النفط الخام والبالغ ٢،١٢ دولاراً . واذا ما اضفنا الى هذه المعدلات تكاليف الانتاج وقارناها مع سعر برميل النفط الخام السائد في السوق العالمية لتبينت لنا الحقيقة المجردة .

	دولارات امريكية
معدل الربح بالبرميل الواحد كما يقدره المؤلف	١،٨٣ – ٢،٢١
معدل التكاليف بالبرميل الواحد كما يقدره المؤلف بما فيه حصة الحكومات العربية من الارباح	١،١٤ – ١،٥٢
المجموع	٢،٩٧ – ٣،٧٣

مقابل السعر السائد في السوق الامريكية للبرميل الواحد من النفط العربي والبالغ ٣،٣٥ دولاراً .

اما تقديرات الهيئة الاقتصادية الاوربية فهي كما يلي :

	دولارات امريكية
معدل الربح بالبرميل الواحد	٢،١٢
معدل التكاليف بالبرميل الواحد	٠،٣٥
معدل حصة الحكومات العربية من الارباح بالبرميل الواحد	٠،٧٥
المجموع	٣،٢٢

ويقل هذا المعدل عن سعر النفط الخام السائد في السوق الامريكية والبالغ ٣،٣٥ دولاراً بـ ١٣ سنتاً بينما يتراوح الفرق المماثل في تقديرات الكاتب بين ٣٨ سنتاً كحد اعلى و٣٨ سنتاً ايضاً كحد ادنى ومن الضروري وجود تباين من هذا النوع لان درجات الثقل النوعي للنفط العربي هي مختلفة ولذلك تتأرجح الاسعار ضمن نطاق لا يتعدى ٧٦ سنتاً كما ان تكاليف الانتاج تختلف بين البلاد العربية .

وبأعتماد هذه الارقام عن معدل الربح بالبرميل الواحد واذا ما ضربنا هذه

المعدلات بمعدل انتاج العالم العربي من النفط في عام ١٩٥٧ والبالغ ٢،٧٥٥،٨٠٠ برميل يومياً لبلغت الارباح اليومية لشركات النفط العاملة في البلاد العربية المبالغ التالية :

« لائحـــة »

الارباح اليومية لشركات النفط العاملة في العالم العربي

معدل الارباح كما قدره :	معدل الربح بالدولارات الامريكية عن كل برميل نفط	الربح اليومي بالدورات
الكاتب عن كل برميل من النفط الخام – الحد الادنى –	١،٨٣	٥،٠٤٣،١١٤
الكاتب عن كل برميل من النفط الخام – الحد الاعلى –	٢،٢١	٦،٠٩٠،٣١٨
الكاتب عن كل برميل من النفط المكرر – الحد الادنى –	٢،٥٦	٧،٠٥٤،٨٤٨
الكاتب عن كل برميل من النفط المكرر – الحد الاعلى –	٣،٠١	٨،٢٩٤،٩٥٨
الهيئة الاقتصادية الاوربية عن كل برميل من النفط الخام	٢،١٢	٥،٨٤٢،٢٩٦

ويتبين لنـــا من الجدول المتقدم ان الحد الادنى لارباح الشركات العاملة في البلاد العربية من بيع النفط العربي الخام يبلغ خمسة ملايين دولار تقريبـــاً ويزيد هذا الرقم الى ٥،٨ مليون دولار اذا اعتمدنا تقديرات الهيئة الاقتصادية الاوربية ويتصاعد هذا الرقم ليبلغ الحد الاعلى للارباح وهو ٨،٣ مليون دولار اذا اعتمدنا الحد الاعلى للارباح من النفط المكرر .

اما شركات النفط الرئيسية فقد اعلنت ان ارباحها المجتناة بلغت كما يلي :

« لائحـــة ٨ »

ارباح شركات النفط العالمية بملايين الدولارات

اسم الشركة	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧
شركة النفط البريطانية	٤٧،٦	١٢٩،٤	١٤٤،٥	١٣٠،٢
مجموعة شل – الهولندية	٣٧٢،٦	٤٤٨،٠	٥١٩،٦	٥٩٥،٥
غلف	١٨٢،٨	٢١٨،٣	٢٨٢،٧	٣٥٤،٣
سوكوني موبيل	١٨٣،٨	٢٠٨،٣	٢٤٩،٥	٢٢٠،٤
كاليفورنيا ستاندرد	٢١١،٨	٢٣١،١	٢٦٧،٩	٢٨٨،٢
جيرسي ستاندرد	٥٨٤،٨	٧٠٨،٣	٨٠٨،٥	٨٠٥،٢
تكساس	٢٢٦،١	٢٦٢،٧	٣٠٢،٣	٣٣٢،٣

المصدر *P.P.S.*, "The Majors Annual Reports" Volumes 23, 24 and 25. No. 6.

وقد حاول الكاتب ان يقارن المداخيل النفطية المباشرة في كل من البلاد العربية وفنزويلا ولكن محاولاته فشلت لان الاحصاءات الدقيقة عن عائدات الدول العربية ما عدا العراق هي غير متوفرة وحتى المتوفر منها في المصادر الثانوية كان متناقضاً كل التناقض اما تقديرات هيئة الامم المتحدة عن هذه الارباح فلا يصح الركون اليها لانها مستقاة من تقارير الشركات ذاتها التي تبالغ في عائدات البلاد العربية وترفعها الى نسبة تعادل عائدات فنزيلا عن كل طن من النفط المنتج لتضلل كل باحث في هذا الموضوع ولا استطيع في مقالة موجزة كهذه تبرير اعتقادي هذا .. الا انني اود ان اشير الى ان عائدات فنزويلا من انتاج ١٤٥،٣ مليون

طن بلغ ١٢٣٠ مليون دولار[1] مقابل زهاء ٧٥٠ مليون دولار (حسب احصاءات هيئة الامم المتحدة) تقاضتها الدول العربية في نفس العام .

والاستنتاج المأمون العواقب الذي استطيع ان اقوله هو ان عائدات النفط الفنزولية هي بلا ريب اكبر من العائدات المماثلة في الشرق الاوسط الى اننا لا نعلم نسبة زيادة العائدات الفنزولية نظراً لعدم توفر الاحصاءات والدراسات الصحيحة عن هذا الموضوع .

القسم الرابع : شؤون العمال

ينظم قانون العمل الفنزولي الصادر في عام ١٩٣٦ وتعديلاته شؤون العمال في فنزويلا ويعتبر هذا القانون احدث واحسن تشريعات العمل في العالم ، الا ان نقابات عمال النفط قد عقدت اتفاقية في عام ١٩٥٣ مع جميع شركات النفط العاملة في فنزويلا بجميع الشروط التي يتوجب على الشركات تقديمها للعمال وسأسرد فيما يلي اهمها مع مقارنتها بالتشريعات المماثلة في الدول العربية . وقد اعتمد الكاتب في هذه المقارنة على تقارير الشركات المعنية ونصوص قوانين العمل العربية لقلة المعلومات الصحيحة في المصادر الاخرى عن احوال العمال العرب :

١ – **الاجور** : مما يؤسف له انه لا توجد لدينا احصاءات عن اجور العمال العرب المهرة والموظفين العرب في شركات النفط العاملة في البلاد العربية ولذلك سيقتصر بحثنا هذا على الحد الادنى لاجر العامل الغير مدرب . والجدير بالاشارة ان اتفاقية العمل الجماعية حددت اجور جميع العمال الفنزولين وقسمت كلا منهم الى فئات كما هو مبين في الجدول التالي :

---

(١) World Petroleum Report : 1958, *op. cit.*, p. 136.

«لائحة ٩»

اجور بعض اصناف العمال والموظفين الفنزوليين العاملين في شركات النفط

نوع العمل	الاجر اليومي بالبوليفارات
الحد الادنى لاجرة العامل الغير مدرب	١٨،٢٥
سائق سيارة	٢٩،١٥
حداد فئة ١	٣١،٦٥
حداد فئة ٥	٢٢،٢٥
مفتش خيام فئة ١	٢٤،٢٥
نجار فئة ٣	٢٤،٢٥
عامل كهربائي فئة ١	٣٣،٨٥
اطفائي فئة ١	١٩،٢٥
سباك فئة ٢	٢٩،١٥
عامل مصفاة فئة ٣	٢٤،٢٥
مراقب آبار فئة ٣	٢٢،٢٥

	الراتب الشهري بالبوليفارات
موظف فئة أ	٩٢٥،٠٠
موظف فئة ب	٧٨٠،٠٠
موظف فئة جـ	٦٨٠،٠٠
موظف فئة د	٦٠٠،٠٠

البوليفار الواحد يساوي ليرة لبنانية تقريباً.

المصدر: وزارة العمل الفنزولية «الاحكام التي ترعى شؤون العمال في صناعة النفط تمشياً مع اتفاقيات العمل الجماعية المعقودة بين شركات ونقابات النفط المستقلة في فنزويلا» في عام ١٩٥٣، ص. ١٦-١٧ و٧٢-١١٩.

وتدفع الشركات اجور ٧ ايام لقاء عمل ستة ايام فقط . ومما تجدر الاشارة اليه الى ان نقابات عمال النفط قد زادت بالاتفاق مع الشركات نسب الاجور المذكورة في الجدول المتقدم١٠ ٪ في عام ١٩٥٦ وبذلك يبلغ وسطي اجرة العامل الفنزولي ٢٠ بوليفاراً وقد قدر متوسط اجر العامل في عام ١٩٥٧ بـ ٤٥٠٠ دولار ويرتفع هذا الرقم الى ٦٠٠٠ دولاراً اذا مـــا اضيف اليها الزيادات والمنـــافع الاضافية الاخرى[١]. وقد قدر وسطي اجرة وتكاليف العامل الفنزولي في عام ١٩٥٧ لكل يوم عمل بـ٥١،٦٣ بوليفاراً او مـا يعادل ٥٠ ليرة لبنانية او ١٥،٥ دولاراً كما هو مبين في الجدول التالي:

« لائحـــة ١٠ »

معدل مقبوضات العامل الفنزولي عن كل يوم عمل في عام ١٩٥٧

تفاصيل الاجور والفوائد	المخصصات بالبوليفارات الفنزولية	ما يعادل القيمة بالدولارات
الاجر الاساسي	٢٥،٢٥	٧،٥٨
بدل العمل الاضافي	١،٩٦	٠،٥٩
بدل اوقات الانتقال	٣،١٥	٠،٩٥
بدل اجور ليلية	١،٠٣	٠،٣١
قيمة منح ايام الآحاد والعطل	٠،٨٠	٠،٢٤
بدل اجرة ايام الراحة	٤،٣٣	١،٣٠
بدل اجرة ايام العطل	٢،٤٨	٠،٧٤
مخصصات لمشاريع التوفير	١،٩٠	٠،٥٧
مخصصات لغرض الاسكان	٣،١٩	٠،٩٦
مخصصات منح ١٠ ٪ من ارباح الشركة للعمال	٦،٦٩	٢،٠٧
مدفوعات متفرقة	٠،٨٥	٠،٢٦
مجموع اجرة ومقبوضات العامل	٥١،٦٣	١٥،٤٧ وهو الاجر الذي يتقاضاه العامل ٢٨٧ يوماً في كل سنة
مجموع المقبوضات الاضافية (ما عدا الاجرة اليومية)	٢٦،٣٨	٧،٩٩

(١) "Labour In Venezuela". World Petroleum Report : 1958, *op. cit.*, p. 136.

البوليفار الواحد يساوي ليرة لبنانية واحدة تقريباً او ٣٠ سنساً امريكياً .

المصدر : *World Petroleum*, "Hors Oil Workers Fare in Venezuela", Vol. 29, No. 7, July 1958, p. 66.

وتوزع الشركات بموجب قانون العمل على عمالها ١٠٪ من ارباحها السنوية شريطة الا يزيد المبلغ المدفوع عن اجره شهرين وقد جرت العادة ان يقبض العمال اجرة شهرين سواء اربحت الشركة ذلك المبلغ ام لا .

اما في البلاد العربية فان الاجور جد ضئيلة ومع انه يتوجب علينا مقارنة الارقام القياسية لنفقات المعيشة قبل مقارنة الاجور الا ان ذلك متعذر لعدم وجود دراسات عن الارقام القياسية في الدول العربية ولذلك يقتصر الجدول التالي على مقارنة الاجور التي يقبضها العامل الفنزولي والعربي الغير مدرب .

« لائحة ١١ »

الحد الادنى لاجور العمال الغير مدربين في صناعتي النفط العربية والفنزولية

جنسية العامل	الاجر بالعملة الوطنية	ما يعادل الاجر بالدولارات	نسبة الاجرة الى الحد الادنى لاجر العامل الفنزولي
فنزولي	٢٠ بوليفاراً[١]	٦	١٠٠٪ الاساس
سعودي	٧،٥ ريال سعودي[٢]	٢	٣٣،٣٪
عراقي	٠،٢٥ ديناراً عراقياً[٣]	٠،٧	١١،٦٪
كويتي	٧ روبيات[٤]	١،٧	٢٨،٣٪
بحراني	٤،٢٥ روبية[٥]	٠،٩	١٥،٠٪

المصادر: (١) الاجر في عام ١٩٥٧ والمصدر: World Petroleum, Vol. 29, No.7, July 1958, p. 65.

(٢) الاجر في عام ١٩٥٧ والمصدر: Aramco, Report of operation: 1957, p.27.

(٣) الحد الادنى للاجر الذي نص عليه قانون العمل العراقي ص ٧٧.

(٤) الاجر في عام ١٩٥٤ والمصدر: محمد جواد العبوسي، البترول في الدول العربية ص ٢١٣

(٥) الاجر في عام ١٩٥٤ والمصدر : David Finnie, Desert Enterprice, p. 109.

ويجب الا يغرب عن بالنا ان اللائحة المتقدمة اعتمدت اجر العامل الفنزولي الغير مدرب اساساً ولو اننا اعتمدنا متوسط اجر العامل اليومي البالغ ٦٣، ٥١ بوليفاراً لزادت نسب زيادة اجرة العامل الفنزولي زيادة بالغة . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقـــام انه بالرغم من ان شركات النفط العاملة في البلاد العربية تدفع للعمال العرب اجوراً منخفضة نسبياً وخاصة اذا مـا قورنت بالاجور المدفوعة في فنزويلا وليس باجور العمال العرب العاملين في الصناعـات المحلية الاخرى ، فان هــذه الشركات تدفع اجوراً باهظة للعمال والموظفين الاجانب وكثيراً مـــا يربو اجر الموظف الاجنبي على الموظف العربي بحوالي اكثر من ثلاثة اضعاف بالرغم من انهما يؤديان نفس العمل تمامـاً . واذا ما اعتمدنا متوسط اجرة العـامل الفنزولي البالغة ١٥،٥ دولار في اليوم لبلغ مجموع الاجور السنوية المدفوعة لعمال النفط الفنزوليين في عام١٩٥٧ البالغ عددهم ٦٠،٠٠٠ عامل حوالي ٢٧٠ مليون دولار ويعادل هذا المبلغ ٢٢٪ من مجموع العائدات النفطية المدفوعة للحكومة الفنزولية في عام ١٩٥٧ والبالغة ١٢٣٠ مليون دولار[١] .

٢ – **التعويضات** : نصت اتفاقية العمل الجماعية على وجوب منح العامل الذي يستقيل من الخدمة التعويض العادي المنصوص عنه في قانون العمل اما اذا سرحت الشركة العامل فانه يستحق ضعف التعويض الاعتيـادي عن كل سنة خدمة فعلية ويعادل التعويض اجر شهر ونصف عن كل سنة وتحسب على اساس الاجر الاخير الذي تقاضاه العامل[٢] اما قانون العمل السعودي فانه ينص على منح العامل تعويضاً يعادل اجرة نصف شهر عن كل سنة خدمة فعلية عـلى ان لا يزيد مجموع التعويض عن اجرة ست شهور الا اذا كانت مدة الخدمة الفعلية تزيد عن ٢٠ عاماً فيبلغ الحد

(١) اعتمد الكاتب في حساب هـذا الرقم على متوسط اجر العامل الفنزولي البـالغ ١٥،٥ دولاراً لمدة ٢٨٧ يومـــاً في السنة وعلى عائدات حكومة فنزويلا من النفط البالغة ١٢٣٠ مليون دولاراً في عام ١٩٥٧ .

(٢) وزارة العمل الفنزولية ، الاحكام التي ترعى شؤون العمال في صنـــاعة النفط تمشياً مع اتفاقيات العمل الجماعية المعقودة بين الشركات ونقابات النفط المستقلة في فنزويلا في عام ١٩٥٣ ، نقله الى العربية محمد صالح بنداق (بيروت : القنصلية الفنزولية، ١٩٥٦) المادة ١٥، ص ٢٣.

الاقصى للتعويض اجرة ١٨ شهراً [١]. وينص قانون العمل العراقي على منح العامل المصروف اجرة نصف شهر عن كل سنة خدمة فعلية [٢] اما في الكويت فان نسبة التعويض تزداد باطراد بزيادة الخدمة فيستحق العـــامل الذي قضى خمسة سنين في الخدمة تعويضاً يعادل اجرة ثلاثة أشهر ونصف بينما يبلغ تعويض العامل الذي قضى ٤٠ سنة خدمة او أكثر تعويض يعادل اجرة ٥٢ شهراً [٣].

ويحق لورثة العامل الفنزولي الذي يفقد حياته او يتعطل كلياً عن العمل ان يستلموا تعويضاً تتراوح قيمته بين ٤٥٠٠ – ٧٥٠٠ دولاراً [٤] بينما يتقاضى العامل السعودي في الحالات المماثلة تعويضاً يتراوح بين ٣٢٠٠ – ٧٢٠٠ دولاراً [٥] بينما يتقاضى ورثة العامل العراقي تعويضاً يعادل اجرة سنتين [٦] ومن الغني عن البيان ان نؤكد ان التعويضات الفنزولية تربو عن مثيلاتها في الدول العربية وهي تؤمن للعامل شيخوخة سعيدة وخاصة ان معظم شركات النفط العاملة في فنزويلا قد وضعت نظام ضمان اجتماعي لعمالها .

٣ – **عدد العمال** : يشترط قانون العمل الفنزولي ان تكون نسبة العمال الفنزوليين ٧٥٪ من مجموع عـدد العمال الا ان برامج التدريب الممتازة قد ادت بمرور الزمن الى تمرين اكفأ عمال للنفط في العالم كله (ما عدا الولايات المتحدة) وخاصة فيما يتعلق بالانتاجية ولذلك اصبح ١٠٠٪ تقريبـاً من عمـــال النفط من الفنزوليين . وتوجد نسبة اقل من الفنزوليين بين الموظفين والاداريين الا ان نسبة العمال والموظفين الوطنيين الآن لا تقل عن ٩٠٪ من مجموع القوة العاملة في صنـاعة النفط [٧] والتي قدرت في عام ١٩٥٤ بـ ٦٠،٠٠٠ عامل [٨] بينما يبلغ عدد عمال النفط

(١) وزارة الماليـــة السعودية ، قانون العمل السعودي ، (مكة المكرمة : مطبعة الحكومة ، ١٩٤٥) المادة ١٢ ص ٨–٩

(٢) كامل السامرائي ، قوانين العمل والعمال ، (بغداد : دار المعرفة ، ١٩٥٥) الطبعة الثانية ، المادة ٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٣) Kuwait Oil Co., *The Story of Kuwait*, p. 41

(٤) الاحكام التي ترعى شؤون العمال ...، المصدر المذكور سابقاً ، المادة ١١ ص ٢١ .

(٥) قانون العمل السعودي ، المصدر المذكور سابقاً ، المادة ٢٥ ، ص ١٤ .

(٦) قوانين العمل والعمال ، المصدر المذكور سابقاً ، المادة ١١ ، ص ٣٤ – ٣٦ .

(٧) Labour In Venezuela, World Petroleum Report : 1958, *op. cit.*, p, 136.

(٨) Fanning, *op. cit.*, p. 99.

في المملكة العربية السعودية في عــام ١٩٥٧ حوالي ١٨،٣٢٥ عاملاً بلغت نسبة السعوديين منهم ٦٩،٥٪ [١]. ويقدر عدد عمال النفط في العراق بحوالي ١٢،٠٠٠ الا اننا لا نعلم عـلى وجه الدقة نسبة العراقيين نظراً لتكتم شركة نفط العراق في هذا الامر امـا في الكويت فقد بلغ عدد العمال ٦،٠٠٠ في عام ١٩٥٧ [٢] بلغت نسبة الكويتيين منهم ٣٠ ٪ فقط [٣]. وقد بلغ عدد عمال النفط في البحرين في عام ١٩٥٤ حوالي ٨٨٤٠ بلغت نسبة البحرانيين منهم ٦٤٪ [٤]. ومعظم العمال العرب هم غير مدربين وهم يتقاضون اجور يومية زهيدة وهنالك ثلاث عوامـــل رئيسية سببت انخفاض نسبة العمال العرب في صناعة النفط وهي برأي الكاتب :

(١) حصر وتركيز معظم برامج تدريب العمال بالتدريب المهني البسيط.

(٢) غموض تشريعـات وقوانين العمل في البلاد العربية وتلكؤ الحكومات العربية المعنية او بالاحرى عجزهـا عن الزام الشركات العاملة على توظيف اكبر نسبة ممكنة من العمال فيها فضلاً عن تحسين احوالهم .

(٣) تصدير حوالي ٩٠٪ من النفط العربي دون تكريره في البلاد العربية . ولو كرر ٢٥٪ من النفط العربي المنتج لامكن زيادة عدد العمال العرب بحوالي ٤٠ ٪ تقريباً .

(٤) عدم سماح الحكومات العربية المعنية بتنظيم نقابات للعمال تتولى مفاوضة الشركات والزامها اذا اقتضى الامر برفع الاجور والمنافع التي تقدمهـــا اليهم وقد ادى ذلك الى فقدان المساومة الجمـاعية للعمال العرب فكان ان عاملتهم الشركات المعنية ككمية مهملة .

٤ – **برامج التدريب والتعليم :** تقوم شركات النفط العـــاملة في فنزويلا

---

(١) Aramco, *Report of Operations:1957*, p. 21

(٢) Kuwait Oil Co., *The Story of Kuwait*, p. 40

(٣) David Finnie, Desert *Enterprise*, (Cambridge:Harvard University Press) p. 119

(٤) *Ibid*.,

والدول العربية بتدريب عمالهـــا الا ان نوعية التدريب تختلف ففي فنزويلا تقوم الشركات بتدريب عمالها تدريباً ممتازاً وعلى مستوى مرتفع في مختلف الحقول الفنية والصناعية وجميع الاختصصات بما فيهـا ارسال طلاب الى الجامعات الامريكية للتخصص في علم طبقات الارض والكيمياء والهندسة النفطية والمعمارية والطب وقد بلغ عدد المنح الدراسية التي قدمتها شركة كريول (وهي اكبر الشركات العاملة في فنزويلا) في عام ١٩٥٤، ٢٣٨ منحة تضمنت على ٥٣ منحة للدراسة في جامعات الولايات المتحـدة الامر الذي ادى بمرور الزمن الى تأميم عمال وموظفي النفط في فنزويلا [١] اذا صح لنا ان نطلق لقب التأميم في هذا المعنى . اما في الدول العربية فان معظم برامج التدريب تقتصر على التدريب على الحرف اليدوية وبعض الصناعات البسيطة بينما ترسل هذه الشركات عدداً قليلاً من الطلاب للتخصص في حقول لم تحدد ويقال ان بعض هـذه الاختصاصات لا تمت الى صناعة النفط بصلة وترسل شركات النفط الثلاث العاملة في العراق ٥٠ طالبـاً للدراسة في الجامعات البريطانية [٢] بينما ترسل شركة ارامكو ٢٠ طالباً [٣] وحسب ، ولا نعلم على وجه الدقة عدد الطلبة الذين توفدهم شركات النفط العاملة في الكويت والبحرين وقطر .

وقد الزمت اتفاقية العمل الجماعية شركات النفط العاملة في فنزويلا ببنـاء عدد كاف من المدارس الابتدائيـة لتعليم ابنـاء العمال فضلاً عن اخوتة واولاد اخيه او اخته اذا كان يعيلهم [٤] وقد شيدت هذه الشركات عدداً من المدارس حتى عام ١٩٥٠ تستوعب ١٢،٦٢٢ طالباً [٥] اما في المملكة العربية السعودية فان شركة ارامكو تقوم ببناء مدارس وتسليمها للحكومة ولكنهـــا تستمر في دفع نفقات

---

(١) Fanning, *op. cit.*, p. 103

(٢) البيان الرسمي عن تعديل اتفاقيات النفط المؤرخة في ٥٢/٢/٣ ، مجلة غرفة تجارة بغداد، مجلد ١٥ ، العددين ١ - ٢ ، ص ٤٨ فقرة ١١ .

(٣) Aramco, *Report of Operations:1957*, p. 35 .

(٤) اتفاقية العمل الجماعية ، المصدر المذكور سابقاً ، المادة ٢٩ ، ص. ٣٦ .

(٥) Fanning, *op. cit.*, p. 104.

اداراتها[1] ولا تقوم شركات النفط العاملة في البلاد العربية الاخرى ببناء اية مدارس لابناء العمال ما عدا شركة الكويت التي تبني دوراً للحضانة فقط لابناء عمالها.

ومن الجدير بالاشارة الى ان شركات النفط العاملة في البلاد العربية قد ابتدأت تحسن برامج التدريب لا حباً في العرب او رغبة منها في مساعدتهم ولكن لتقليل الاجور والمرتبات الباهظة التي تدفعها للعمال والموظفين الاجانب الذين تستقدمهم من الخارج والذين لا يوافقون على ترك اعمالهم والعمل في مناطق صحراوية تفتقر الى الكثير من مقومات الحياة الاجتماعية الغربية الا اذا دفعت لهم الشركات مرتبات مغرية جداً ، وتأمل تلك الشركات بأن تستبدل معظم العمال والموظفين الاجانب ما عدا الاداريين منهم والمشرفين على مختلف العمليات الهامة في صناعة النفط .

٥ – **الاسكان** : الزمت اتفاقية العمل الجماعية شركات النفط العاملة في فنزويلا ببناء منازل صحية لعمالها وتقاضي اجرة سنوية اسمية[2] وفي حالة عدم قيامها بذلك يتوجب عليها دفع تعويض اسكان قدره ٤ بوليفارات (١٫١٠ دولاراً) في اليوم[3] وقد بلغ مجموع المنازل التي بنتها الشركات العاملة لعمالها حتى عام ١٩٥٢ حوالي ٣٠٫٠٠٠ مسكناً .

اما في البلاد العربية فأن جميع امتيازات النفط العربية لم توجب بناء منازل للعمال (ما عدا امتياز شركة النفط العربية التي لم تبدأ اعمالها بعد) الا ان بعض الشركات كأرامكو تقوم بتسليف عمالها لبناء مساكنهم دون تقاضي اية فائدة ومتى تم دفع ٨٠٪ من قيمة القرض تتبرع الشركة بالمبلغ الباقي[4] . وتقوم شركة نفط العراق بتقديم القروض لعمالها شريطة تسديدها خلال مدة تتراوح بين ١٠ –

---

(١) Aramco, Report of Operations: 1957, p. 35.

(٢) Fanning, *op. cit.*, p. 78.

(٣) اتفاقيات العمل الجماعية ، المصدر المذكور سابقاً ، المادة ٧ ، ص ١٨ .

(٤) Aramco, *Aramco World*, Nov. 1955, p. 2.

٢٠ سنة [١] . وتقوم شركة نفط الكويت باقراض عمالها المبالغ اللازمة من المال وتتقاضى فائدة سنوية قدرها ٤٪ ومتى تم دفع ٨٠٪ من المبلغ المقترض يصبح البيت ملكاً للعامل [٢] .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام ان كلاً من قانون العمل السعودي والعراقي [٣] يلزم اصحاب المؤسسات الصناعية التي يربو عدد عمالها عن المئة ببناء منازل على نفقتها الخاصة الا ان الحكومات المعنية لم تحرص فيما يبدو على الزام الشركات على تطبيق هذا القانون .

٦ ـ **العناية الطبية** : نصت اتفاقية العمل الجماعية على وجوب تمريض العامل وامرته واجراء كشف طبي سنوي على جميع عمال شركات النفط العاملة في فنزويلا كما نصت على انشاء مستوصفات ومستشفيات كافية وتقديم الاعضاء الاصطناعية وتوليد زوجات العمال [٤] اما في البلاد العربية فان المعونة الطبية تتضمن الفحص الدوري وتمريض العامل وفي بعض الاحيان امرته الا ان نطاق المعونة الطبية هو اضيق مما هو عليه في فنزويلا .

٧ ـ **حل الخلافات العمالية** : في حالة نشوب خلافات عمالية بين العمال والشركات العاملة في فنزويلا فان الخلاف يحال الى رئيس قسم العمل واذا اخفق في حلها فانها تحال لممثل الشركة الذي يتوقع اما ان يبت فيها خلال ثلاثة ايام او ان يحولها للرئيس الاداري للمنطقة الذي يتوجب عليه حلها او تحويلها الى خبير عمالي الذي قد يحيلها لمحكمة العمل الوطنية لاصدار قرار بشأنها [٥] .

وينص القانون السعودي على احالة الخلافات العمالية على حكمين احدهما يمثل الحكومة والآخر الشركة واذا لم يتوصلا الى حل فيقدم الخلاف لوزير المالية

---

(١) Iraq Petroleum Company, *Iraq Oil In 1953*, p. 7.

(٢) Kuwait Oil Co., *The Story of Kuwait*, pp. 43-49.

(٣) قوانين العمل والعمال ، المصدر المذكور سابقاً ، القانون رقم ٢٩ لعام ١٩٤٧ ، ص ٧٧ .

(٤) اتفاقية العمل الجماعية ، المصدر المذكور سابقاً ، المادتين ١٧ و ١٨ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٥) المصدر المذكور اعلاه ، المادة ٦٥ ، ص ٥٣ .

للبت فيه او لاحالته لحكم فرد ويكون الحكم الاخير نهائيـــاً والا اذا ارتأى احالته الى محاكم العمل الخاصة [١] . اما في العراق فان الخلاف يحال بواسطة وزير الشؤون الاجتماعية الى خبير عمالي من الوزارة ذاتهـا او الى مجلس محكمين يتألف نصف اعضائه من ممثلين عن العمال والنصف الآخر من ممثلي الشركات ويرأسه خبير حيادي وتؤخذ القرارات بالتصويت واذا فشل المجلس في مهمته يحيل الوزير الخلاف الى حكم فرد حيادي لا ينتمي الى وزارة الشؤون[٢]. امـا النصوص المماثلة في كل من الكويت وقطر والبحرين فهي غير متوفرة . ويعتقد الكاتب ان التشريعات العمالية الخاصة بحل المنازعات لا قيمة لها اذا لم تمارس الحكومات المعنية سلطة فعالية لالزام الشركات ، اذا اقتضى الامر ، على التقيد بنصوصها وهـذا ، فيما اعتقد ، غير متوفر في البلاد العربية ولذلك تمكنت الشركات من تجاهل مطاليب العمال .

٨ — **نقابات العمال :** تحظر قوانين جميع الدول العربية المنتجة للنفط مـا عدا العراق إنشاء نقـــابات للعمال الامر الذي افقد العمال العرب قوتهم المستمدة من مساومتهم الجماعية وتهديدهم بالاضراب وحتى في العراق فان العهد البائد جمد نشاط النقابات واستعاض عنهـا بهيئات استشارية عمالية[٣] . ويتضمن تاريخ عمال النفط العرب نزاعات حادة مع الشركات وكثيراً ما قمعت الاضرابات بقوة وعنف وقد كان السبب الرئيسي لهذه الاضرابات انخفاض مستوى الاجور والتمييز الفاضح في معاملة العمال العرب والاجانب وقد ذكر المؤلف Finnie ان اضراباً يقوم به العمال العرب في الكويت او المملكة العربية السعودية يكلف الشركات مـــا يربو على مليون دولار يومياً وان تعطيل العمال لمدة اسبوع واحد قد يكلف الشركات مبلغاً من المال يزيد عن المبلغ اللازم لمضاعفة اجور جميع عمال الشركة[٤] .

---

(١) قانون العمل السعودي ، المصدر المذكور سابقاً ، المادة ٣٨ ، ص ١٦ .

(٢) قوانين العمل والعمال ، المصدر المذكور سابقاً ، القانون رقم ٦٣ والمؤرخ ٢٦/٩/١٩٥٤ ، ص ٨٠ - ٨٣ .

(٣) Stephen Hemsley Longrigg, Oil In the Middle East, (London : Oxford University Press, 1954) p. 177.

(٤) Finnie, *op. cit.*, p. 102.

وبما ان النشاط النقابي ممنوع فقد اضطر العمال الى قبول الاجور التي تدفعها الشركة بينما ادت الاضرابات التي قام بها العمال الفنزليين الى زيادة معدل اجورهم خمس مرات خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٦ - ١٩٥٨ وفي كل مرة كانت الاجور تزاد بمعدل ١٠٪ كما ان السماح بانشاء ونقابات للعمال ادى الى عقد اتفاقية العمل الجماعية التي تعتبر احسن اتفاقية من نوعها في العالم. ويُقدر الكاتب انه لو سمح بانشاء نقابات للعمال في الدول العربية ولو نظمت هذه النقابات تنظيماً دقيقاً ولو سمح لها بممارسة نشاطها بحرية لامكن بمرور الزمن ان تصبح من الفعالية بدرجة كافية لالزام شركات النفط بتلبية مطاليب العمال.

القسم الخامس : مقارنة نصوص الامتيازات الاخرى

١ - **التحكيم** : بينما يحصر قانون الهايدروكربون الفنزولي حل الخلافات الناشئة بين الشركات والحكومة بالمحاكم المختصة الفنزولية نجد ان جميع الامتيازات العربية تحصر هذا الحق بمحكمة العدل الدولية حيث تتمتع هذه المحكمة او الحكم الفرد الذي تعينه بصلاحية حل الخلافات ومن المعلوم ان محكمة العدل الدولية تدين بالولاء للدول الكبرى ولا هي، فيما يعتقد الكاتب، تعنى بمصالح الدول العربية المنتجة للنفط. وقد اعترف بعض الكتاب الغربيين بان نزاعاً بين دولة نفطية ضعيفة كإيران ودولة استعمارية كبريطانيا تعتبر مثالاً كلاسيكياً لحالة تعطل فيها احكام القانون الدولي اما لان المحكمة لا تملك القوة اللازمة لارغام الدولة الكبرى على تنفيذ مقرراتها او لان تلك الدولة الكبرى تستخدم المحكمة كوسيلة لغمط حق الدولة الضعيفة[١].

٢ - **مساحة الامتيازات** : بينما يحد التشريع النفطي الفنزولي مساحة امتياز الاستثمار النفطي بـ ٥٠٠ هكتار شريطة الا يزيد مجموع ما تمتلكه الشركة الواحدة عن ١٥٠،٠٠٠ هكتاراً نجد ان الامتيازات تشمل جميع اراضي وشواطىء وجزر بعض الدول العربية كما هي الحال في الكويت وقطر والبحرين والعراق اما في

(١) Alan W. Ford, *The Anglo-Iranian Oil Dispute of 1951-52*, (Los Angeles : University of California Press, 1954) p. VII

السعودية فيشمل الامتياز ٣٦٥٬٠٠٠ ميل مربع او اكثر من ٤٠٪ من مساحة المملكة مقابل ٧٬٠٧ مليون هكتار او ٢٧٠٠ ميل مربع في فنزويلا[١] او ما يعادل ٧٬٨٪ فقط من مساحة فنزويلا الاجمالية وقد ادى كبر مساحة الامتيازات في البلاد العربية الى تخفيض نفقات التنقيب ومكن الشركات من السيطرة على المقدرات النفطية للبلاد العربية حيث يستثمر النفط اما من قبل شركة واحدة او عدة شركات فرعية تسيطر عليها شركة واحدة مما منع امكانية منح امتيازات لشركات اخرى والاستفادة من التنافس بينها كما حصل في فنزويلا حيث ادت المنافسة الشديدة ، كما سبق وذكرت ، الى زيادة رسوم الامتيازات والاستثمار من ٥ و ٨ بوليفارات الى ١٠٠ و ١٥٠ بوليفاراً لكل هكتار . وقد ادى منح امتياز شامل الى شركة واحدة الى ابطاء اجراء عمليات التنقيب عن النفط لانه لا توجد شركة اخرى يمكن ان تقوم بالتنقيب في الاراضي المسلمة للحكومة وقد اثيرت هذه القضية في مجلس النواب العراقي وطالب النائب صالح بحر العلوم بتسليم كافة الاراضي التي لا تنقب فيها الشركة للحكومة العراقية لمنحها الى شركات اخرى[٢].

٣ — **الاعفاء من الرسوم الجمركية** : يشترط قانون الهايدرو كربون ان تحتفظ شركات النفط بسجلات خاصة عن الاجهزة والمعدات التي اعفيت من الرسوم الجمركية والتي استوردتها الشركات لاعمالها وان تبين للحكومة انها لا تزال تحتفظ بها كما يشترط دفع الضريبة الجمركية بكاملها اذا ما بيعت هذه الاجهزة او سرقت او استعملت لاغراض اخرى الامر الذي جعل معظم شركات النفط تستغني عن طلب اعفاء هذه المعدات من الرسوم لان نفقات وضع قيود رسمية بها تربو على

(١) تبلغ مساحة الامتيازات التي منحت حتى عام ١٩٥٦ في فنزويلا ٦٬٢٥ مليون هكتار وتبلغ مساحة الامتيازات التي منحت في عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ حوالى ٨٢٠٬٠٠٠ هكتار فيصبح المجموع ٧٬٠٧ مليون هكتار . المصادر :

P.P.S., "Venezuela In a Competing World" vol. 21, No. 3, March 1954, p. 89.

P.P.S. "More Areas Granted In Venezuela" vol. 24, No. 6, June 1957, p. 226.

(٢) محاضر جلسات مجلس النواب العراقي : الدورة الثانية عشرة لعام ١٩٥١، ص ١١٧ .

الرسوم الجمركية ذاتها[1]. اما في البلاد العربية فان جميع الامتيازات تجيز استيراد المعدات دون دفع اية رسوم جمركية (مـا عدا امتياز شركة باسيفيك وسترن الذي ينص على دفع رسوم التسجيل واعطاء رخصة عمل) وهي تنص على دفع رسم مئوي على اثمان تلك المعدات اذا بيعت ضمن البلاد كمعدات مستعملة . وقد نصت الامتيازات العراقية عـلى منح الشركات العاملة اعفاءات شاملة لمدة عشر سنوات وهي تشمل بالاضافة الى المعدات والاجهزة جميع الادوات اللازمة لبناء المساكن والمكاتب وقد شبه حزب الاستقلال العراقي هـذه الاعفاءات بالاعفاءات الممنوحة لجيوش الاحتلال وليس لشركات النفط[2]. وقد اشار الدكتور العبوسي ايضاً الى غرابة هذه الاعفاءات عندما تفرض الحكومات العربية الضرائب عـــلى الفلاحين الفقراء وسائر افراد الشعب دون استثناء بينما تعفي شركات النفط وهي تعتبر اغنى الشركات العـاملة في الدول العربية[3] من دفع الضرائب والرسوم وهكذا يزيد الفقير فقراً بينما تزداد ارباح الشركات باطراد .

٤ ــ **مدة الامتيازات** : حدد قانون الهايدروكربون الفنزولي مدة امتياز استثمار النفط بـ ٤٠ سنة فقط وذلك كيما تتمكن الحكومة من منح امتيـــازات اخرى بشروط احسن بعد انقضاء هذه المدة ولـكي تمنع استخراج جميع احتياطي النفط المتوفر لديها بواسطة شركة واحدة. اما في البلاد العربية فان مدة الامتيازات تتراوح بين ٦٠ ــ ٩٢ سنة وخلال هذه المدة سيستنفذ معظم ان لم نقل كل احتياطي النفط العربي مما لا يدع مجالاً لعقد اتفاقيـات جديدة تتلاءم مع تطور التشريعات النفطية في العالم وتبين اللائحة التالية مدة الامتيازات العربية والفترة التي يتوقع فيها ان يستنفذ جميع احتياطي النفط العربي على اساس انتاج واحتياطي عام ١٩٥٧.

(١) World Petroleum Legislation: Venezuela, *op. cit.*, p 3.

(٢) تعديل اتفاقيات النفط ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، المجلد ١٥ ، رقم ١ و ٢ ، ص ٦٥ .

(٣) محمد جواد العبوسي ، البترول في الدول العربية ، القاهرة : معهد الدراسات العربية العـالية التابع لجامعة الدول العربية ، ١٩٥٦) ص ١٠٣ .

« لائحـــة ١٢ »

مدة الامتيازات العربية النفطية والفترة التي يتوقع فيها استنفاد الاحتياطي النفطي

اسم الشركة	مدة الامتياز	الفترة التي يتوقع فيها استنفاد الاحتياطي العربي (أ)
الكويت :		
نفط الكويت	٧٥ عاماً مددت في عام ١٩٥٢	
	الى ٩٢ عاماً ابتدأت في ١٩٣٤	١٢٤ سنة
أمينول	٦٠ سنة ابتدأت في عام ١٩٤٨	٢١ سنة
النفط العربية	٤٠ سنة ابتدأت في عام ١٩٥٨	لم تبتدأ اعمالها بعد
المملكة العربية السعودية :		
ارامكو	٦٦ عاماً ابتدأت في عام ١٩٣٣	١٢٩ سنة
باسيفيك وسترن	٦٠ عاماً ابتدأت في عام ١٩٤٩	٢١ عاماً
النفط العربية	٤٠ عاماً ابتدأت في عام ١٩٥٧	لم تبتدأ اعمالها بعد
العراق :		
نفط العراق	٧٥ عاماً ابتدأت في عام ١٩٢٥	١٢١ سنة
نفط البصرة	٧٥ عاماً ابتدأت في عام ١٩٣٨	
نفط الموصل	٧٥ عاماً ابتدأت في عام ١٩٣٢	
قطر :		
نفط قطر	٧٥ عاماً ابتدأت في عام ١٩٣٥	٣٣ عاماً
البحرين :		
بابكو	٥٥ عاماً مددت في عام ١٩٥٢	
	الى ٧٥ سنة ابتدأت في عام ١٩٤٤	٢٠ عاماً

(أ) هذه الارقام تعتمد على ارقام انتاج النفط في الدول العربية في عام ١٩٥٧ وكميات الاحتياطي النفطي المقدرة لنفس العام

المصادر : مدة الامتيازات : جميع امتيازات النفط العربية وقد اغفل ذكرها لضيق المجال .

مدة استنفاد الاحتياطي : حسبها الكاتب بتقسيم الاحتياطي النفطي على الانتاج في عام ١٩٥٧ .

وبالرغم من ان فترات استنفاد الاحتياطي النفطي تزيد على مدة بعض الامتيازات الا انه من المتوقع ان يزداد الانتاج عدة اضعاف وبذلك تقل فترة الاستنفاد المذكورة .

وقد كان من جراء طول فترة الامتيازات العربية ان ضعف موقف الدول العربية من جراء امكانية تعديل هذه الامتيازات مما يؤدي الى مساومات وتسويات ليست في مصلحة الدول العربية . وقد تنبهت الحكومات العربية لهذا الامر فعقدت اتفاقية شركة النفط العربية لمدة ٤٠ عاماً فقط ويعتقد الكاتب ان هذه المده هي جد طويلة ويفضل ان تعقد الاتفاقيات لمدة لا تزيد عن ٢٥ عاماً .

٥ ـ **التفتيش والغرامات** : يمنح قانون الهايدروكربون الحكومة حق تفتيش جميع اعمال الشركة وتدقيق حساباتها كما يعطيها الحق في فرض غرامة على كل مخالفة وتتراوح قيمتها بين ١٠٠ ـ ١٠٠٠٠٠ بوليفار وتحدد الغرامة من قبل وزير المناجم[١] وتنص الامتيازات العربية على نصوص تجيز للحكومات العربية تفتيش اعمالها وتدقيق حساباتها الا انه نظراً لضعف الحكومات العربية ازاء الشركات ونقص الاخصائيين في الشؤون النفطية والاقتصادية فان التفتيش يجري بصورة شكلية بعكس الامر في فنزويلا حيث تمارس الحكومة رقابة شديدة على الشركات وبالاضافة الى ما تقدم فان تلك الامتيازات تنص على تحديد قيمة الغرامات بالاتفاق مع الشركة ولعمري هذا امر عجيب اذ تتصرف الشركة كقاض ومتهم في نفس الوقت . ويذكر الدكتور البراوي ان شركة انجلو ايرانيان رفضت

(١) Hydrocarbons Regulations, *op. cit.*, article 97, p. 88.

السماح بتدقيق اعمالها لانها استخرجت وصدرت في عام ١٩٥٠، ٥٦ مليون طن من النفط بدلاً من الـ ٣٢ مليون طن كما ادعت [١].

٦ - **الانتـــاج** : لا استطيع في هذه المقـــالة الموجزة ان اشرح العوامل والملابسات التي تؤثر على كمية النفط المنتجة في الشرق الاوسط في كل سنة الا انني اكتفى بسرد الاسباب الرئيسية التالية :

(١) تقرر الشركات السبع الرئيسية مستوى معين لانتاج النفط في العالم سنوياً للاحتفاظ بمستوى معين الاسعار .

(٢) تستخرج الشركات كميات النفط من كل منطقة بكميات تقررهـــا عدة عوامل اهمها كلفة الانتاج والبعد عن اسواق الاستهلاك ونوعية النفط .

(٣) يتوقف الانتـــاج في كل منطقة على كمية الانتاج في المناطق الاخرى وخاصة في حالة حدوث ظروف استثنائية فخلال النزاع الايراني الانجليزي حول تأميم النفط الايراني توقف الانتاج في ايران مما ادى الى زيادة حادة في انتاج الدول العربية بمعدل ٤٤،٧٪ في عام ١٩٥١ عن عام ١٩٥٠ ومن ثم ازداد الانتاج ٣١٪ في عـام ١٩٥٢ و ١٦٪ في عام ١٩٥٣ و ١١،٦٪ في عـام ١٩٥٤ وعندما ابتدأت ايران تنتج في عام ١٩٥٥ نصف انتاجها السنوي انخفضت زيادة الانتاج الى ٨،٣٪ ثم الى لا شيء في عام ١٩٥٦ ومن ثم تناقص الانتـــاج في عام ١٩٥٧ حوالي ٢٪ نظراً لاحداث السويس ومن ثم ارتفع الانتاج في العام الماضي ٢٠،٧٪ عن معدل انتاج عام ١٩٥٧ .

وتبين اللائحة التالية تطور انتاج النفط في البلاد العربية وفنزويلا والعالم خلال التسع سنين المنصرمة :

---

(١) راشد البراوي، حرب البترول في الشرق الاوسط ، (القـــاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣) الطبعة الرابعة ص. ٢٨٩ .

لائحة ١٣

انتاج النفط في البلاد العربية وفنزويلا والعالم لفترة ١٩٥٠ – ١٩٥٨ بملايين الاطنان المترية

اسم البلد	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
الشرق الاوسط									
الكويت	١٧٬٣	٢٨٬٢	٣٧٬٧	٤١٬٤	٤٧٬٧	٥٤٬٨	٥٥٬٠	٥٧٬٣	٧٠٬١
المملكة العربية السعودية	٢٦٬٢	٣٧٬٢	٤٠٬٥	٤٣٬٣	٤٦٬٩	٤٧٬٥	٤٨٬٦	٤٩٬٥	٥٠٬٤
ايران	٣٢٬٣	١٦٬٩	١٬٤	١٬٣	٣٬٠	١٦٬٠	٢٦٬٣	٣٥٬٣	٤١٬٠
العراق	٦٬٢	٨٬٢	١٨٬٤	٢٧٬٧	٣٠٬٧	٣٣٬٢	٣١٬١	٢١٬٧	٣٥٬٨
قطر	١٬٦	٢٬٤	٣٬٣	٤٬١	٤٬٨	٥٬٤	٥٬٩	٦٬٦	٨٬١
المنطقة المحايدة	٠	٠٠ ٠	٠٠ ٠	٠٠ ٠	٠٬٩	١٬٤	١٬٧	٣٬٥	٤٬٠
الاقليم المصري ج.ع.م.	٢٬٤	٢٬٤	٢٬٤	٢٬٤	٢٬٠	١٬٨	١٬٦	٢٬٣	٣٬٠
البحرين	١٬٥	١٬٥	١٬٥	١٬٥	١٬٥	١٬٥	١٬٥	١٬٦	٢٬٠
تركيا	٠٬٠٢	٠٬٠٢	٠٬٠٢	٠٬٠٣	٠٬٠٦	٠٬٠٢	٠٬٠٣	٠٬٠٣	٠٬٠٣
مجموع الشرق الاوسط	٨٧٬٥٢	٩٦٬٨٢	١٠٥٬٢٢	١٢١٬٧٣	١٣٧٬٥٦	١٦٢٬٤٢	١٧١٬٨٣	١٧٧٬٩	٢١٤٬٧٦
مجموع الدول العربية	٥٥٬٢	٧٩٬٩	١٠٣٬٨	١٢٠٬٤	١٣٤٬٤	١٤٥٬٦	١٤٥٬٦	١٤٢٬٢	١٧٣٬٦٧
فنزويلا	٧٨٬٢	٨٩٬١	٩٤٬٦	٩٢٬٣	٩٨٬٦	١١٢٬٤	١٢٩٬٠	١٤٥٬٣	١٣٨٬٠
مجموع العالم باستثناء الدول الشيوعية	٤٧٩٬٠	غير متوفر	٥٦١٬٢	٥٩٢٬٣	٦١٤٬٧	٦٨٥٬٤	٧٣٩٬٨	٧٦٩٬٦	٧٧٦٬٠
مجموع انتاج العالم	٥٢٤٬٨	٥٨٧٬١	٦٢١٬٣	٦٥٦٬٠٠	٦٨٥٬٩	٧٧٠٬٠	٨٣٧٬٧	٨٨٢٬٢	٩٠٥٬٢

المصدر : Petroleum Press Service, Volumes 20, 21, 22, 23, 24, 25 and 26.

٧- **التقارير والمعلومات**: يشترط قانون الهايدرو كربون الفنزولي تقديم تقارير سنوية مسهبة تتضمن جميع المعلومات عن عمليات التكرير والتنقيب والانتاج ومجموع الضرائب المدفوعة والواجب اداؤها للحكومة وعدد العمال وجنسياتهم والاجور التي يتقاضونها مع تقارير مفصلة عن احوالهم الصحية وشؤون معيشتهم والمساعدات الطبية والثقافية والترفيهية التي ينالونها الخ.. اما الامتيازات العربية فانها تنص على وجوب تقديم تقارير سنوية لكنها لا تحدد الامور التي يجب تفصيلها ولذلك فان جميع تقارير الشركات العاملة في الدول العربية هي تقارير مصورة هزيلة تنشر فيها المعلومات التي هي في صالح الشركات دون ان تتضمن المعلومات الضرورية التي يجب ان نعلمها عن صناعة النفط وخاصة ما يتعلق بمجموع العائدات المباشرة ومجموع الاجور واسعار النفط وتكاليف الانتاج وباقي المعلومات الضرورية.

٨ - **التكرير** : لا حاجة بي ان اكرر ما استنتجناه سابقاً وهي ان ارباح التكرير تعادل ان لم تربو على ارباح الانتاج التي تتقاسمها الشركات مع الدول العربية ولذلك اتخذت الحكومة الفنزولية جميع الاجراءات لاغراء الشركات لتكرير النفط على اراضيها وذلك بمنحها اعفاءات وامتيازات خاصة ولذلك بلغت نسبة النفط المكرر الفنزولي المصدر الى مجموع صادرات النفط ٥٨٫٥٪ في عام ١٩٥٤ و٥٦٪ في عام ١٩٥٥ و٥٣٫٨٪ في عام ١٩٥٦ بينما تتراوح نسبة النفط العربي المكرر على الاراضي العربية بين ١٠ - ١٥ ٪ ومعظمه يكرر للاستهلاك المحلي . ومن الجدير بالذكر ان مصفاة البحرين تبلغ طاقتها ١٨٦٫٥٠٠ برميل يومياً قد انشأت لتسويق النفط البحراني وان المصفاة التي اقامتها ارامكو والتي تبلغ طاقتها ١٨٩٫٠٠٠ برميل يومياً قد تم انشاؤها بمعونة الحكومة الامريكية في عام ١٩٤٥ لتأمين النفط المكرر للقوات الامريكية في الشرق الاقصى. والغريب في الامر ان بعض الحكومات العربية التي تمر فيها انابيب النفط وناقلاته هي في بعض المناسبات الحرجة في حاجة ماسة الى النفط المكرر كما حدث اثناء ازمة السويس عندما اشتدت ازمة المحروقات في الاردن والاقليمين المصري والسوري وهي تشبه تماماً قول الشاعر الجاهلي :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وقد تنبهت الدول العربية الى اهمية وفوائد تكرير النفط على اراضيها فاشترطت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية على شركة النفط العربية تكرير ما لا يقل عن ٣٠٪ من النفط المنتج على مصافي تقام على اراضيها وفيا يلي لائحة تتضمن الطاقة التكريرية في الدول العربية وفنزويلا والعالم وهي تبين بوضوح ضآلة كميات النفط المكرر في البلاد العربية .

« لائحة ١٤ »

الطاقة التكريرية لبعض البلاد المنتجة والمستهلكة للنفط في عام ١٩٥٧

اسم البلد	عدد المصافي	الطاقة التكريرية بالبراميل لكل يوم تقويمي
الدول العربية		
البحرين	١	١٨٦،٥٠٠
العراق	٤	٤٥،٦٣٠
الكويت	١	١٩٠،٠٠٠
قطر	١	٦٠٠
المنطقة المحايدة	١	٥٠،٠٠٠
المملكة السعودية	١	١٨٩،٠٠٠
مجموع الدول العربية	٩	٦٦١،٧٣٠
فنزويلا	١٥	٧٩١،٣٧٠
بعض الدول المنتجة للنفط		
الولايات المتحدة	٢٩٨	٩،١٨٦،٠٠٠
الاتحاد السوفياتي	٧٠	١،٩٥٠،٠٠٠
كندا	٤٣	٧٩٢،١٢٠
اندونيسيا	٥	١٤٢،٠٠٠
ايران	٣	٤١٥،٠٠٠
بعض الدول الاوروبية المستهلكة للنفط		
بريطانيا	١٦	٧٧٨،٤٠٠
فرنسا	١٥	٦٧٤،٨٧٠
المانيا	٢٧	٣٤٨،٩١٠
ايطاليا	٣٥	٦٨٤،٨٦٥
هولندا	٢	٣٤٦،٠٠٠
رومانيا	١٥	٢٣٠،٠٠٠
مجموع طاقة العالم التكريرية	٧٣٠	٢٠،٨٢١،١٢٥

المصدر : World Petroleum, Twenty-Eighth Annual Review, Vol 29, No. 8, p. 132, July 15, 1958.

القسم السادس : الخلاصة

يحتاج العالم حاجة ماسة الى النفط العربي وخاصة في المستقبل القريب لانه يمتلك ٥٦٪ من احتياطي النفط في العالم كله وقد بلغ مجموع انتاج العالم العربي في عـام ١٩٥٨ ما يقرب من ١٧٣،٥ مليون طن او ما يربو قليلاً على ١٩٪ من انتاج العالم كله[١] واذا ما استثنينـا انتاج الدول الشيوعية ترتفع تلك النسبة الى حوالي ٢٣٪ من انتاج العالم ولذلك يعتبر الغرب النفط العربي ضرورة حتمية وحيوية له سواء في فترة السلم او الحرب . وخـاصة بعد العشر سنوات القادمة لانه اذا اعتمدنا ارقام انتـاج واحتياطي النفط في كل من الولايات المتحدة وفنزويلا في عـــام ١٩٥٧ لوجدنا ان جميع احتياطي النفط سيستنفذ خلال ١٥،٧ و ١٢،٣ سنة بالتعاقب ما لم تكتشف مصادر اضافية للنفط وبذلك يقفز الشرق الاوسط وخـــاصة الدول العربية لتصبح المصدر الرئيسي للنفط في العالم . اما الاتحاد السوفياتي وباقي الدول الشيوعية فانها تستهلك اكثر من ٨٠٪ من انتاجها .

ومن المعلوم ان امتيازات النفط العربية قد عقدت عندما كانت الدول العربية تحت نير الاستعمار الغربي وقد عقد بعضها بالاكراه والضغط ولذلك تضمنت هذه الامتيازات منافع وفوائد كثيرة للشركات المستثمرة لقاء التزامـات بخسة ولذلك اصبحت الامتيازات **العربية اغرب امتيازات** نفطية في العالم ففيهـا نجد الكثير من المتناقضات فاتفاقية الكويت هي سر خطير ولذلك لم ينشر نصها الرسمي ابداً وكذلك امتيازات البحرين وقطر واتفاقيات العراق تنص على اعفاءات شاملة من الضرائب لا مثيل لها في اي امتيـاز بل وهي تحدد سعر شراء النفط لمدة ٢٠ سنة ببضع شلنات وكأن الاسعار يمكن تثبيتها لمدة من الزمن والامتياز السعودي لا يتضمن اعطاء الحكومة حصة عينية مجـانية من النفط خلاف جميع اتفاقيات النفط في العالم . وتشمل الامتيازات العربية جميع مساحة البلدان العربية بما فيهـا المياه الاقليمية والجزر وهي تعطي محكمة دولية حق فض الخلافات بينها وبين الشركات

---

(١) *P.P.S.*, World Production Recovers, vol. 26, No. 1, p. 4, January 1959.

وكأن هذه الشركات لها صفة الدول لان محكمة العدل المذكورة تختص بفض النزاعات بين الدول وحسب . وقد عقدت هذه الامتيازات لمدد جد طويلة تتراوح بين ٧٥ و ٩٢ سنة وهي تتضمن الكثير من النصوص المطاطة والغامضة والغير دقيقة .

ولا يتوقع الكاتب ان تستمر الحكومات العربية المعنية بالسماح للشركات بالاستمرار في استخراج النفط بنفس الشروط السابقة وخاصة فيما يتعلق بالعائدات القليلة التي تنالها وبأجور وفوائد العمال المخفضة نسبياً وقد شعرت الدول العربية فضلاً عن الرأي العام العربي بالغبن الذي يلحقها من جراء نصوص الامتيازات التي عقدت كما يقر بعض الكتاب البريطانيين بوسائل غير شريفة ولا مشروعة(١) . . ولذلك اصبح تعديل الامتيازات ضرورة لاستباق الاحداث التي قد تؤدي في حالة تعنت الشركات الى تأميم النفط العربي وليس من المعتقد ان تتكرر التجربة الايرانية لاختلاف الظروف ولان الوضع العالمي الآن وخاصة في الشرق الاوسط هو وضع دقيق وحرج . ويعتقد الكاتب ان اي تعديل من هذا النوع يجب ان يكون شاملاً وان يتضمن النقاط الرئيسية التالية : —

١ — الغاء نظام دفع الايجار السنوي على كافة مساحة الامتياز والاستعاضة عنه برسم معين على كل كيلو متر من مساحة الامتياز .

٢ - رفع الحصة العينية من النفط التي تستلمها البلاد العربية الى ٢٠٪ .

٣ - زيادة ضريبة الدخل الى ٦٠٪ من ارباح الانتاج فضلاً عن ارباح التكرير والتسويق والنقل .

٤ — استشارة الدول العربية المعنية في تقرير مستوى الانتاج السنوي واسعار النفط .

---

(١) للاطلاع على التفاصيل راجع كتاب :

L. P. Elwell-Sutton, "Persian Oil : A study in Power Politics; (London: Lawrence and Wishart Ltd. 1955) p.p 320 - 340.

٥ – تحديد اجور ومرتبات العمال والموظفين بالاتفاق مع الحكومات المعنية وممثلي العمال ورفع مستوى الاجور بصورة عـــامة وتقرير زيادات سنوية معينة وزيادة نسب تعويضات الصرف والوفاة وزيادة المعونة الصحية والثقافية والترفيهية التي تقدمها للعمال وان تبني مساكن لهم .

٦ – تحديد نسبـة العمال العرب بـ ٧٥٪ في الوقت الحاضر الى ان يمكن زيادة هذه النسبة باطراد بعد تحسين برامج التدريب الصناعي والثقـافي والزام الشركات بان توفد طلاباً الى الجامعات الاجنبية وتعيين فروعهم كالكيمياء والهندسة النفطية وعلم طبقات الارض والاقتصاد والادارة العامة .

٧ – حصر قضايا التحكيم بمحاكم وطنية بدلاً من من محكمة العدل الدولية ضماناً لسيادة الحكومة .

٨ – وضع حد اقصى لمساحة الامتياز ويستحسن ان لا تزيد مساحة الامتياز الواحد عن ١٠٠ كيلومتر مربع وان لا تزيد مدة الامتياز عن ٢٥ عاماً .

٩ – السماح للحكومات العربية المعنيـــة بتفتيش اعمال الشركة وتدقيق حساباتها والاطلاع على جميع المعلومات التي يريدها .

١٠ – زيادة عـــدد المدراء الذين تنتدبهم الحكومة المعنية الى مجالس ادارة الشركات الى ثلث او نصف اعضاء المجالس المذكورة .

١١ – ان ينص الاتفـاق المعدل على اعطاء الحكومات المعنية حق الغـــاء الامتياز اذا ما تداخلت الدول الاجنبية وخاصة التي تنتمي اليها الشركات بصورة مباشرة او غير مباشرة في شؤون النفط سواء أكان التدخل سياسيـاً او اقتصادياً او عسكرياً .

١٢ – تسليم الأراضي التي لا تستثمرهـا الشركات الآن للحكومة لتقوم بمنح امتيازات الى شركات اخرى .

١٣ – اصدار تقـــارير سنوية شاملة تتضمن جميع المعلومات عن الشركة

وخاصة موازنتها وحساباتها وارباحها الحقيقية وعدد عمالها .

١٤ – اشتراط تكرير ٢٥٪ من النفط في مصافي تقام على الاراضي العربية على ان تزاد هذه النسبة تدريجياً الى ٥٠٪ .

١٥ – تعديل الاتفاقيات العربية كلما حصلت اية دولة نفطية في العالم على شروط او عائدات احسن من الشروط والعائدات المماثلة في الدول العربية .

الملحق رقم (٥)

لوائح الكتب والمقالات

١ - الكتب المنشورة نشراً علمياً

ابن تغري بردي — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٣٤.

ابن خلدون — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً. محمد بن تاويت الطنجي . القاهرة ١٩٥١

ابن الشحنة — الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب. يوسف اليان سركيس. بيروت ١٩٠٩ .

ابن الفرات — تاريخ ابن الفرات . حققه الدكتور قسطنطين زريق (بالاشتراك مع الدكتورة نجلا عز الدين في القسم الثاني من الجزء التاسع) الاجزاء ٩، ٨، ٧ . بيروت ١٩٣٦ — ١٩٤٢ .

ابن يحيى ، صالح — تاريخ بيروت . لويس شيخو . بيروت ١٩٢٦ (طبع ثانية ١٩٢٧)

ابو شامه — ذيل الروضتين (نشر بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع) . محمد بن زاهد الحسن الكوثري، عزت العطار الحسيني . القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٦ .

المقريزي — اغاثة الامة في كشف الغمة . تحقيق الدكتور محمد

مصطفى زياده وجمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٠
السلوك في تاريخ دول الملوك . حققه الدكتور محمد مصطفى زياده . الجزءان الاول والثاني ، القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٥٨.

٢ – الكتب الموضوعة بالعربية

ابو زهرة ، محمد – ابن تيمية – حياته وعصره – اراؤه وفقهه. القاهرة (الطبعة الثانية) ١٩٥٨ .

الايوبي ، الياس – تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربي الى الفتح العثماني الجزء الثاني. القاهرة، ١٩٣٢

حسن ، علي ابراهيم – دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجة خاص . القاهرة ١٩٤٤ (الطبعة الثانية ١٩٤٨)

سرور، محمد جمال الدين – الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره. القاهرة ١٩٣٨.

سليم، محمد رزق – عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، جزءان. القاهرة – الجزء الاول (قسمان) ١٩٤٧ الجزء الثاني ؟

الطباخ، محمد راغب – اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء (٧ اجزاء) . حلب ١٩٢٣ وما بعدها . القسم الخاص بعصر المماليك من ج ٢ ص ٢٧٥ الى ج ٣ ص ١٥٨

عبدالكريم، احمد ع. – ادارة سوريا في عصر المماليك . القاهرة ١٩٥١

عنان ، محمد عبد الله – ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري . القاهرة ١٩٣٣ .

كرد علي ، محمد – خطط الشام (ستة اجزاء) . دمشق ١٩٢٥ وما بعدها . القسم الخاص بعصر المماليك الجزء الثاني ص ١٣٥–٢١٣ .

الحصري ، ساطع – دراسات عن مقدمة ابن خلدون . طبعة موسعة ، القاهرة، ١٩٥٣ .

فروخ ، عمر — دراسات قصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة . -٧- كلمة في : ابن خلدون ومقدمته بيروت ١٩٤٣ .

الحوفي ، احمد محمد — مع ابن خلدون . القاهرة ، ١٩٥٢ .

نشأة ، محمد علي — رائد الاقتصاد ابن خلدون . القاهرة ١٩٤٤ .

وافي ، علي عبد الواحد — (٣) ابن خلدون منشيء علم الاجتماع . القاهرة (؟)

٣ — الكتب الموضوعة بلغات اجنبية

Atiyah, A. S. – The Crusade in the Later Middle Ages London, 1938.

Anesi (El) Aly Nureddine – Il pensiera economica di Ibn Khaldoun, (in Rivista della colonie italiane - 1932).

Ayad, Kamil – Die Geschichte und guesellschafts lehre Ibn Halddunns. – Stuttgart 1930.

Ezzat, Abd El Aziz – Ibn-Khaldoun et sa science sociale – Le Caire, 1947.

Hussain, Taha – Etude analitique et critique de la philosophie sociale d'Ibn Khaldoun (Paris, 1917).
(وقد ترجمه محمد عبدالله عنان ونشره باسم فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، القاهرة ١٩٢٥)

Isawi, Charles – An Arab Philosophy of History - Selection from the Prolegomena of Ibn Khaldoun of Tunis - London.

Mahdi, Muhsin – Ibn Khaldun's Philosophy of History. London, 1957.

Mahmassani, Sobhi – Les idées économiques d'Ibn Khaldoun – Lyon 1932.

Ziadeh, Nicola A. – Urban Life in Syria under the Early Mamluk, Beirut. 1953.

٤ — المقالات (أ) بالعربية

ابو حديد، محمد فريد — « لمحات من شمس الامس الغاربة » . السلطان الغوري ومفاوضاته الدولية بمناسبة اشراق دولة الفاروق. الرسالة القسم الثاني السنة الخامسة العدد ٢١٣، آب ١٩٣٧ ص: ١٢٥٠-١٢٥٤ .

ابو حديد، محمد فريد – «مصر تحمي الاسلام والمدنية في عين جالوت» . الرسالة القسم الاول السنة الرابعة العدد ١٣٩ ، اذار ١٩٣٦ ص : ٣٢٥ – ٣٢٨

جلال ، ابراهيم – «مصر المستقلة قبل الفتح العثماني» . الهلال م ٣٨ نيسان ١٩٣٠ ، ص: ٦٦٥ – ٦٦٨ .

حسن ، علي ابراهيم – « آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية » . جامعة فؤاد الاول (الجامعة المصرية) مجلة كلية الآداب المجلد السابع سنة ١٩٤٤ ، ص : ٦٩ – ٨٧ .

حسين ، محمد كامل – « بين التشيع وادب الصوفية في عهد الايوبيين والمماليك » جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الاول) مجلة كلية الآداب المجلد ١٦ الجزء ٢ سنة ١٩٥٤ ، ص : ٤٥ – ٧٢ .

حسين، محمد كامل – « التشيع في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك » . جامعة فؤاد الاول (الجامعة المصرية) مجلة كلية الآداب المجلد ١٥ الجزء ١ سنة ١٩٥٣ ، ص : ٥٧ – ٨٧ .

الدجاني ، ظافر – «دولة المماليك في حكم التاريخ» . الرسالة القسم الثاني السنة الثالثة العدد ١٠٥ تموز ١٩٣٥ ، ص ١٠٩٤ – ١٠٩٦ .

زيادة ، محمد مصطفى – « بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك » . الجامعة المصرية مجلة كلية الآداب المجلد ٤ الجزء ١ ، سنة ١٩٣٦ ص: ٧١ – ٨٨ .

صليبي، كمال سليمان – «النظام القضائي في مصر والشام في عصر المماليك» . (١٢٥٠ – ١٥١٧) . الابحاث ، ١٩٥٨ .

طلس، محمد اسعد – « دمشق في اواخر عهد المماليك » . المشرق سنة ١٩٥٤ ج ٢ مجلد ٤ ص : ٤٢ – ٥٢ .

العبادي، احمد مختار – « دولة سلاطين المماليك في الهند – اوجه الشبه بينها وبين المماليك في مصر » . جامعة الاسكندرية مجلة كلية الآداب مجلد ٩ سنة ١٩٥٥ ، ص : ٦٥ – ٧٤ .

عزام ، عبد الوهاب – «موقعة جالوت» . الرسالة القسم الاول السنة الثامنة العدد ٣٤٨ اذار ١٩٤٠ ، ص: ٣٦٩ – ٣٧١ .

عزام ، عبد الوهاب – «السلطان الغوري – مكانته في الادب والعلم واثره فيهما» . الرسالة المجلد السادس القسم الثـــاني العدد ٢٧٣ ، ايلول ١٩٣٨ ص: ١٥٧٤ – ١٥٧٧ .

غسان ، محمد عبداله – «مصرع شجرة الدر» . الرسالة القسم الثاني السنة الخامسة العدد ٢٣٣ كانون اول ١٩٣٧ ص: ٢٠٤٨ – ٢٠٥٠ .

كرد علي ، محمد – « عهد الجراكسة والمماليك » . محاضرة القيت في المجمع العلمي بدمشق في ٧ اذار ١٩٢٤ ، ذكرت في مجلة المجمع العلمي م IV ص : ١٩٤. لم تنشر في المجلة ولا في محاضرات المجمع العلمي .

كرد علي ، محمد – « عهد المماليك الشراكسة الى ظهور العثمانيين» . محاضرات القيت في المجمع العلمي بدمشق في ٤ نيسان ١٩٢٤ ذكرت في مجلة المجمع العلمي م IV ص : ٢٩٠ . لم تنشر في المجلة ولا في محاضرات المجمع العلمي .

مخلص ، عبد الله – «عين جالوت» . الرسالة القسم الاول السنة الرابعة العدد ١٥١ ، ايار ١٩٣٦ . ص: ٧٥٥ – ٨٥٧ .

٤ – **المقالات** (ب) بلغة اجنبية

Atiyah, A, S. – A 14th Century Fatwa on the Status of Christians in the Mamluk Empire – in Studien zur Geschichte der Kultur des N. u. F. Ostens, presented to Paul Kahle, pp. 55 – 68.

Khemiri, Tahir – «Der Asabiya Begriff in der Kukaddima des Ibn Khaldūn,» *Der Islam* XXI (1936), pp. 163-188.

Salibi, Kamal S. – «The Banū Jamā'a, a dynasty of Shāfi'ite Jurists», in *STUDIA ISLAMICA*, 1958.

«Listes chronologiques des grands cadis de l'Egypte sous les Mamlouks», in REI, 1957.

Ziada, M. M. – "The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century" Part I.

University of Egypt Bulletin of the Faculty of Arts. Vol. 1, Part 1, (1933), pp 90-104.

Ziada, M. M. – "The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century" Part II.

University of Egypt Bulletin of the Faculty of Arts. Vol. 2, Part 1, (1934), pp. 37-57.

Ziada, M. M. – "The Fall of the Mamluks 1516-1517". Fouad 1 University (University of Egypt). Bulletin of the Faculty of Arts, Vol. 6, (1942), pp. 1-36.

ملحق رقم (٦)

١ - مؤلفات حديثة تتعلق بتاريخ الاندلس

الملحق الأول

١ - ارسلان، الامير شكيب - **خلاصة تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة** . طبعة اولى ١٨٩٧ . طبعة ثانية ١٩٢٥ .

٢ - ارسلان، الامير شكيب - **الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية.** جزءان . طبعة مصر ١٣٥٥ هـ - (١٩٣٦ م) .

٣ - البستاني ، بطرس - **معارك العرب في الاندلس** . دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٠ .

٤ - حتي ، فيليب - **تاريخ العرب** (المطول) . بيروت ١٩٥٠ - ١٩٥٢ .

٥ - حمودة ، علي محمد - **تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي.** دار الكتاب المصري ، القاهرة ١٩٥٧ .

٦ - الخطيب ، فؤاد - **فتح الاندلس** . طبعة ثانية ، دمشق ١٩٣١ .

٧ - دياب ، محمود - **تاريخ العرب في اسبانيا** . مصر ١٣٣١ هـ - (١٩١٣ م) .

٨ - الطود ، عبد السلام احمد - **بنو عبّاد في اشبيلية** . معهد مولاي الحسن ، تطوان ١٩٤٦ .

٩ – العبادي ، عبد الحميد – **صور وبحوث من التاريخ الاسلامي** . القاهرة ١٩٥٣ .

١٠ – عنان ، عبد الله – **دولة الاسلام في الاندلس** .
١ – العصر الاول. القاهرة، طبعة اولى ١٩٤٣. طبعة ثانية ١٩٥٥
٢ – عهد الفتنة الكبرى. القاهرة، طبعة ١٩٥٢.
٣ – الدولة العامرية . القاهرة ، طبعة ١٩٥٨ .
٤ – نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين . القاهرة، طبعة اولى١٩٤٩ طبعة ثانية١٩٥٨.
٥ – تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة) . القاهرة ، طبعة ثانية ١٩٥٨ .

١١ – عبد البديع، لطفي – **الاسلام في اسبانيا** . القاهرة – مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

١٢ – فروخ ، عمر – **العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط** . بيروت ١٩٥٩ .

١٣ – فروخ ، مصطفى – **رحلة الى بلاد المجد المفقود** . بيروت ١٩٣٣ .

١٤ – القلماوي ، سهير – **ثم غربت الشمس**. مصر ، دار المعارف ١٩٤٩.

١٥ – كرد علي ، محمد – **غابر الاندلس وحاضرها** . المكتبة الاهلية ، مصر ١٩٢٣ .

١٦ – مراد ، حسن – **تاريخ العرب في الاندلس** . القاهرة ١٩٣١ .

١٧ – النصولي، انيس زكريا – **الدولة الاموية في قرطبة** . المطبعة العصرية . بغداد ١٤٤٤ هـ – (١٩٢١ م)

٢ – مؤلفات حديثة عامة

١ – بلا فريج ، احمد – **الادب الاندلسي** . تطوان ١٩٤١ .

٢ – البر قوقي ، عبد الرحمن – **حضارة العرب في الاندلس** . مصر ١٩٢٣ .

٣ – البستاني ، بطرس – **ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث.** الجزء الثالث . بيروت ١٩٤٦ .

٤ – جمعة ، محمد لطفي – **تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب.** القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩٢٧ .

٥ – حسن ، زكي محمد – **فنون الاسلام.** القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. ١٩٤٨ .

٦ – الركابي ، جودة . – **في الادب الاندلسي** . مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٥ .

٧ – ضيف ، احمد – **بلاغة العرب في الاندلس** . مصر ١٩٢٤

٨ – الكيلاني ، كامل – **نظرات في تاريخ الادب الاندلسي** . مصر ١٣٤٢ هـ – (١٩٢٤م) .

– ٢ –

نصوص قديمة تبحث في مواضيع اندلسية مختلفة

١ – ابن الأبّار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله – **التكملة لكتاب الصلة**. نشر الفرد بل وابن ابي شنب . المطبعة الشرقية، الجزائر ١٩١٩ .

٢ – ابن الأثير ، علي بن محمد ، عز الدين – **الكامل في التاريخ** بولاق ، ١٢٩٠ هـ – (١٨٧٣ م) .
المطبعة الازهرية ، القاهرة

١٣٠٢ هـ - (١٨٨٤ م) .
حلبي ومصطفى، القاهرة ١٢٣٠ هـ (١٩١٢ م).

٣ - ابن بسّام، ابو الحسن علي - **كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة** . كلية الاداب ، القاهرة جزء اول ١٩٣٩ جزء ثاني ١٩٤٢ ، جزء رابع ١٩٤٥ .

٤ - ابن بشكوال - **الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم** . مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٥ .

٥ - ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد - **جمهرة انساب العرب** . تحقيق ليفي - بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ .

٦ - ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد - **نقط العروس** . مجلة كلية الآداب ، القاهرة ١٩٥١ .

٧ - ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله - **قلائد العقيان** . طبعة القاهرة ١٢٨٤ هـ .

٨ - ابن خلدون، عبد الرحمن - **كتاب العبر** . بولاق ١٢٨٤ هـ .

٩ - ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله - **كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة** . طبعة اولى ، القاهرة ١٩٠٤ . طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٠ - ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله - **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** . مصر ١٣٤٧ هـ .

١١ - ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله - **مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس** . مجموعة رسائل نشرها وحققها مختار العبّادي . مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ .

١٢ - ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى - **المغرب في حلى المغرب** . تحقيق شوقي ضيف . دار المعارف، القاهرة (١٩٥٣- ١٩٥٥) .

١٣ - ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى - **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة** . تحقيق ابراهيم الابياري . دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤ .

١٤ - ابن غالب - **فرحة الانفس** . مجلة معهد المخطوطات ، القاهرة المجلد ٢٧٢/١ .

١٥ - ابن فرحون ، برهان الدين ابراهيم بن علي - **الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب** . مطبعة المعاهد ، القاهرة ١٣٥١ هـ .

١٦ - ابن الفرضي - **تاراخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس** . طبعة القاهرة ١٩٥٤ .

١٧ - ابن القوطية - **تاريخ افتتاح الاندلس** . طبعة مصر .

١٨ - ابن مضاء القرطبي ، ابو العباس احمد بن عبد الرحمن - **الرد على النحاة**. نشر وتحقيق شوقي ضيف . دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ .

١٩ - الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن فتوح - **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس** - تحقيق محمد بن تاويت . مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٢ .

٢٠ - الخشني، ابو عبد الله محمد بن الحارث - **قضاة قرطبة وعلماء افريقية** . نشر عزت العطار الحسيني . مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٢١ – الزبيدي ، ابو بكر محمد بن الحسن - **طبقات النحويين واللغويين**. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ، سامي الخانجي ١٩٥٤ .

٢٢ – المراكشي، عبد الواحد – **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**. قدم له العريان والعلمي . القاهرة ١٩٤٩ .

٢٣ – المقري ، احمد ابن محمد - **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** . ١٠ اجزاء طبعة القاهرة ١٩٤٩ .

-٣-

بحوث ومقالات تتعلق بالدراسات الاندلسية

١ – الاهواني ، احمد فؤاد – **الفلسفة في الاندلس** ، الدور الاول ، دور النشأة . مجلة كلية الآداب . مجلد١٥/عدد ١ ص ٨٩ – ١٩٢ . القاهرة ، مايو ١٩٥٣ .

٢ – الاهواني ، عبد العزيز – **سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة في القرن التاسع الهجري** . مجلة كلية الآداب مجلد ١٦/عدد ١ . ص ٩٥ – ١٢١ . القاهرة ، مايو ١٩٥٤ .

٣ – الاهواني ، عبد العزيز – **كتب برامج العلماء في الاندلس** . مجلة معهد المخطوطات مجلد ١/عدد ١-٢ . ص : ٩١–١٢٠ و ٢٥٢ – ٢٧١ . القاهرة ، مايو ونوفمبر ١٩٥٥ .

٤ – جبور ، جبرائيل – **في الادب الاندلسي** . مجلة الابحاث ، الجامعة الاميركية . مجلد ٢/عدد ٢ . بيروت ١٩٤٩ .

٥ – العبّادي ، مختار ، – **الصقالبة في اسبانيا** . لمحة عن اصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية . صحيفة المعهد المصري . مجلد ١ ، مدريد ١٩٥٣ .

٦ – العبّادي ، مختار – **« مقالة العيد »** . لابي محمد عبد الله الأزدي . صحيفة المعهد المصري . مجلد ٢ ، مدريد ١٩٥٤ .

٧ – العبّادي ، مختار – **لسان الدين ابن الخطيب ونزعته الاقتصادية** . مجلة « لسان الدين » ، تطوان ، سبتمبر – اكتوبر ١٩٥٤ .

٨ – عنان ، محمد عبد الله – **وثيقة اندلسية قشتالية** . وهي معاهدة بين سلطان غرناطة وملك قشتالة ، تاريخها سنة ٨٣٥هـ (١٤٣٢ م) . صحيفة المعهد المصري ، مجلد ٢/ عدد ١ – ٢ . ص ٣٨ – ٤٥ . مدريد .

٩ – عبد البديع ، لطفي – **نص اندلسي جديد** . قطعة من كتاب **فرحة الانفس** لابن غالب عن كُوَر الاندلس ومدنها بعد الاربعمائه . مجلة معهد المخطوطات . مجلد ١/ عدد ٢ . ص ٢٧٢ – ٣١٠ . القاهرة ، نوفمبر ١٩٥٥ .

١٠ – مكي ، محمود علي – **« التشيّع في الاندلس »** . منذ الفتح حتى نهاية الدولة الاموية . مجلة المعهد المصري . مجلد ٢ ، مدريد ١٩٥٤ .

١١ – مؤنس ، حسين – **ثورات البربر في افريقية والاندلس** . مجلة كلية الآداب . مجلد ١٠/ عدد ١ . ص ١٤٣ – ٢٠٦ . القاهرة ، مايو ١٩٤٨ .

١٢ – مؤنس ، حسين – **غارات النورمانيين على الاندلس** ، بين سنتي

٢٢٩ و ٢٤٥ هـ (٨٤٤ - ٨٥٩ م) وسفارة يحيي الغزال الى ملك النورمن في سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م . المجلة التاريخية المصرية. مجلد ٢/عدد ١ . ص ١٩ - ٧٦ . القاهرة ، مايو ١٩٤٩ .

١٣ - مؤنس ، حسين — **بلاي وميلاد أشتريش وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا**. مجلة كلية الآداب. مجلد ١١/عدد ١ . ص ٥٧ - ٨٣ . القاهرة ، مايو ١٩٤٩ .

١٤ - مؤنس ، حسن — **« الثغر الاعلى »** الاندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م . مع اربع وثائق جديد . مجلة كلية الآداب . مجلد ١١/عدد ٢ . ص ٩١ - ١٤٣ القاهرة ، ديسمبر ١٩٤٩ .

١٥ - مؤنس ، حسين — **عقد بيعة بولاية العهد** لابي عبدالله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحدي . ٢٣ ربيع الاول ٥٩٥ - ١٠ شعبان ٦١٠ هـ. (٢٢ يناير ١١٩٩- ٢٤ ديسمبر ١٢١٣) . مجلة كلية الآداب ، مجلد ١٢/عدد ٢ . ص ١٤٧ - ١٧٣ . القاهرة ، ديسمبر ١٩٥٠ .

١٦ - مؤنس ، حسين — **السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين** . المجلة التاريخية المصرية . مجلد ٣/ عدد ١ . ص ٣٧ - ٨٧ . القاهرة ، مايو ١٩٥٠ .

١٧ - مؤنس ، حسين — **سبع وثائق جديد عن دولة المرابطين** . صحيفة المعهد المصري ، مجلد ٢/ عدد ١ - ٢ ، مدريد

١٩٥٤

١٨ – مؤنس، حسين – *De Nuevo Sobre las fuentes arabes de la Historia del Cid.* صحيفة المعهد المصري . مجلد ٢/عدد ١ – ٢ ، مدريد ، ١٩٥٤ .

الحوادث

من ١٥ أيار الى ١٥ آب سنة ١٩٥٩

١٦ - ٥ - ٥٩ - اشتدت حملة الشيوعيين في بغداد للاشتراك بالحكم فيما تشير الدلائل الى ان اللواء عبد الكريم قاسم لا يشاطرهم الرأي في ذلك .

- اعلنت نظارة الخارجية الاميركية ان حالة المستر جون فوستر دالاس تزداد سوءاً نتيجة مرض السرطان الذي نزل به .

- اعلن السيد خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي انه يرفض المشروع الغربي المقدم في جنيف لتسوية القضية الالمانية .

١٨ - ٥ - ٥٩ - في الجلسة الخامسة التي عقدها وزراء خارجية الدول الكبرى في جنيف اعلن وزير خارجية الولايات المتحدة رفض الدول الغربية اقتراح الاتحاد السوفياتي القاضي بعقد معاهدة صلح مع كل من المانيا الشرقية والمانيا الغربية، كما اعلن وزير خارجية الاتحاد السوفياتي رفض بلاده لمشروع الدول الغربية .

١٩ - ٥ - ٥٩ - علم ان الدكتور شارل مالك قد زار الجناح الاسرائيلي في معرض التجارة العالمي بنيويورك وقد احدثت هذه الزيارة ضجة في الوسط الصحفي والسياسي في لبنان واعلنت الحكومة اللبنانية امام المجلس النيابي عزمها على التحقيق في الامر .

٢٠ - ٥ - ٥٩ - اعلن الحزب الوطني الديمقراطي في العراق وقف نشاطه الحزبي خلال فترة الانتقال التي تمر بها البلاد ، وذلك تجاوباً مع رأي اللواء عبد الكريم قاسم الذي سبق ان اعلن انه لا يرى فائدة للبلاد من الحياة الحزبية في الوقت الحاضر .

- عقدت اللجنة الثلاثية المنبثقة عن اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية اول اجتماع لها وباشرت بدرس مقررات مؤتمر بيروت . وقد حضر الاجتماع سفراء المغرب

ولبنان وليبيا في القاهرة .

- عقد مؤتمر وزراء الخارجية في جنيف اجتماعاً اخر دون نتيجة ايجابية .

٢١-٥-٥٩ - دعـا السيد خروشوف في تصريح صحفي له الجمهورية العربية المتحدة والعراق للوفاق ولتركيز الجهود في النضال ضد الاستعمار .

- اوقفت سلطات الجمهورية العربية المتحدة في الاقليم المصري باخرة دانمركية ومنعتها من اجتياز قناة السويس لانها تقل شحنة من البضائع الاسرائيلية . والباخرة في طريقها الى هونغ كونغ والفيليبين . والاعتقاد السائد ان اسرائيل ارسلتها لتختبر سياسة الجمهورية العربية تجاه مرور البضائع الاسرائيلية عبر القناة .

- شن السيد غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في مؤتمر جنيف حملة عنيفة على تسلح المانيا الغربية .

٢٢-٥-٥٩ - قابلت الصحف الشيوعية في بغداد قرار الحزب الوطني الديمقراطي بالامتناع عن النشاط الحزبي، قابلته بالانتقاد الشديد . وقد اعلن عدد من اعضاء الحزب الوطني الديمقراطي المتطرفين استنكارهم للقرار .

٢٣-٥-٥٩ - اكد اللواء قاسم في مؤتمر صحفي عقده في بغداد حياد بلاده ورغبتها في التعاون مع الجميع ، كما اشاد بصداقة بلاده مع الدول الشيوعية ونوه بعمله على انماء هذه الصداقة وكرر عدم تحبيذه للنشاط الحزبي في الفترة الانتقالية التي تمر بها البلاد.

- اعلن الشيوعيون في العراق على صفحات احدى صحفهم تخليهم عن الحملة التي قاموا بها للاشتراك بالحكم .

- اعتقل في عمان اللواء صادق الشرع مساعد القائد العام للجيش الاردني بتهمة التآمر على نظام الحكم القائم .

٢٤-٥-٥٩ - توفي المستر جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة السابق .

٢٦-٥-٥٩ - اتفقت الدول الاربع على ان يستأنف مؤتمر جنيف جلساته بصورة سرية .

٢٧-٥-٥٩ - تشير الانباء الى ان ولي عهد اليمن الامير البدر يواجه ازمة سياسية داخلية في غياب والده الامام احمد الذي يزور ايطاليا للمعالجة الطبية . وقد أقال البدر قائد الجيش علي بن ابراهيم .

- احتجزت السلطات الاسرائيلية طائرة عسكرية لبنانية كانت تحوم في مهمة تصويرية فوق اراضي لبنان الجنوبية فأرغمتها الطائرات الاسرائيلية على الهبوط فوق الاراضي الاسرائيلية .

٢٨-٥-٥٩ - اطلق سلاح الجو الاميركي قردين الى الفضاء في صاروخ من طراز « جوبيتر »

ثم استعادهما سالمين .

– اعلنت الكتلة الاسيوية الافريقية في الامم المتحدة انهـــا اتفقت على اثارة قضية الجزائر من جديد في الجمعية العامة في الخريف المقبل .

٢٩ – ٥ – ٥٩ – رفضت السلطات الاسرائيلية اعادة الطائرة العسكرية اللبنانية المحتجزة لديها الا انها اطلقت سراح ملاحيها .

– عقد انصار السلم مؤتمراً كبيراً في الحلة بالعراق .

٣٠ – ٥ – ٥٩ – تم جلاء آخر جندي بريطاني عن قاعدة الحبانية في العراق .

– عقد وزراء الخارجية في مؤتمر جنيف جلسة علنية تحدث فيهـــا السيد غروميكو معلنـــاً رفض اقتراحات الغرب القاضية بالمفاوضة على برلين اولاً ومنادياً باعلان برلين مدينة حرة وذلك حسب ما اقترح خروشوف من قبل .

١ – ٦ – ٥٩ – قبلت الحكومة العراقية السيد عفيف البزري رئيس اركان حرب الجيش السوري سابقاً لاجئاً سياسياً في العراق ، والسيد عفيف البزري معروف بميوله الشيوعية .

– باشرت الدوائر الرسمية في لبنان باعداد المراسيم الاشتراعية تمهيداً لنشرها قبل نهاية المدة القانونية التي حددها المجلس النيابي .

٢ – ٦ – ٥٩ – اجتمع ولي عهد المغرب الامير الحسن الى الجنرال ديغول وباحثه بقضايا المغرب العربي وبالقضية الجزائرية بوجه خاص . وقد مهد ولي العهد لزيارة والده المنتظرة لباريس التي ستتناول وساطة المغرب لحل المشكلة الجزائرية .

– اعلن في القاهرة ان الجمهورية العربية المتحدة لن تحيد عن قرارها بمصادرة الشحنة الاسرائيلية قبل الافراج عن الباخرة الدانمركية .

– عقد مؤتمر وزراء الخارجيـة بجنيف جلسة علنية اخرى تميزت باحتدام المناقشات دون التوصل الى نتيجة ايجابية .

٣ – ٦ – ٥٩ – اعلن الرئيس ايزنهـاور انه لم يتحقق في مؤتمر جنيف اي تقدم يبرر عقد مؤتمر للاقطاب، واكد انه لا بد من تحقيق اتفاق ولو مبدئياً في مؤتمر وزراء الخارجية قبل التفكير بعقد مؤتمر يجمع الاقطاب .

– اعلن الرئيس رشيد كرامي في مؤتمره الصحفي الاسبوعي ان الاتفاق قد تم بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة حول مختلف القضـــايا الاقتصادية المعلقة بين البلدين ، كما اعلن عن الاتفاق الذي تم مع شركة نفط العراق حول حصة لبنان من عائدات البترول .

– عرضت الدول الغربية على الاتحاد السوفياتي مشروعاً جديداً بشأن برلين يتضمن تخفيضاً رمزياً للقوى العسكرية في منطقتي برلين .

٤ - ٦ - ٥٩ – اعلن اللواء عبد الكريم قاسم خروج العراق من منطقة الاسترليني .

٥ - ٦ - ٥٩ – اصبحت قضية الباخرة الدانمركية المحتجزة في قناة السويس تنذر بمضاعفات دولية بعد ان اصرت سلطات الاقليم المصري على احتجازها حتى تفرغ حمولتها بينما يرفض وكلاء الباخرة ذلك .

٦ - ٦ - ٥٩ – سافر الرئيس رشيد كرامي الى القاهرة لتوقيع الاتفاق الاقتصادي مع الجمهورية العربية المتحدة .

– اقفلت الحدود السورية الاردنية بعد ان تفاقم امر حوادث الحدود بين البلدين .

٨ - ٦ - ٥٩ – عين يوم ١٥ تموز القادم موعداً لانتخابات اللجان المحلية للاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة .

– عاد الرئيس كرامي من القاهرة بعد ان وقع الاتفاق الاقتصادي مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقد درس مجلس الوزراء اللبناني هذا الاتفاق وصدق عليه .

٩ - ٦ - ٥٩ – تسلم لبنان الطائرة العسكرية التي كانت تحتجزها اسرائيل .

– رفض مجلس حلف الاطلسي الموافقة على اقتراح فرنسي باعتبار الجزائر ضمن النقاط الستراتيجية التابعة للحلف .

١٠ - ٦ - ٥٩ – حكمت المحكمة العسكرية العليا في بغداد بالاعدام على اربعة ضباط جدد من الذين اشتركوا في ثورة الموصل بقيادة الشواف .

– اقترح الاتحاد السوفياتي في مؤتمر جنيف تجميد ازمة برلين سنة واحده شرط ان تشرع الدول الكبرى باعداد حل للقضية الالمانية وفقاً للاسس التي اقترحها السوفيات . وقد رفض الغرب الاقتراح لانه مشروط .

١١ - ٦ - ٥٩ – أمر اللواء عبد الكريم قاسم باعادة جميع المبعدين في كل المناطق العراقية بمناسبة عيد الاضحى المبارك .

١٢ - ٦ - ٥٩ – شهدت بغداد مظاهرات شيوعية واسعة بمناسبة انعقاد اول مؤتمر لاتحاد الشبيبة الديمقراطي في العراق.

١٣ - ٦ - ٥٩ – صدرت في لبنان المراسيم الاشتراعية وعددها ١٦٢ مرسوماً وقد احالتها الوزارة للمجلس النيابي . وينتظر ان تسفر هذه المراسيم عن تنقلات واسعة في الوزارات.

– الأنباء تشير الى وقوع اشتبكات دامية بين الشيوعين والوطنيين الديمقراطيين في بغداد أعقبها اعتقالات واسعة .

١٥ ٦- ٥٩ – وردت انباء عن وقوع بعض الحوادث في اليمن مما اضطر الجيش الى الاستيلاء على الحديدية وعلى تعز .

– اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً يلغي لجـان فحص المرشحين لانتخابات الاتحـاد القومي ، وقد كان من المقرر قبل ذلك ان تشكل لجنة خاصة لفحص طلبات الترشيح تتولى شطب اسماء المرشحين غير المرغوب فيهم .

١٧-٦- ٥٩ – وقوع اشتباكات دامية اخرى بين الشيوعيين والديمقراطيين في بغداد .

– خطب اللواء قاسم مشيداً بقوة الجيش العراقي وكمال تسلحه .

١٨-٦- ٥٩ – وجه الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة تحـذيراً الى فرنسا بضرورة تسوية مشكلة القـاعدة الفرنسية في بنزرت والا اضطرت تونس الى طلب جلاء جميع القوات الفرنسية عن الأراضي التونسية .

– اكدت السلطات المصرية انها لن تتراجع في مسألة مصادرة الشحنات المرسلة من اسرائيل واليها عبر قناة السويس .

١٩-٦- ٥٩ – جدد السيد خروشوف تحـذيره للغرب بقطع مواصلاتهم مع برلين اذا لم يتم الاتفاق حول هذه القضية .

– علق وزراء الخارجية الأربعة في جنيف مؤتمرهم بعد ان رفض غروميكو المشروع الغربي بشأن برلين وقدم مشروعاً آخر رفضه الغرب .

– قدم المستر داغ همرشولد الامين العـام للامم المتحدة تقريراً حول وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين بمناسبة انتهاء انتدابهـا في السنة المقبلة ، اوصى فيه بمواصلة مساعدة اللاجئين الى ان يتم استيعابهم في الحياة الإقتصادية للشرق الاوسط .

٢٠-٦- ٥٩ – صرح السيد عبد الخالق حسونة ان اجتماع الدول العربية على مستوى عال اصبح محتماً بعد ان نشر همرشولد تقريره عن اللاجئين وبعد تفاقم امر الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية الى اسرائيل .

– شرعت وفود الدول العربية الى الامم المتحدة بالتشاور حول تقرير همرشولد .

٢١-٦- ٥٩ – جرت انتخابات فرعية في منطقة جزين بلبنان لملأ المقعد النيابي الشاغر بوفاة السيد فريد قوزما ففاز الدكتور باسيل عبود .

٢٢-٦- ٥٩ – اقترح السيد هزاع المجـالي القدس مكاناً لمؤتمر ذروة يعقده العرب للبحث بتقرير همرشولد وقضية الهجرة اليهودية .

– استأنف العقيد المهداوي حملاته العنيفة على الجمهورية العربية المتحدة في المحكمة العسكرية العليا في بغداد .

٢٣-٦- ٥٩ – شرع المجلس النيابي اللبناني في مناقشة القوانين الاشتراعية .

– اعلن وزير الخارجية الاميركية عدم تفـاؤله بمؤتمر جنيف واكد تشبث الغرب بموقفه .

٢٤-٦- ٥٩ – تم توقيع اتفاق النقد بين لبنان وفرنسا .

٢٥-٦- ٥٩ – اعلن اللواء عبد الكريم قاسم عفواً جديـداً شمل الذين تركوا ديارهم بسبب مطاردة السلطات لهم نتيجة المنازعات المحلية وفيهم رجال العشائر .

– وصل الى القاهرة الامبراطور هيلا سلاسي امبراطور الحبشة في زيارة رسمية وعقد اجتماعاً مع الرئيس جمال عبد الناصر .

٢٦-٦- ٥٩ – اعلن في بغداد منع المظاهرات وانتهاء الواجبات الاستثنائية لقوات المقاومة الشعبية.

٢٩-٦- ٥٩ – صدر قرار من الحاكم العسكري في بغداد يمنع الاهلين من حمل السلاح منعاً باتاً

– وجه الاتحاد السوفياتي احتجاجاً شديد اللهجة الى حكومة المانيا الغربية بصدد انتخابات رئاسة الجمهورية الالمانية الاتحادية التي ستجري بعد ايام في برلين الغربية.

٣٠-٦- ٥٩ – وصل الى القاهرة المستر داغ همرشولد الأمين العام للامم المتحدة لمباحثة المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة حول الملاحة في قنـاة السويس وقضية اللاجئين والحدود الاردنية السورية .

– اكد الرئيس عبد الناصر ان سلطات الجمهورية العربية لن تسمح لأية شحنـة اسرائيلية بالمرور في قناة السويس اياً تكن النتائج .

– احال المجلس النيابي اللبناني المراسيم الاشتراعية على اللجان البرلمانية المختصة لدرسها.

١ – ٧ – ٥٩ – جرت انتخابات رئاسة الجمهورية في المانيا الغربية ففاز الدكتور لوبكن مرشح الحزب الديمقراطي المسيحي الذي يرأسه المستشار اديناور .

– احال اللواء عبد الكريم قاسم ستة ضباط عراقيين على التقاعد .

– اضرب اللاجئون الفلسطينيون في لبنان عن الطعام احتجاجاً على مشروع همرشولد، ونظموا عرائض وبرقيات ومظاهرات سلمية اعراباً عن استنكارهم لهذا المشروع.

٢ – ٧ – ٥٩ – انهى المستر همرشولد محادثاته في القاهرة دون ان يصدر بيان بنتيجتها .

– اكد لنا الرئيس عبد الناصر في حديث صحفي له عزمه على احداث تغيير جذري في الأوضاع الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة .

٤ – ٧ – ٥٩ – ظهور بوادر توتر بين الحكومة وبعض اعضاء المجلس النيابي في لبنـان بسبب تمسك الحكومة بنص المراسيم الاشتراعية واصرار بعض النواب على تعديلها .

- اعلنت فرنسا انها ستجري قريباً اول تجربة لها لتفجير القنبلة الذرية .

٦ - ٧ - ٥٩ - اقترح المغرب عقد الاجتماع العربي المرتقب في الدار البيضاء .

- اعلن شيخ الازهر بالقاهرة ادخال الفقه الشيعي في منهاج التدريس كمذهب من المذاهب الإسلامية .

٧ - ٧ - ٥٩ - اعدت الكتلة الاسيوية الافريقية في الامم المتحدة رسالة الى مجلس الامن تلفت نظره الى تدهور الحالة في الجزائر .

٨ - ٧ - ٥٩ - جرت في الأقليمين الجنوبي والشمالي للجمهورية العربية المتحدة الإنتخابات العامة لأعضاء اللجان المحلية للاتحاد القومي . وقد كان عدد الفائزين بالتزكية في الاقليم المصري ١١٨٧٨ شخصاً ، وفي الاقليم السوري ١٤٧١ شخصاً ، اما العدد المطلوب فهو ثلاثون الفاً تقريباً .

١٠-٧- ٥٩ - وقعت اشتباكات دامية في بغداد بين الجيش من جهة وقوات المقاومة الشعبية التي يسيطر عليها الشيوعيون من جهة اخرى .

- قدمت الكتلة الأسيوية الأفريقية مذكرتها الى مجلس الأمن الدولي .

- جدد الشيوعون بالعراق طلبهم الاشتراك بالحكم .

١١ -٧- ٥٩ - وصل وزراء خارجية الدول الكبرى الى جنيف لاستئناف مؤتمرهم .

- لجنة الإدارة والعدلية في البرلمان اللبناني تقترح تعديل المرسوم الاشتراعي رقم ٩٧ الخاص بالتنظيم الإداري وتتهم الحكومة بأنها في هذا المرسوم تجاوزت صلاحياتها .

١٣ -٧- ٥٩ - عدل اللواء عبد الكريم قاسم وزارته وادخل عليها اربعة وزراء جدد من اليساريين المتطرفين .

١٤ -٧- ٥٩ - احتفل العراق بالذكرى السنوية الاولى لثورة ١٤ تموز والقى اللواء قاسم خطابين اعلن فيهما ان ٦ كانون الثاني سيكون نهاية فترة الانتقال وفيه تعود الاحزاب الى كامل نشاطها ويعلن الدستور الدائم للجمهورية العراقية .

- في مقال كتبه لمجلة لايف الاميركية ، حمل الرئيس عبد الناصر الدول الغربية مسؤولية انتشار الشيوعية في الشرق الأوسط بسبب تأييدها لحكومات غير محبوبة.

١٥ -٧- ٥٩ - جرى في بغداد عرض شعبي كبير حضره اللواء قاسم وذلك في اليوم الثاني من احتفالات عيد ثورة ١٤ تموز .

١٦ -٧- ٥٩ - اخذت وفود المغتربين اللبنانيين والسوريين تتدفق على لبنان لحضور مؤتمرهم الذي ينعقد في ٢٥ تموز في بيروت .

- تم الاتفاق على استئناف الجلسات السرية في مؤتمر جنيف لوزراء الخارجية .

١٨ -٧- ٥٩ - قرر مجلس الوزارة اللبناني رد اتهامات لجنة الادارة والعدلية النيابية القائلة بأن الحكومة قد تجاوزت صلاحياتها في المراسيم الإشتراعية كما رفض التعديلات الاساسية المقترح ادخالها على هذه المراسيم وقرر مواجهة المجلس النيابي بطرح الثقة اذا اقتضى الأمر .

- وصل السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية الى عمان لمباحثة المسؤولين فيها حول تصفية الجو العربي وتقرير همرشولد والاجتماع العربي المرتقب.

٢١ -٧- ٥٩ - جاء في بيان للحاكم العسكري العام في بغداد ان اعتداءات وقعت في الايام الاخيرة في كركوك على الأشخاص والممتلكات. وقد علم ان حوادث دامية قد وقعت وفظائع قد ارتكبت في كركوك يوم ١٤ تموز في حركة قام بها الشيوعيون ذهب ضحيتها المئات من التركمان بين قتلى وجرحى . وقد ارسل اللواء قاسم هيئة خاصة للتحقيق بهذه الحوادث وجرت على الأثر اعتقالات واسعة في صفوف المسؤولين عنها . وقد القى اللواء قاسم خطاباً شجب فيه الدسائس وأنذر مثيريها بسوء المصير .

- وجه الرئيس السوفياتي السيد خروشوف دعوة رسمية للواء قاسم لزيارة موسكو.

- بشر السيد عبد الخالق حسونة بقرب فتح الحدود الاردنية السورية وعودة العلاقات الطبيعية بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة .

٢٢ -٧- ٥٩ - القى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً شاملاً بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية لثورة ٢٣ تموز استعرض فيه منجزات الثورة منذ قيامها .

٢٣ -٧- ٥٩ - جرت مناقشات حامية في المجلس النيابي اللبناني حول المراسيم الإشتراعية انتهت بطرح الثقة والفوز بها ولكن بعد ان فقد النصاب .

- جرى في القاهرة عرض عسكري كبير بمناسبة الاحتفال بذكرى الثورة، وقد القى المشير عبد الحكيم عامر خطاباً اشاد فيه بقوة جيش الجمهورية العربية المتحدة.

- وصل الى موسكو المستر ريتشارد نيكسون نائب رئيس الجمهورية الاميركي لإفتتاح المعرض الأميركي في موسكو .

٢٤ -٧- ٥٩ - شرع الرئيس جمال عبد الناصر بافتتاح عدد من المصانع الجديدة احتفالاً بالذكرى السنوية لثورة ٢٣ تموز .

- شن الفرنسيون هجوماً عاماً زجوا فيه بحوالي ثلاثين الف جندي لضرب الثوار الجزائريين في معاقلهم في جبال القبائل .

٢٥ -٧- ٥٩ – شدد الفرنسيون هجومهم على جبال القبائل ، الا ان الدلائل تشير الى ان الوطنيين الجزائريين صامدون .

– افتتح رئيس الجمهورية اللبنانية اللواء فؤاد شهاب مؤتمر المغتربين الثالث .

٢٧ -٧- ٥٩ – دعا فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الى حفلة استقبال اقامها في بيت الدين على شرف المغتربين . وقد اقيمت معالم الزينة ونظمت التظاهرات على طول الطريق المؤدية الى بيت الدين تكريماً لرئيس الجمهورية ، وفي بيت الدين كان في استقباله جموع غفيرة دعاها الاستاذ كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي . ولدى وصول النائب نعيم مغبغب الى تلك المنطقة لحضور الحفلة اجهز عليه عدد من الحضور من خصومه السياسيين وقتلوه . وقد خلق هذا الحادث جواً من القلق والتوتر في البلد عالجته الحكومة بتدابير حازمة .

– تقرر عقد مؤتمر الخبراء العرب في لبنان لدرس مشروع همرشولد والرد عليه .

٢٨ -٧- ٥٩ – اكد اللواء قاسم في خطاب له ان العراق متضامن مع الدول العربية قولاً وعملاً ، في حين استأنف العقيد المهداوي التهجم على الجمهورية العربية المتحدة في المحكمة العسكرية .

٢٩ -٧- ٥٩ – عقد اللواء عبد الكريم قاسم مؤتمراً صحفياً شجب فيه بعنف حوادث كركوك الدامية ووصفها بالوحشية وبانها تفوق فظائع هولاكو والصهاينة ، وعرض على الصحافيين صوراً لبعض ضحايا تلك الحوادث .

– اعلن اللواء قاسم ان العراق لن يحضر اجتماع وزراء الخارجية العرب اذا ما عقد في الدار البيضاء لانه سبق له ان اقترح بغداد مكاناً للاجتماع .

٣٠ -٧- ٥٩ – فتحت الحدود بين الاقليم السوري والاردن .

– قرر مجلس الجامعة العربية عقد اجتماع وزراء الخارجية العرب في الدار البيضاء .

نالت حكومة لبنان ثقة المجلس النيابي على اساس انها لم تتجاوز صلاحياتها في المراسيم الاشتراعية .

٣١ -٧- ٥٩ – اصدر رئيس جمهورية الهند مرسوماً اقال بموجبه حكومة ولاية كيرالا المحلية ، وهي الحكومة الشيوعية المحلية الوحيدة في الهند ، ووضع الولاية تحت سلطان حكومة الهند المركزية .

– اجتمع المستر همرشولد بالمسيو ديغول وبحث معه بالقضية الجزائرية .

– الرئيس عبد الناصر يوالي افتتاحه للمصانع الجديدة .

١ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ ابدى الرئيس خروشوف استعداده لزيارة الولايات المتحدة اذا ما دعي اليها .

ـ تفرقت قوات الثوار الوطنيين الجزائريين الى وحدات صغيرة وتجنبت الاصطدام بالفرنسيين وبذلك ابطلت مفعول الهجوم الفرنسي المركـّز على جبال القبائل .

٣ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ تقرر ان يزور الرئيس خروشوف الولايات المتحدة في منتصف ايلول وان يزور الرئيس ايزنهاور الإتحاد السوفياتي في خريف العام الجاري .

ـ اعلن الملك حسين ان الاردن سيقيم علاقات سياسية مع الجمهورية العربية المتحدة في المستقبل القريب .

ـ اقفل في بغداد مكتب الإتحاد العام لنقابات العمال بأمر من الحاكم العسكري العام ، ويسيطر على هذا المكتب الشيوعيون .

ـ اصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً يلوم فيه نفسه في عدد من النواحي ، وذلك على اثر ما صدر عن اللواء قاسم من انتقادات غير مباشرة تتعلق بحوادث كركوك .

٥ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ وجه اللواء قاسم دعوة رسمية الى خروشوف لزيارة العراق .

ـ انتهت محادثات مؤتمر جنيف دون نتيجة ، ولكن الباب ترك مفتوحاً لاستئنافها بعد مدة .

٦ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ سافر موفد اردني للقاهرة تمهيداً لعودة العلاقات السياسية بين البلدين .

ـ ثبت ان الحملة الفرنسية الكبيرة على جبال القبائل قد اخفقت .

ـ تتسع يوماً بعد يوم المعارك الناشبة في لاوس بالهند الصينية بين قوات لاوس النظامية والثوار الشيوعيين القادمين من فيتنام الشمالية .

٧ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ احتل الشيوعيون مدينتين في شمال لاوس ، واصبحت الحرب فيها تنذر باخطار دولية .

ـ اعلن في دمشق ان ٢٠ دولة قد اشتركت بمعرض دمشق الدولي حتى الآن .

٨ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ افتتح في صوفر بلبنان مؤتمر الخبراء العرب وشرع بدرس تقرير همرشولد .

ـ القى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً انذر فيه اسرائيل بالحرب الشاملة اذا اعتدت على الجمهورية العربية المتحدة او على احدى الدول العربية الاخرى .

ـ اعيد في العراق الى الخدمة الفعلية عدد من الضباط العراقيين الذين كانو قد اقيلوا بسبب ميولهم القومية .

١٠ ـ ٨ ـ ٥٩ ـ اجمع مؤتمر الخبراء المنعقد بصوفر على رفض مبدأ توطين اللاجئين الفلسطينيين ونادى باستمرار اعمال الاغاثة .

– احرز الشيوعيون بعض التقدم في لاوس .

١١ –٨– ٥٩ – قبل الرئيس عبد الناصر دعوة وجهت اليه لزيارة الهند ولكن موعدها لم يحدد .

– عرضت الهند وساطتها لتسوية ازمة القتال في لاوس ، فيما يشتد الحشد الشيوعي في شمال لاوس .

١٢ –٨– ٥٩ – لوحت لاوس بطلب تدخل الامم المتحدة بينما انذرت فيتنام والصين الشيوعية بالتدخل .

١٣ –٨– ٥٩ – وجه اللواء قاسم الى من اسماهم « الطامعين » الذين عادوا يتحركون انذاراً شديداً ، واعلن تأييده المطلق لكل كلمة يقولها المهداوي في المحكمة العسكرية، واكد انه لن يسمح بانتكاس القوى الديمقراطية .

– اعلنت حكومة لاوس ان الجزء الاكبر من القوات الشيوعية في مقاطعات لاوس الشمالية قد انسحبت عبر الحدود .

١٤ –٨– ٥٩ – تجدد القتال بين الشيوعيين وقوات لاوس ، وقد اوفدت لاوس مندوباً عنها الى الامم المتحدة ليشرح الموقف .

١٥ –٨– ٥٩ – اعلن ان الرئيس ايزنهاور سيزور الملكة اليزابيت ملكة بريطانيا اثناء زيارته المقررة لبريطانيا قبل زيارته لموسكو .

– اطلق سراح عدد من المعتقلين في العراق بعضهم متهمون بحوادث الموصل والاخرون متهمون بالاشتراك بحوادث كركوك الدامية .

الوثائق

اتفاق النقد بين لبنان وفرنسا
٢٥ حزيران ١٩٥٩

ان ممثلي الحكومتين اللبنانية والفرنسية بعد ان تدارسوا القضايا الناجمة عن انتهاء اجل الاتفاق النقدي المؤرخ في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ وبما انه تبين لهم ان هذا الاتفاق الذي كان غرضه الاساسي جعل النظام النقدي والمالي في لبنان موافقاً مع مقتضيات الاستقلال ، قد حقق هذا الغرض وكاد يستنفذ مفاعيله فقد اتفقوا على الاكتفاء باتخاذ الترتيبات التالية بشأن القضايا التي ما زالت عالقة :

١ - تستفيد اعتباراً من اول تموز سنة ١٩٥٩ موجودات الحكومة اللبنانية بالفرنكات المقيدة في الحساب رقم (ل) الناشيء عن احكام اتفاق ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ من ضمانة القطع بالنسبة الى الدولار الأميركي وذلك الى ان تتم تصفية هذه الموجودات . تستعمل الموجودات المذكورة وفقاً لأحكام الفقرة (٢) من المادة السابعة والفقرتين ١ و٢ من المادة الثالثة من اتفاق ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ .

٢ - استقر الرأي على انه يقتضي لمصلحة الفريقين عقد اتفاق ضريبي يحول دون ازدواج التكاليف. وريثما تتم المباحثات بهذا الشأن التي ستبدأ في تاريخ لاحق يتفق عليه الطرفان يبقى ساري المفعول الاعفاء من الضريبة الفرنسية على دخل الأموال المنقولة الذي يستفيد منه عملاً باتفاق ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ اللبنانيون الحاملون اسهماً حائزة على شهادة ملكية لبنانية من بعض الشركات الفرنسية العاملة في لبنان وذلك فيما يتعلق بالأرباح التي توزعها هذه الشركات لغاية ٣١ كانون الأول سنة ١٩٥٩.

٣ - طالب الوفد اللبناني بالحاح بان يستمر اللبنانيون المقيمون في البلاد الداخلة في منطقة الفرنك من الاستفادة ، فيما يتعلق بتحويل اموالهم الى لبنان من نظام تفصيلي خاص بالنسبة الى القواعد العامة لمراقبة القطع .

وأبدى الوفد الفرنسي ان حكومته لا تستطيع ، لاسباب مبدئية ، ان تعدل لمصلحة المهاجرين

اللبنانيين ، القواعد العامة لمراقبة القطع التي ستطبق ، اعتبار من اول تموز سنة ١٩٥٩ على جميـــع التحويلات من منطقة الفرنك الى لبنان .

وقد تبين الى خبراء الوفدين ان القواعد العامة المذكورة ستكون في مجملها اقل تقييداً من القواعد الناجمة عن تطبيق احكام اتفاق ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ ووفقاً للتنظيم الجديد ، ستكون مقبولة دون تحديد القيمة ، شرط مراعاة الاجراءات النظـامية وتقديم المستندات المبررة المطلوبة التحويلات العائدة للاشتراك في الصحف ولاقساط الضمان والنفقات القضائية وكذلك الايرادات من اي نوع كانت، الاموال الارثية والباتة واموال المهاجرين الذين يتركون محل اقامتهم في منطقة الفرنك بصورة نهائية.

اما التحويلات المتعلقة بنفقات الدراسة فيرخص بها بشروط تنطوي على الكفاية من التساهل لتلبية جميع حاجات اللبنانيين المقيمين في منطقة الفرنك والذين لهم اولاد يتابعون دراستهم في لبنان

واما فيما يتعلق بالمساعدات العائلية ونفقات الاقـامة التيما يزال النظام العام اكثر تأييداً بشأنها من النظام الناجم عن تطبيق اتفاق ٢٤ كانون الثـاني سنة ١٩٤٨ ، فان الحكومة الفرنسية قررت من تلقاء نفسها ، ان ترفع ارقام الحدود القصوى المعينة لها بموجب اتفاق ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ .

٤ – ان الحكومة اللبنانية ليس لها اي مطلب تبديه بشأن الاموال المتأتية عن حاصلات الاستثمار العـــائدة للقسم الواقع في الاراضي السورية – من شبكة سكة حديد بغـداد ، والمحجوزة من قبل الحكومة الفرنسية لقاء السلفات التي كانت قد اعطتها للشركة المذكورة .

كتب جديدة

سنحاول ان نعرف القراء الى بعض الكتب الممتعة المفيدة التي تدور مواضيعهـــا حول الشرق العربي او ما يهم الشرق العربي . وسيكون هذا التعريف مقتضباً اذ ان الغاية لفت النظر الى هذه الكتب ، وعليه لا ينتظر القارىء مراجعة مسهبة .

رئاسة التحرير

THE CATHOLIC CHURCH IN THE MIDDLE EAST

by Raymond Etteldorf

The MacMillan Co. New York, 1959 pp. VIII + 184 ($ 3.75)

الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الاوسط – ريمون اتلدورف

هذا الكتاب قصة رحلة قام بها المؤلف حديثاً ، زار خلالها لبنـــان والاردن والجمهورية العربية المتحدة والعراق وايران وتركية، وحاول ان يتعرف الى وضع الكنيسة الكاثوليكية في تلك الديار، ويراقب مؤسساتها ومنشآتها ونموها وتطورها . وقد اهتم باعيادها ومواسمها فوصفها .

والمؤلف سلس الاسلوب طلي العبارة ، لذلك فانه تشوقك قراءته .

وقد ختم المؤلف كتابه بفصل عن الصراع العقـائدي في الشرق الاوسط جاء فيه بخلاصة لما كان يصطرع في المنطقة من اراء في ربيع ١٩٥٨ لما جاء هذه الديار .

THE SOVIET UNION AND THE MUSLIM WORLD 1917-1958
by Ivan Spector
Distributed by University of Washington Press, Seattle, 1959
(pp. XII + 328) $ 5.00

الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي ١٩١٧ – ١٩٥٨
وضع ايفار سبكتور

عمل الاستاذ سبكتور سنوات طويلة وهو يتتبع العلاقات والتطورات بين الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي قبل ان اقدم علي اخراج هذا الكتاب بشكله الحـــالي . وقد اخرج من قبل على الآلة الناسخة ووضع بين ايدي عدد من المشتغلين بالدراسات الروسية والاسلامية الحديثة لاعطـــاء وجهة نظرهم في العمل نفسه .

والمؤلف واسع الاطلاع يجيد اللغات اللازمة لمثل هذه الابحاث . ونظرة الى فصول الكتاب العشرة توضح لنا الزاوية التي ينظر منها الى هذا الموضوع . فضلاً عن انه اضاف ست صفحات من المراجع ، فيهـــا جماع ما يحتاجه القارىء لمتابعة دراسته في هذه الموضوعات ·

THE RISE OF MODERN ASIA
by Ian Thomson
John Murray, London, 1957 pp. XVI + 265 (181-).

نهضـــة اسيه الحديثة
تأليف يان تومسون

يتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن نهاية اوروبة في اسية (القسم الاول) وعن اسيه كما تتحدث عن نفسها (القسم الثاني) . وفي القسم الاول يعالج قيام تركية واسية العربية والهند واليابان والصين ، متابعاً ، بشكل عام ، ما قامت به هذه البلاد في سبيل تحرير نفسها ومجاراة العالم الحديث . اما في القسم الثاني فيعرض لما قام به كل من هذه الأقطار لاتمام نموه وتقدمه ، ويتناول مشاكله بشكل عام .

ومع ان المؤلف يتمتع بمعرفة واسعة للمشاكل عامة ، فكتابه لا يخلو من بعض السرعة والسطحية احياناً ، بسبب اتساع الرقعة التي يعالجها ؛ فآسية ليست بالمنطقة الصغيرة .

PERSIA
A. Costa & L. Lockhart
Frederick A. Praeger, New York, 1958. pp. 105

ايران – ا. كوستا و ل. لوكهارت

وضع لوكهارت مقدمة في الفن الإيراني لهذا الكتاب تقع في الست والعشرين صفحة الاولى ، وجمع

كوستا ١٠٥ لوحات (بالأبيض والاسود) وخمس لوحات ملونة ، مع توضيح لهـــا . وبذلك قدم الاثنان هذا الكتاب القيم الذي اخرجته شركة نشر فردرك براغر اخراجاً انيقاً، للقراء ، وقوموا معه مجلداً حياً للفن الايراني وحياة الشعب الايراني ·

واولئك الذين اتيح لهم ان يزوروا بعض المدن الايرانية فيروا فيها متاحف حية لفن المعمار والريازة والزخرف، ووقفوا مشدوهين امام هذا الجمال والاتقان – اولئك سيسرهم ان اصبح في متنـــاول ايديهم مجلد جميل انيق يستطيعون ان يقلبوه متى شاءوا فيمتعون انفسهم به ·

فحري بمن زار ايران ان يقتنيه ليتأمل وليأمل .

GAMAL EL DIN MAHMOUD, IBRAHIM. 1955
Etudes Paléontologiques sur la faune crétacique du Massif du Moghara
(Sinaï – Egypt). Publications de l'Institut du Desert d'Egypt. No. 8.236 p,
(Mataria, Rue El Mathaf)

دراسة شاملة لمتحجرات العصر الطباشري في جبل منظور (كتلة المغارة في شمالي صحراء سيناء) استهدفت عرض الانواع المكتشفة في الجبل المذكور وتقتصر على قبيلتي الهلاميات ممثلة بطوائفها الرئيسية الثلاث وشوكية الجلد ممثلة فقط بطائفة التوتيائات او قنافذ البحر، جميعها مبوّبة حسب طوائفها (الرتب اهملت) وفصائلها واجناسها ؛ توزيع هذه الانواع على مختلف الطبقات الممثلة في المنطقة؛ نسباتها العددية بعضها الى بعض ، سواء في المنطقة عامة او في كل طبقة على حدة ؛ ومن ثم ، الإستعانة بهذه المقارنات لمحاولة البت في موضوع العمر الدقيق للطبقة الحـــاوية على جنس ناميسيراس (Knemiceras : من الهلاميات الرأسية الأرجل) وبالتـالي تقرير فيا اذا كانت هذه الطبقة تشكل تكملة للرواسب الالبية (Albian : طور متوسط من العصر الطباشيري) في سلسلة جبال لبنان ، وهي الهدف الرئيسي من البحث · والقسم الاول من الدراسة ولو انه في الأساس مجرد واسطة لغاية، كما هي الحال عادة في هذا النوع من البحث فانه بحد ذاته ايضاً جدير بالدرس ، دليلنا على هذا في هذه الدراسة التي نحن بصددها بعض الملاحظات والنتائج المفيدة التي استخلصها المؤلف بالمقارنة ، ثم الانواع الجديدة التي اكتشفهـــا عرضاً اثناء البحث وجرى وصفها في الدراسة ، والاجناس التي اقامها لاستيعاب انواع سبق وصفها ، ولا يفوتنا ذكر الانواع المكتشفة قبلاً والتي اعاد لها المؤلف الوصف؛ وهذه كلها تعد خدمات جديدة في دراسة المتحجرات .

تشكل الدراسة من ثمانية ابواب قسم بعضها الى فصول . البـــاب الاول يكوّن المقدمة الاستراتيجرافية المعهودة ويشتمل على وصف تفصيلي للطبقات الحاوية على ناميسيراس في مصر (الطباشيري القديم والمتوسط) وعلى دراسة مقارنة للطبقـــات الحاوية على نفس الجنس في مختلف انحاء الكرة الارضية . الأبواب الستة من الثـاني الى السابع تنفرد في دراسة الجنس ناميسيراس في مصر والعـــالم وعرض لمتحجرات العصر الطباشيري في جبـل منظور ، ويختص الباب الاخير في الملاحظات العــــامة والنتائج التي استخلص اليها المؤلف ، يتبعها فهرس المراجع وفهرس ابجدي للانواع التي جرى بحثها في

الدراسة . الدراسة غنية بالرسوم وهذه على نوعين : لوحات وصور فوتوغرافية ، واشكال - متن (Text-figuras) صورت باليد اصلاً وهي من نوع المونوتون ولكنها تفي بالغرض ، ومن هـــذه الاخيرة ، اي الاشكال ، ثلاث خرائط ينقصهـــا مع الاسف الوضوح كما تفتقر الى خطوط منحنى الارتفاع .

اهم ما في الدراسة النتيجة التي توصل اليها المؤلف من ان طبقـــات ناميسيراس في جبل منظور هي تكملة للطبقات الالبية في لبنـــان وسوريا ولم يتمكن ان يقرر اي الطبقات الالبية هي المماثلة . وفي نية المؤلف ان يتابع دراسة هذه المسألة من جيولوجية مصر في ابحاث مقبلة.

في الدراسة خطأ مسلكي تكرر حدوثه رأينا ضرورة التعرض له. ففي الصفحات ١٣٠ - ١٣٩ جرى تقديم خمسة انواع على انها جديدة ، بل وصارت معالجتها ايضاً على هذا الاساس ، والمفروض انها - اي هذه الانواع - كانت معروفة منذ سنة ١٩٥١ على الاقل كما يتبين لنا من المصادر القليلة التي في حوزتنا (Biol. Abstr. (1952) Vol. 26. Entry 29421) وقد لاحظنـــا هذا التناقض بطريق الصدفة المحضة، ولا نستغرب ان يكون في الدراسة انواع اخرى سردها المؤلف كجديدة وهي غير جديدة ، وان تكن من اكتشافه او من خلقه . وكان قد لفت نظرنا ، من قبل حين اطلعنـــا على فهرس المراجع مقال للمؤلف (باللغة الفرنسية) صدر في سنة ١٩٥١ اقترح فيه المؤلف، للمرة الاولى على ما نعلم ، انشأ فصيلة جديدة لغاية استيعاب (احتواء) الجنس الوحيد سودوميزاليا ، ويتألف من ثمانية انواع ، منها الانواع الخمسة الوارد ذكرها اعلاه . وهذا الجنس يتمّه المؤلف في المقالة نفسها (نشرت في : Compt. Rend. Soc. Géol. France 1951 (15/16) : 271-273) . في الدراسة التي نحن بصددها يعيد المؤلف هذه الاجرأات من جديد كما لو انه لم يوجد مقاله الصادر سنة ١٩٥١ ، او هكذا يتخيل الى القاريء . ولا يرد اي استشهاد للمقال هذا في متن البحث . ولا نعرف للان صفة التعديل الذي كان المؤلف قد اقترحه سنة ١٩٥١ . (المقالة نفسها غير متوفرة لنا) .

غسان جبور